[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

دار [illegible]

اهداءات ٢٠٠١

الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح منصور

الكبائر

للإمام

أبي عبد الله محمد شمس الدين الذهبي الدمشقي

(٦٧٣-٧٤٨هـ)

طبعة محققة ومصححة ومنقحة

دار التراث العربي

طبعة جديدة

محققة ومصححة ومنقحة

١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الامام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان ابن قايماز بن الذهبي الدمشقي .

جاء في شذرات الذهب في وصفه :

أما أستاذنا ابو عبد الله فبحر لا نظير له ، وكنز هو الملجأ اذا نزلت المعضلة ، امام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظا . وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها ، وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة ، وادخلنا في عداد الجماعة .

ولد في دمشق سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وطلب الحديث من يفاعته فسمع بدمشق من ابن عساكر والقواس ورحل الى بعلبك ، فسمع من عبد الخالق بن علوان ، وزينب بنت عمر بن كندي وغيرهما ..

رحل الى مصر فسمع من شيخ الاسلام ابن دقيق العيد ، والحافظين : ابي محمد الدمياطي ، وأبي العباس الظاهري . ورحل الى الاسكندرية فسمع من علمائها والى حلب فسمع من سنقر الزيني وغيره .

اقام بدمشق يرحل اليه من سائر البلاد ، وتناديه السؤالات من كل ناد ، وهو بين أكنافها كنف لأهلها وشرف تفتخر به ، وتزهى به الدنيا وما فيها .

وكل تصانيفه شاهدة على تبحره ومهارته في العلوم النقلية ، وقد عد ابن تغرى في المنهل الصافي خمسة وستين كتابا ، وفي ذيل تذكرة الحافظ ، أن مصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة .

من أهم مصنفاته :

١ ــ تاريخ الاسلام الكبير في واحد وعشرين مجلدا .
٢ ــ تذهيب التهذيب .
٣ ــ ميزان الاعتدال .
٤ ــ طبقات الحفاظ .
٥ ــ طبقات مشاهير القراء .
٦ ــ المغني في الضعفاء .
٧ ــ اختصار تاريخ دمشق .
٨ ــ المشتبه في أسماء الرجال .
٩ ــ سير النبلاء .

١٠ ـ رسالة فى الرواة الثقـات •
١١ ـ الكبائر الكبرى •
١٢ ـ العبر باخبـار من غبر •

وغيرها كثير •

قال السـيوطى :

« والذى أقوله : ان المحدثين عيال الآن فى الرجـال وغيرها من فنون الحديث على أربعة : المزى ، والذهبى ، والعراقى ، وابن حجر »•

وقد جرى بعض العلماء على تأليف كتب تحض على الخير وترغب فيه ، وتزجر من المعاصى وترهب منها فهى كالزواجر والترغيب والترهيب ومنهـا كتاب الكبائر للامام المحدث ابن الذهبى •

وكان قد كتب الكبائر الكبرى ثم اختصرها فى كتـاب الكبائر اعتمـد فيها ما صح وما قارب الصحة مع البيان البليغ المؤثر على العاطفة واجتهد على استبعاد الحشو والتطويل والحكايات الضعيفة فجاء الكتـاب وافيـا باغراضه ومقاصده وأدى صالح مهمته خير اداء وصار أثرا نفيسا من آثار الامام الحافظ فى النفع والفائدة ، فهو عضد الخطيب والواعظ ، وسلوة الحائر والجازع وترقيق قلب القاسى والتزهيد عن فضول حطام الدنيا ، والزجر عن المعاصى والمهلكات •

وتوفى الامام الذهبى ـ رحمه الله ـ ليلة الاثنين ثالث ذى القعدة سنة ٧٤٨ هـ فى دمشق بالمدرسة المنسوبة لأم الصالح فى قاعة سكنة ، ودفن بمقبرة الصـغير •

رحمه الله قدر ما أفاد الأمة الاسلامية بحفظ تراثها وتاريخها •

ولله سبحانه الحمد والفضل والأمر من قبل ومن بعد •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان الا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وامام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أما بعد) .. فهذا كتاب مشتمل على ذكر جمل فى الكبائر والمحرمات والمنهيات .

تعريف الكبائر

ما نهى الله ورسوله عنه فى الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين وقد ضمن الله تعالى فى كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى : ((**ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما**))(١) فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة وقال تعالى : ((**والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون**))(٢) وقال تعالى : ((**والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ، ان ربك واسع المغفرة**))(٣) الآيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات(٤) لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر))(٥) فتعين علينا الفحص عن الكبائر ما هى لكى يجتنبها المسلمون(٦) فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها فقيل هى سبع،واحتجوا بقول النبى صلىالله عليه وعلى آلهوسلم

---

(١) النساء : ٣١ . (٢) الشورى : ٣٧ . (٣) النجم : ٣٢ .

(٤) فى نسخة ((كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر)) .

(٥) رواه مسلم والترمذى وقال : حسن صحيح عن أبى هريرة رفعه واللفظ لمسلم قال الترمذى : وفى الباب عن جابر وانس وحنظلة الأسيدى قال شارحه : أما حديث جابر فأخرجه مسلم وأما حديث أنس فأخرجه الشيخان وأما حديث حنظلة الأسيدى ــ ويقال له حنظلة الكاتب ــ فأخرجه أحمد باسناد جيد مرفوعا . انتهى .

(٦) فى نسخة : المسلم واعلم أن التوبة من كل معصية واجبة على الفور وحتم لازم على كل عاص لا يجوز تأخيرها سواء أكانت صغيرة أو كبيرة وانها من مهمات الاسلام وقواعد الدين المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة تابعة بالكتاب والسنة وظاهر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية على أن من تاب لله توبة نصوحاً واجتمعت شروط التوبة فيه فانه يقبل منه توبته كرما منه وفضلا ومنة واحسانا . انتهى .

« اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات • متفق عليه(١) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « هى الى السبعين اقرب منها الى السبع » وصدق والله ابن عباس(٢) وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر والذى يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئا من هذه العظائم مما فيه حد فى الدنيا كالقتل والزنا والسرقة أو جاء فيه وعيد فى الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه كبيرة(٣) ولابد من تسليم أن بعض الكبائر اكبر من بعض الا ترى انه صلى الله عليه وسلم عد الشرك بالله من الكبائر مع أن مرتكبه مخلد فى النار ولا يغفر له ابدا قال الله تعالى : ((**ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**))(٤) •

* * *

الكبيرة الأولى : الشرك بالله

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان : أحدهما : أن يجعل لله ندا ويعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبى أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك وهذا هو الشرك الأكبر الذى ذكره الله عز وجل قال الله تعالى : ((**ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**))(٥) وقال تعالى : ((**ان الشرك لظلم عظيم**))(٦) وقال تعالى : ((**أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار**))(٧) والآيات فى ذلك كثيرة •

---

(١) متفق عليه أى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (قلت) وكذا رواه أبو داوود والنسائى •

(٢) رواه عبد الرزاق والطبرى فى تفسيره عند قوله : ((**ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه**)) (النساء : ٣١) •

(٣) والكبيرة كل معصية فيها حد فى الدنيا أو وعيد فى الآخرة وزاد شيخ الاسلام : أو ورد فيها وعيد بنفى ايمان أو لعن ونحوهما . والصواب تقسيم الذنوب الى كبيرة وصغيرة وأن الكبائر فى الذنوب بعضها أكبر من بعض وقال ابن عبد السلام الشافعى : لم أقف للكبيرة على ضابط سالم من الاعتراض والضابط الذى قاله شيخ الاسلام وغيره من أنها ما فيها حد أو وعيد أو لعن أو تبرؤ أو ليس منا أو نفى ايمان من أسلم الضوابط وعن سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس : الكبائر سبع فقال ابن عباس : هى الى السبعمائة أقرب منها الى السبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وفى رواية عنه : هى الى السبعين أقرب وعدها العلماء فبلغت سبعين أو زادت على السبعين •

(٤) النساء : ٤٨ •

(٥) النساء : ٤٨ ، ١١٦ •

(٦) لقمان : ١٣ •

(٧) المائدة : ٧٢ •

فمن أشرك بالله ثم مات مشركا فهو من أصحاب النار قطعا كما أن من آمن بالله ومات مؤمنا فهو من أصحاب الجنة وان عذب بالنار وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثا ـ قالوا : بلى يا رسول الله قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت(١) وقال صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات »(٢) فذكر منها الشرك بالله وقال صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » الحديث(٣) •

والنوع الثانى من الشرك الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى : ((فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا))(٤) أى لا يرائى بعمله أحدا وقال صلى الله عليه وسلم : « اياكم والشرك الأصغر » ، قالوا : يا رسول الله ٠٠وما الشرك الأصغر ؟ قال : « الرياء ، يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »(٥) وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله : من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى فهو للذى أشرك وأنا منه برىء »(٦) وقال : « من سمع سمع الله به ومن رايا رايا الله به »(٧) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « رب صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر » يعنى أنه اذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له(٨) كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مثل الذى يعمل للرياء والسمعة كمثل الذى يملأ كيسه حصى

---

(١) متفق عليه •
(٢) تقدم تخريجه آنفا •
(٣) رواه أحمد والبخارى •
(٤) الكهف : ١١٠ •

(٥) قال العراقى : رواه احمد باسناد جيد عن ابن عباس والبيهقى فى الشعب وابن أبى الدنيا من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات• قال المنذرى : جيد ورواه الطبرانى عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج •

(٦) رواه مسلم دون كلمة : « وأنا منه برىء » وهى عند ابن ماجه بسند صحيح اهـ عراقى •

(٧) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله بلفظ : « من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به » وهو فى الترغيب للمنذرى كما فى الأصل هنا والترمذى عن أبى بكرة رفعه • قاله العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء •

(٨) رواه ابن ماجه وأخرجه احمد وابن ابى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى عن شداد بن أوس والبزار وابن مردويه والبيهقى عن الضحاك بن قيس رفعوه •

ثم يدخل السوق ليشترى به فاذا فتحه قدام البائع فاذا هو حصى وضرب به وجهه ولا منفعه له فى كيسه سوى مقالة الناس له ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئا مدبك الذى يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له فى الاخرة»(١) قال الله تعالى : ﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾(٢) يعنى الأعمال التى عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس وروى عدى ابن حاتم الطائى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤمر بنثام — اى جماعات — من الناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها فانهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون : ربنا لو ادخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى : ذلك ما أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بأعمالكم خلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى — يعنى لأجل الناس — فاليوم اذيقكم أليم عقابى مع ما حرمتكم من جزيل ثوابى »(٣) وسأل رجل رسول الله : ما النجاة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أن لا تخادع الله » قال : وكيف يخادع الله قال : « أن تعمل عملا أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله واتق الرياء فانه الشرك الأصغر وان المرائى ينادى عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يا مرائى يا غادر يا فاجر يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك فلا أجر لك عندنا اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع»(٤) ، وسئل بعض الحكماء رحمهم الله من المخلص ؟ فقال : المخلص الذى يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقيل لبعضهم : ما غاية الاخلاص ؟ قال : أن لا تحب محمدة الناس ، وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والاخلاص أن يعافيك الله منهما · اللهم عافنا منهما واعف عنا .

* * *

---

(١) جعله ابن حجر فى زواجره من كلام بعض الحكماء لا حديثا نبويا ا.ه

(٢) الفرقان : ٢٣ .

(٣) أخرجه الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى وابنا عساكر والنجار والحسن ابن سفيان وذكره فى الترغيب بصيغة التمريض وهى وروى عن عدى .. الخ وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ونازعه السيوطى ·

(٤) ابن أبى الدنيا من رواية جبلة اليحصبى عن صحابى لم يسم واسناده ضعيف ا ه عراقى ·

الكبيرة الثانية : قتل النفس

قال تعـالى : ((ومن يقتـل مؤمنـا متعمـدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعـد له عـذابا عظيما))(*) وقوله تعالى : ((والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق آثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا))(١) وقال تعالى : ((من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا))(٢) وقال تعالى : ((واذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت))(٣) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات »(٤) فذكر قتل النفس التى حرم الله الا بالحق(٥) وقال رجل للنبى ﷺ : اى الذنب أعظم عنـد الله تعـالى ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قال : ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قال : ثم أى ؟ قال : « أن تزانى حليلة جارك » فأنزل الله تعالى تصديقها ((والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون))(٦) الآية . وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قيل : يا رسول الله .. هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « لأنه كان حريصا على قتل صاحبه »(٧) .

قال الامام أبو سليمان الخطابى رحمه الله : هذا انما يكون كذلك اذا لم يكونا يقتتلان على تأويل انما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو ، فأما من قاتل أهل البغى على الصفة التى يجب قتالهم بها أو دفع عن نفسه أو حريمه فانه لا يدخل فى هذه لأنه مأمور بالقتال للذب

(*) النساء : ٩٣ .　　(١) الفرقان : ٦٨ ـ ٧٠

(٢) المائدة : ٣٢ .　　(٣) التكوير : ٨ ، ٩ .

(٤) تمام الحديث : قيل وما هنّ يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى) . قاله المنذرى .

(٥) رواه البخارى ومسلم بدون الآية ورواه الترمذى والنسائى فى رواية بهما مع ذكر الآية كلهم عن ابى مسعود الانصارى قاله المنذرى فى الترغيب والترهيب .　　(٦) الفرقان : ٦٨ .

(٧) رواه أحمد والشيخان كما فى الزواجر .

عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه الا ان كان حريصا على قتل صاحبه ومن قاتل باغيا أو قاطع طريق من المسلمين فانه لا يحرص على قتله انما يدفعه عن نفسه فان انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه فان الحديث لم يرد فى اهل هذه الصفة ، فاما من خالف هذا النعت فهو الذى يدخل فى هذا الحديث الذى ذكرناه ، والله أعلم •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (*) : « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال العبد فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما »(١) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء »(٢) وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا »(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « الكبائر : الاشراك بالله وقتل النفس واليمين الغموس »(٤) وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها فى النار وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لانه أول من سن القتل » مخرج فى الصحيحين وقال صلى الله عليه وسلم : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاما » (أخرجه البخارى)(٥) •

فاذا كان هذا فى قتل المعاهد وهو الذى أعطى عهدا من اليهود والنصارى فى دار الاسلام فكيف بقتل المسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : « الا ومن قتل نفسا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا » صححه الترمذى وقال

(*) متفق عليه من حديث أبى بكرة وهو قطعة من (خطبة الوداع) •

(١) تمامه : وقال ابن عمر : من ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله • رواه البخارى والحاكم وقال : صحيح على شرطهما والورطات جمع ورطة وهى المشكلة وكل أمر تعسر النجاة منه ا هـ ترغيب وترهيب للمنذرى •

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن مسعود قاله المنذرى فى الترغيب •

(٣) رواه النسائى والبيهقى من حديث بريدة وشاهده عند مسلم والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا وموقوفا قاله المنذرى ورواه • البيهقى والأصبهانى وابن ماجه باسناد حسن عن البراء بن عازب رفعه ا هـ

(٤) رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص ا هـ منذرى •

(٥) والنسائى عن ابن عمرو رفعه كما ذكره المصنف فى رسالته الصغرى فى الكبائر وكذا المنذرى فى الترغيب •

صلى الله عليه وسلم : « من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى » (رواه الامام أحمد)(١) وعن معاوية رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل ذنب عسى الله أن يغفره الا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا »(٢) نسأل الله العافية .

* * *

الكبيرة الثالثة : فى السحر

لأن الساحر لابد وأن يكفر ، قال الله تعالى : ((**ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**))(٣) .

وما للشيطان الملعون غرض فى تعليمه الانسان السحر الا ليشرك به قال الله تعالى مخبرا عن هاروت وماروت : ((**وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق**))(٣) أى من نصيب .

فترى خلقا كثيرا من الضلال يدخلون فى السحر ويظنونه حراما فقط وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون فى تعليم السيمياء(٤)وعملها وهى محض السحر وفى عقد الرجل عن زوجته وهو سحر وفى محبة الرجل للمراة وبغضها له ، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال .

وحد الساحر القتل لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها السحر(٥) والموبقات المهلكات فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة وجاء(٦) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «حد الساحر ضربه بالسيف» . والصحيح

---

(١) وابن ماجه وفى اسناده مقال قاله المصنف فى رسالته الصغرى . والأصبهانى كلهم عن أبى هريرة رفعه ورواه البيهقى من حديث ابن عمرو رفعه ذكره المنذرى فى الترغيب وذكره بصيغة التمريض .

(٢) أخرجه النسائى والحاكم وقال : صحيح الاسناد وروى أبو داوود وابن حبان قال : وصححه عن أبى الدرداء رفعه ا ه ترغيب .

(٣) البقرة : ١٠٢

(٤) فى بعض النسخ (الكيمياء) بالكاف والمراد بها كيمياء السحرة التى غرضها الوصول الى (اكسير الحياة) الذى يحول الشيخوخة والهرم بزعمهم شبابا وكذلك (حجر الفلاسفة) الذى يحول النحاس وغيره فى زعمهم ذهبا . أما الكيمياء الصناعية التى هى معرفة خواص الأجسام تحليلا وتركيبا فليست مرادة بهذا الذم .

(٥) تقدم آنفا بلفظه وتخريجه .

(٦) رواه الترمذى وقال : الصحيح أنه من قول جندب ا ه زواجر .

انه من قول جندب · وعن بجالة بن عبدة(*) أنه قال : أتانا كتاب عمر رضى الله عنه قبل موته بسنة ان اقتلوا كل ساحر وساحرة · وعن وهب بن منبه قال : قرات فى بعض الكتب : يقول الله عز وجل : لا اله الا أنا ليس منى من سحر ولا من سحر له ولا من تكهن ولا من تكهن له ولا من تطير ولا من تطير له · وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : الكاهن ساحر والساحر كافر · وعن ابى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر » رواه الامام أحمد فى مسنده(١) وعن ابن مسعود(٢) رضى الله عنه مرفوعا قال : « الرقى والتمائم والتولة شرك » التمائم جمع تميمة وهى خرزات أو حروز يعلقها الجهال على أنفسهم واولادهم ودوابهم يزعمون انها ترد العين وهذا من فعل الجاهلية ومن اعتقد ذلك فقد أشرك والتولة بكسر التاء وفتح الواو نوع من السحر وهو تحبيب المرأة الى زوجها وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى(٣) قال الخطابى(٤) رحمه الله : وأما اذا كانت الرقية

(*) رواه البخارى ·

(١) وابن حبان فى صحيحه وابو يعلى والحاكم وصححه قال المنذرى فى الترهيب : من شرب الخمر ·

(٢) رواه احمد وأبو داوود قاله المصنف فى رسالته الصغرى وابن حبان والحاكم وصححاه أفاده المنذرى فى ترغيبه ·

(٣) (فائدة) قال المصنف فى رسالته الصغرى فى آخر الكبيرة الثالثة : واعلم أن كثيرا من هذه الكبائر بل عامتها - الا الأقل - يجهل خلق من الأمة تحريمه وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد ·

فهذا الضرب فيه تفصيل فينبغى للعالم أن لا يستعجل على الجاهل بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله ولاسيما اذا كان قريب العهد بجاهليته ، قد نشأ فى بلاد الكفرة البعيدة وأسر وجلب لأرض الاسلام وهو تركى أو كرجى مشرك لا يعرف بالعربى فاشتراه أمير تركى لا علم عنده ولا فهم فبالجهد أنه يلفظ بالشهادتين فان فهم بالعربى حتى فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليالى فبها ونعمت ثم قد يصلى وقد لا يصلى وقد يلقن الفاتحة مع الطول ان كان أستاذه فيه دين ما فان كان أستاذه نسخة منه فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الاسلام والكبائر واجتنابها والواجبات واتيانها فان عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها وأركان الفرائض واعتقدها فهو سعيد وذلك نادر فينبغى للعبد أن يحمد الله تعالى على العافية (فان قيل) هو فرط لكونه ما سأل عما يجب عليه (قيل) ما دار فى نفسه ولا استشعر أن سؤال من يعلمه يجب عليه · ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، فلا يأثم أحد الا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه والله لطيف بعباده رؤوف بهم قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »(الاسراء : ١٥) وقد كان سادة الصحابة بالحبشة

بالقرآن او بأسماء الله تعالى فهى مباحة لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرقي الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » وبالله المستعان وعليه التكلان .

* * *

الكبيرة الرابعة : فى ترك الصلاة

قال الله تعالى : ((فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا . الا من تاب وآمن وعمل صالحا))(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن اخروها عن أوقاتها وقال سعيد بن المسيب امام التابعين رحمه الله : هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر . ولا يصلى العصر الى المغرب ولا يصلي المغرب الى العشاء ولا يصلى العشاء الى الفجر ولا يصلى الفجر الى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغى وهو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه وقال تعالى فى آيه أخرى : ((فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون))(٢) أى غافلون عنها متهاونون بها وقال سعد بن ابى وقاص رضي الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال : « هو تأخير الوقت »(٣) أى تأخير الصلاة عن وقتها سماهم مصلين لكنهم لما تهاونوا بها وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب ، وقيل : هو واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها الا أن يتوب الى الله تعالى ويندم على ما فرط وقال تعالى فى آية أخرى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون))(٤) قال المفسرون : المراد بذكر الله فى هذه

= وينزل الواجب والتحريم على النبى صلى الله عليه وسلم فلا يبلغهم الا بعد أشهر فهم فى تلك الأشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص ، والله اعلم ا هـ .

(٤) هو الامام أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابى صاحب التصانيف الممتعة كشرح سنن أبى داوود وغيرها توفى فى سنة ٣٨٨ هـ ببلدة بست .

(١) مريم : ٥٩، ٦٠ . (٢) الماعون : ٤ ، ٥ .

(٣) رواه البزار فى مسنده من رواية عكرمة بن ابراهيم وقال : رواه الحافظ موقوفا ولم يرفعه غيره قال المنذرى : وعكرمة هذا هو الأزدى مجمع على ضعفه والصواب وقفه يعنى أنه من كلام سعد بن ابى وقاص ا هـ ترغيب وقال به زيد ابن على فى تفسير الغريب وابن عباس ومصعب بن سعد ومسروق والحسن .

(٤) المنافقون : ٩ .

الآية الصلوات الخمس فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين وهكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة عن عمله الصلاة فان صلحت فقد افلح وأنجح وان نقصت فقد خاب وخسر »(١) وقال تعالى مخبرا عن اصحاب الجحيم : ((ما سلككم في سقر • قالوا لم نك من المصلين • ولم نك نطعم المسكين • وكنا نخوض مع الخائضين • وكنا نكذب بيوم الدين • حتى أتانا اليقين • فما تنفعهم شفاعة الشافعين))(٢) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »(٣) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة »(٤) حديثان صحيحان وفى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من فاتته صلاة العصر حبط عمله » وفى السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله »(٥) وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله »(متفق عليه)(٦) وقال صلى الله عليه وسلم : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا

---

(١) عزاه المنذرى فى الترغيب الى الأوسط للطبرانى وأشار الى ضعفه وذكر له شاهدا من حديث عبد الله بن قرط عند الطبرانى فى أوسطه أيضا وقال : لا بأس باسناده ان شاء الله ا هـ •

وقال المصنف فى الصغرى : حسنه الترمذى من حديث أبى هريرة ا هـ وكذا قال المنذرى فى الترغيب : رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة وقال : حسن غريب ا هـ وأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن تميم الدارى رفعه •

(٢) المدثر : ٤٢ – ٤٨ .

(٣) رواه من حديث بريدة احمد وأبو داوود والنسائى والترمذى وقال : حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح ولا نعرف له علة ا هـ منذرى وأخرج نحوه الطبرانى فى الكبير عن ثوبان رفعه •

(٤) رواه أحمد ومسلم وأبو داوود والنسائى والترمذى وابن ماجه بألفاظ متقاربة ا هـ منذرى وأخرجه ابن ماجه ومحمد بن نصر والطبرانى فى الكبير عن أنس رفعه •

(٥) رواه ابن ماجه والبيهقى عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء وله شواهد من حديث معاذ عن الطبرانى فى الأوسط وعنده فى الكبير وعند أحمد واسناده صحيح ومن حديث أمية مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطبرانى ومن حديث أم أيمن عند أحمد والبيهقى وكلها لا يخلو من مقال ولكن يعتضد بها أفاده المنذرى فى الترغيب •

(٦) من حديث عمر •

ولا برهانا ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبى بن خلف »(*) وقال عمر رضى الله عنه : أما أنه لا حظ لأحد فى الاسلام أضاع الصلاة .

وقال بعض العلماء رحمهم الله : وانما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه انما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته فان اشتغل بماله حشر مع قارون وان اشتغل بملكه حشر مع فرعون وان اشتغل بوزارته حشر مع هامان وان اشتغل بتجارته حشر مع أبى بن خلف تاجر الكفار بمكة وروى الامام أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله عز وجل(١) وروى البيهقى باسناده(٢) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . اى الأعمال أحب الى الله تعالى فى الاسلام : قال : « الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين » ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل له : الصلاة يا أمير المؤمنين قال : نعم .. أما انه لا حظ لأحد فى الاسلام أضاع الصلاة . وصلى رضى الله عنه وجرحه يثعب(٣) دما وقال عبد الله ابن شقيق التابعى رضى الله عنه : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة وسئل على رضى الله عنه عن امرأة لا تصلى فقال : من لم يصل فهو كافر(٤) وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من لم يصل فلا دين له(٥) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من ترك صلاة

(*) رواه أحمد باسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو وكذا رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان فى صحيحه ا هـ منذرى . وقال المصنف فى الرسالة الصغرى ليس اسناده بذاك .

(١) رواه احمد والطبرانى فى الكبير واسناد احمد صحيح لو سلم من الانقطاع فان عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ وفى الأوسط للطبرانى باسناد لا بأس به فى المتابعات ا هـ منذرى (قلت) وهو حديث طويل فى النهى عن الشرك وعقوق الوالدين وترك الصلاة وشرب الخمر والفواحش .

(٢) أى فى الشعب بسند ضعفه ، وقال الحاكم : عكرمة لم يسمع من عمر قال : ورواه عمر ا هـ عراقى .

(٣) يثعب بالعين المهملة : اى يسيل .

(٤) أخرجه الترمذى والحاكم عنه عن أبى هريرة ذكره المصنف فى الصغرى .

(٥) رواه محمد بن نصر موقوفا عليه ا هـ منذرى .

واحدة متعمدا لقى الله تعالى وهو عليه غضبان(١)وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته - أى ما يفعل وما يصنع بحسناته - اذا كان مضيعا للصلاة(٢) وقال ابن حزم : لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها وقتل مؤمن بغير حق وقال ابراهيم النخعي : من ترك الصلاة فقد كفر وقال أيوب السختياني : مثل ذلك ، وقال عون بن عبد الله : ان العبد اذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسئل عنه فان جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله وان لم تجز له لم ينظر فى شيء من عمله بعد وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت الى السماء ولها نور حتى تنتهى الى العرش فتستغفر لصاحبها الى يوم القيامة وتقول:حفظك الله كما حفظتنى واذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت الى السماء وعليها ظلمة فاذا انتهت الى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى »(٣) وروى أبو داوود فى سننه(٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم : من تقدم قوما وهم له كارهون ومن استعبد(٥) محررا ورجل أتى الصلاة دبارا » والدبار أن يأتيها بعد ان تفوته وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر »(٦) فنسأل الله التوفيق والاعانة انه جواد كريم وأرحم الراحمين .

* * *

فصل : متى يؤمر الصبى بالصلاة

روى أبو داوود فى السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا

---

(١) رواه محمد بن نصر المروزى وابن عبد البر بلفظ : فقد كفر ا هـ منذرى .

(٢) قال العراقى : فى معناه حديث : « أول ما يحاسب به العبد الصلاة - وفيه : فان فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس ا هـ .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه قاله العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء .

(٤) وكذا رواه ابن ماجه وفى سنده عبد الرحمن بن زياد الافريقى مختلف فيه أفاده المنذرى .

(٥) هو أن يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره أو يكرهه على الخدمة بعد العتق قاله الخطابى فى شرح السنن .

(٦) رواه الحاكم من حديث حنش عن ابن عباس وقال حنش : هو ابن قيس ثقة . قال المنذرى : بل رواه بمرة لا نعلم أحدا وثقه غير حصين ا هـ ترغيب .

الصبى بالصلاة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها »
وفى رواية : « مروا أولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

قال الامام أبو سليمان الخطابى رحمه الله : هذا الحديث يدل على اغلاظ العقوبة له اذا بلغ تاركا لها وكان بعض أصحاب الامام الشافعى رحمه الله تعالى يحتج به فى وجوب قتله اذا تركها متعمدا بعد البلوغ ويقول : اذا استحق الضرب وهو غير بالغ فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من التعزير ما هو أبلغ من الضرب وليس بعد الضرب شىء أشد من القتل .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله فى حكم تارك الصلاة ، فقال مالك والشافعى واحمد - رحمهم الله - تارك الصلاة يقتل ضربا بالسيف فى رقبته . ثم اختلفوا فى كفره اذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها فقال ابراهيم(١) النخعى وايوب(٢) السختيانى وعبد الله بن المبارك وأحمد(٣) بن حنبل واسحاق(٤) بن راهويه : هو كافر ، واستدلوا بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وبقوله صلى الله عليه وسلم : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » .

(فصل) وقد ورد فى الحديث(٥) : « أن من حافظ على الصلوات المكتوبة اكرمه الله تعالى بخمس كرامات : يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويدخل الجنة بغير حساب » ومن تهاون بها عاقبه الله تعالى بخمسة عشر عقوبة خمس فى الدنيا وثلاثة عند الموت وثلاث فى القبر وثلاث عند خروجه من القبر فاما اللاتى فى الدنيا فالاول ينزع البركة من عمره والثانية يمحى سيماء الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء والخامسة

---

(١) ابن يزيد أبو عمران الكوفى النخعى من رجال الكتب الستة توفى سنة ٩٦ هـ .

(٢) أحد الأئمة الأعلام من رجال الكتب الستة توفى سنة ١٣١ هـ .

(٣) الامام العالم شيخ المحدثين وأحد فقهاء الأمصار شيخ البخارى ومسلم وابى داوود مات سنة ٢٤١ هـ .

(٤) اسحاق بن ابراهيم بن محمد الحنظلى أبو محمد المشهور بابن راهويه الامام الفقيه الحافظ مات سنة ٢٣٨ هـ .

(٥) هذا الحديث لم يصح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان رواه بعضهم والمصنف رحمه الله تعالى وان كان من الحفاظ المحققين فقد تساهل فى هذا الكتاب فى كثير من الأحاديث اهـ من هامش الأصل النجدى (قلت) عزاه السيوطى فى ذيل الموضوعات الى ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد ثم نقل عن الميزان هذا حديث باطل ركبه محمد بن على بن العباس على أبى بكر بن زياد النيسابورى وعن اللسان هو ظاهر البطلان من أحاديث الطرقية اهـ .

ليس له حظ فى دعاء الصالحين ، وأما اللاتى تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلا والثانية يموت جائعا والثالثة يموت عطشانا ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه ، وأما التى تصيبه فى قبره فالأولى يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارا يتقلب على الجمر ليلا ونهارا والثانية يسلط عليه فى قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار واظافره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء وأضربك على تضييع صلاة العشاء الى الصبح فكلما ضربه ضربة يغوص فى الأرض سبعين ذراعا فلا يزال فى الأرض معذبا الى يوم القيامة • وأما اللاتى تصيبه عند خروجه من قبره فى موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار وفى رواية : فانه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات السطر الأول:يا مضيع حق الله السطر الثانى:يا مخصوصا بغضب الله السطر الثالث: كما ضيعت فى الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدى الله عز وجل فيأمر به الى النار فيقول : يارب •• لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بى كاذبا •

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لأصحابه : « اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما » ثم قال صلى الله عليه وسلم : « أتدرون من الشقى المحروم » ؟ قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : « تارك الصلاة » •

وروى أنه أول من يسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة وان فى جهنم واديا يقال له : الملحم فيه حيات كل حية(١)ثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهزى لحمه •

(حكاية) روى أن امرأة من بنى اسرائيل جاءت الى موسى عليه السلام فقالت : يا رسول الله •• انى أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت منه الى الله تعالى فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب على فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك قالت : يا نبى الله •• انى زنيت وولدت ولدا فقتلته فقال لها موسى عليه السلام : اخرجى يا فاجرة لا تنزل نارا من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا موسى •• الرب تعالى

---

(١) وصف حيات جهنم جاء فى حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى عند احمد والطبرانى عن طريق ابن لهيعة عن دراج عنه وكذا رواه ابن حبان فى صحيحه عن طريق عمرو بن الحارث عن دراج عنه وقال الحاكم : صحيح الاسناد ا هـ منذرى •

يقول لك : لم رددت التائبة ؟ يا موسى ·· اما وجدت شرا منها ؟ قال موسى : يا جبريل ·· ومن هو شر منها ؟ قال : تارك الصلاة عامدا متعمدا ·

(**حكاية أخرى**) عن بعض السلف أنه أتى أختا له ماتت فسقط كيس منه فيه مال فى قبرها فلم يشعر به أحد حتى أنصرف عن قبرها ثم ذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع الى امه باكيا حزينا فقال : يا أماه ·· أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمى ·· رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال : فبكت وقالت : يا ولدى· كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلى ؟ فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها فى أوقاتها انه جواد كريم ·

(**فصل**) فى عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها وقد روى فى تفسير قوله تعالى : « **فويل للمصلين · الذين هم عن صلاتهم ساهون** »(١) أنه الذى ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها ·

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له : « ارجع فصل فانك لم تصل » فرجع فصلى كما صلى ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال : «ارجع فصل فانك لم تصل» فرجع فصلى كما صلى ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام وقال : « ارجع فصل فانك لم تصل» ثلاث مرات فقال فى الثالثة : والذى بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمنى فقال صلى الله عليه وسلم : « اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا وافعل ذلك فى صلاتك كلها » وروى الامام أحمد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود » ورواه أبو داوود أيضا والترمذى وقال : حديث حسن صحيح وفى رواية أخرى : « حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود » ·

وهذا نص عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان فصلاته باطلة وهذا فى صلاة الفرض وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو فى موضعه ·

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أشد الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » قيل : وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها

---

(١) الماعون : ٤ ، ٥ ·

ولا القراءة فيها »(*) وروى الامام أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله الى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده »(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا »(٢).

وعن ابى موسى قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بأصحابه ثم جلس فدخل رجل فقام يصلى فجعل يركع وينقر سجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترون هذا ؟ لو مات مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم » (أخرجه أبو بكر بن خزيمة فى صحيحه) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مصل الا وملك عن يمينه وملك عن يساره فان أتمها عرجا بها الى الله تعالى وان لم يتمها ضربا بها وجهه »(٣) .

وروى البيهقي بسنده(٤) عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام الى الصلاة فيتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظتنى ثم صعد بها الى السماء ولها ضوء ونور ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهى بها الى الله تعالى فتشفع لصاحبها واذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها الا قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتنى ثم صعد بها الى السماء وعليها ظلمة فأغلقت دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها» .

وعن سلمان(٥) الفارسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة مكيال فمن وفى وفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله فى المطففين » . قال تعالى : ((ويل للمطففين))(٦) والمطفف هو المنقص للكيل

(*) رواه أحمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبى قتادة قاله العراقى وكذا رواه أحمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه بلفظ : « أسوأ الناس » .. الخ أفاده المنذرى .

(١) باسناد صحيح قاله العراقى . (٢) متفق عليه من حديث أنس .

(٣) رواه الدارقطنى فى الافراد وهو ضعيف ا هـ من الجامع الصغير للسيوطى .

(٤) رواه الطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بسند ضعيف قاله العراقى (قلت) جاء ضعفه من الأحوص بن حكيم .

(٥) فى المسند عن سالم بن أبى الجعد عن سلمان قاله ابن القيم فى رسالته فى الصلاة (قلت) فيه انقطاع بين سالم وسلمان .

(٦) المطففين : ١ .

أو الوزن أو الذرع أو الصلاة وعدهم الله بويل وهو واد فى جهنم تستغيث جهنم من حره نعوذ بالله منه ٠

وعن ابن عباس(١) رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الارض فان الله تعالى أوحى الى أن أسجد على سبعة اعضاء الجبهة والأنف والكفين والركبتين ، وصدور القدمين وأن لا أكف شعرا ولا ثوبا فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته » ٠

وروى البخارى عنحذيفة بن اليمان رضى الله عنه رأى رجلا يصلى ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة : ما صليت ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وسلم ٠

وفى رواية أبى داوود انه قال : منذ كم تصلى هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة قال : ما صليت منذ أربعين سنة شيئا ولو مت مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ٠

وكان الحسن البصرى يقول : يا ابن آدم ٠٠ اى شىء يعز عليك من دينك اذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسئل عنها يوم القيامة ، كما تقدم من قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر فان انتقص من الفريضة شىء يقول الله تعالى انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله كذلك »(٢) ٠

فينبغى للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه ، وبالله التوفيق ٠

(**فصل**) فى عقوبة تارك الصلاة (فى جماعة) مع القدرة قال الله تعالى : **« يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ٠ خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون»**(٣) وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا فى الدنيا يدعون الى السجود ٠

قال ابراهيم التيمى : يعنى الى الصلاة المكتوبة بالأذان والاقامة وقال سعيد بن المسيب كانوا يسمعون : « حى على الصلاة ، حى على الفلاح » فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون ٠

---

(١) حديث ابن عباس أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يسجد على سبعة أعضاء ٠٠ الخ متفق عليه وروى اسماعيل بن عبد الله المعروف بسمويه فى فوائده عن عكرمة عن ابن عباس : « اذا سجد أحدكم فليضع أنفه على الأرض فانكم قد أمرتم بذلك » أ هـ من نيل الأوطار ٠

(٢) رواه الترمذى وغيره وقال : حسن غريب أ هـ منذرى ٠

(٣) القلم : ٤٢ ، ٤٣ ٠

وقال كعب الأحبار : والله ما نزلت هذه الآية الا فى الذين تخلفوا عن الجماعة فأى وعيد أشـد وابلغ من هذا لمن ترك الصلاة فى الجماعة مع القدرة على اتيانها • وأما من السنة فما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشـهدون الصلاة فى الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم بالنار الا على ترك واجب مع ما فى البيوت من الذرية والمتاع •

وفى صحيح مسلم أن رجلا أعمى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ·· ليس لى قائد يقودنى الى المسجد وسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يرخص له أن يصلى فى بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال : « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم ·· قال : « فأجب » ورواه أبو داوود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ·· ان المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار - أى بعيد الدار - ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة ان أصلى فى بيتى فقال : « هل تسمع النداء » ؟ قال : نعم ·· قال : « فأجب فانى لا أجد لك رخصة » •

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجـد من المشقة فى مجيئه الى المسجد وليس له قائد يقوده الى المسجد ومع هذا لم يرخص له النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فى بيته فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له ولهذا لما سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا يجمع فقال : ان مات على هذا فهو فى النار(١) •

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : لأن تمتلىء اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب(٢) •

وروى(٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر ، قيل : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التى صلى » يعنى فى بيته •

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوماً وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع : (حى على الصلاة ، حى على الفلاح) ثم لم يجب » •

---

(١) رواه الترمذى موقوفا قاله المنذرى •

(٢) عزاه الشيخ ابن القيم فى كتاب الصلاة له الى وكيع عن عبد الرحمن ابن حصين عن أبى نجيح المكى عنه •

(٣) رواه أبو داوود وابن حبان فى صحيحه وابن ماجة قاله المنذرى •

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد قيل : ومن جار المسجد ؟ قال : من سمع الأذان(١) ٠

وروى(٢) البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : من سره أن يلقى الله غدا مسلما - يعنى يوم القيامة - فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فان الله شرع لنبيكم سنن الهدى وانهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق أو مريض ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام فى الصف أو حتى يجىء الى المسجد لأجل صلاة الجماعة ٠

وكان الربيع(٣) بن خيثم قد سقط شقه فى الفالج فكان يخرج الى الصلاه يتوكأ على رجلين فيقال له : يا أبا محمد٠٠ قد رخص لك أن تصلى فى بيتك أنت معذور فيقول : هو كما تقولون ولكن أسمع المؤذن يقول : « حى على الصلاة ، حى على الفلاح » فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل ٠

وقال حاتم الأصم : فاتتنى مرة صلاة الجماعة فعزانى ابو اسحاق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى اكثر من عشرة آلاف انسان لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا ٠

وكان بعض السلف يقول : ما فاتت احدا صلاة الجماعة الا بذنب أصابه وقال ابن عمر : خرج عمر يوما الى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر : انا لله وانا اليه راجعون فاتتنى صلاة العصر فى الجماعة اشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضى الله عنه ، والحائط : البستان فيه النخل ٠

(**فصل**) ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد فان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان هاتين الصلاتين اثقل الصلوات على المنافقين - يعنى العشاء والفجر - ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوا »(٤) ٠

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عن وكيع عن سفيان عن أبى حيان التيمى عن أبيه عنه كما فى كتاب الصلاة للشيخ ابن القيم ٠

(٢) عزاه فى الترغيب والترهيب الى صحيح مسلم وأبى داوود وكذلك عزاه المصنف فى الصغرى والطيبى نقله عنه الفتح فما هنا من عزوه للبخارى سبق قلم أو تحريف من النساخ ، والله أعلم ٠

(٣) مخضرم قال له ابن مسعود : لو رآك النبى صلى الله عليه وسلم لأحبك ، توفى سنة ٦٤ ١٠ هـ خلاصة ٠

(٤) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة قاله المنذرى ٠

وقال ابن عمر : كنا اذا تخلف منا انسان فى صلاة العشاء والصبح فى الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق(١) ٠

(حكاية) عن عبيد الله بن عمر القواريرى(٢) رضى الله عنه قال : لم تكن تفوتنى صلاة العشاء فى الجماعة قط فنزل بى ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتنى صلاة العشاء فى الجماعة فخرجت أطلب الصلاة فى مساجد البصرة فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد فرجعت الى بيتى وقلت : قد ورد فى الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة ثم نمت فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيل وأنا أيضا على فرس ونحن نستبق وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم فالتفت الى أحدهم فقال لى : لا تتعب فرسك فلست تلحقنا قلت : ولم ؟ قال : لأنا صلينا العشاء فى جماعة وأنت صليت وحدك فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك فنسأل الله المعونة والتوفيق انه جواد كريم ٠

* * *

الكبيرة الخامسة : منع الزكاة

قال تعالى : ((ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم،سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة))(٣) وقال تعالى: ((وويل للمشركين ٠ الذين لا يؤتون الزكاة))(٤) فسماهم المشركين وقال تعالى: ((والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ٠ يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون))(٥) ٠

وثبت(٦) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبيه وظهره كلما بردت اعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » قيل : يا رسول الله ٠٠ فالابل ؟ قال : « ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع(٧) قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليها أولها رد عليه آخرها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى

---

(١) رواه البزار والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه قاله المنذرى ٠
(٢) شيخ البخارى ومسلم وأبى داوود مات سنة ٢٣٥ هـ ٠ اهـ خلاصة ٠
(٣) آل عمران : ١٨٠ ٠ (٤) فصلت : ٦ ، ٧ ٠
(٥) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ ٠
(٦) رواه البخارى ومسلم بهذا اللفظ والنسائى مختصرا ٠ ا هـ منذرى ٠
(٧) هو المستوى من الأرض الأملس ٠

يقضى الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » قيل : يا رسول الله ٠٠ فالبقر والغنم ؟ قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء(١) ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها(٢) كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » ٠

وقال صلى الله عليه وسلم : « اول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله تعالى من ماله وفقير فخور »(٣) ٠

وعن ابن عباس(٤) رضى الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت فقال له رجل : اتق الله يا ابن عباس ٠٠ فانما يسأل الرجعة الكفار فقال ابن عباس : سأتلو عليك بذلك قرآنا قال الله تعالى : ((**وانفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى اجل قريب فاصدق**))(٥) أى أؤدى الزكاة (**واكن من الصالحين**)(٦) اى أحجج قيل له :فيم تجب الزكاة ؟ قال : اذا بلغ المال مائتى درهم وجبت فيه الزكاة قيل : فما يوجب الحج قال : الزاد والراحلة ٠

ولا تجب الزكاة فى الحلى المباح اذا كان معدا للاستعمال فان كان معدا للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة ٠

وتجب فى قيمة عروض التجارة وعن ابى هريرة رضى الله عنة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه (أى بشدقيه) فيقول : أنا مالك ٠٠ أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية : ((**ولا يحسبن الذين**

---

(١) العقصاء : الملتوية القرن ، والجلحاء : التى لا قرن لها ، والعضباء : المكسورة القرن ٠

(٢) الاظلاف للبقر والغنم كالحافر للفرس ٠

(٣) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما وفى حديث أبى هريرة ا هـ منذرى ٠

(٤) عزاه ابن كثير فى تفسيره الى الترمذى بسنده الى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رواه مرفوعا ثم قال : وهو عن ابن عباس من قوله أصح قال ابن كثير : ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع ا هـ٠

(٥) المنافقون : ١٠ ٠ (٦) المنافقون : ١٠ ٠

يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »(١) أخرجه البخاري ·

وعن ابن مسعود(٢) رضي الله عنه في قوله تعالى في مانعي الزكاة : **« يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم »**(٣) · قال : لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته ·

فإن قيل : لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي ؟ قيل : لأن الغني البخيل اذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبيه فاذا قرب منه ولى بظهره فعوقب بكي هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل ·

قال صلى الله عليه وسلم(٤) : « خمس بخمس » قالوا : يا رسول الله ·· وما خمس بخمس ؟ قال : « ما نقض قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت(٥) ولا طففوا المكيال والميزان الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر » ·

(موعظة) قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم – انما في غد ثبورهم – ما نفعهم ما جمعوا – اذ جاء محذورهم – يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم – فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم – يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم – أخذ المال الى دار ضرب العقاب فجعل في بودقة(٦) ليحمى ليقوى العذاب فصفح صفائح كي يعم الكي الاعاب ثم جيء بمن عن الهدى قد غاب – يسعى الى مكان لا مع قوم يسعى نورهم – ثم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم – اذا لقيهم الفقير لقي الأذى – فان طلب منهم شيئا طار(٧) منهم لهب الغضب كالجذا(٨) – فان لطفوا به قالوا : أغنتكم

---

(١) ال عمران : ١٨٠ ·

(٢) رواه الطبراني في الكبير باسناد صحيح اهـ منذري ·

(٣) التوبة : ٣٥ ·

(٤) ذكر بنحو هذا اللفظ المنذري وقال : رواه الطبراني من حديث ابن عباس وسنده قريب من الحسن وله شواهد اهـ ·

(٥) وفي نسخة : الجنون ·

(٦) البودقة أو البوتقة هو ما يصهر فيه الفلزات كالحديد والذهب والفضة ·

(٧) وفي نسخة : نار ·

(٨) الجذوة : الجمرة الملتهبة بضم الجيم وتفتح جمعها جذى مثل مدى وقرى وتكسر أيضا فتكسر في الجمع مثل جذية وجذى اهـ مصباح ·

ذا ـ وسؤال هذا لذا(١) ـ ولو شاء ربك لأغنى المحتاج واعوز ذا ـ ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا ـ واعجبا كم يلقاهم من غم اذا ضمتهم قبورهم ـ يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم سياخذها الوارث منهم من غير تعب ـ ويسئل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب ألا ان الشوك له وللوارث الرطب ـ أين حرص الجامعين أين عقولهم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ـ لو رايتهم فى طبقات النار ـ يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار ـ وقد غلت اليمين مع اليسار لما(٢) بخلوا مع الايسار ـ لو رأيتهم فى الجحيم يسقون من الحميم ـ وقد ضج صبورهم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ـ كم كانوا يوعظون فى الدنيا وما فيهم من يسمع ـ كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع ـ كم انبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدافع ـ فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعا أقرع ـ فما هى عصا موسى ولا طورهم ـ يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ٠

(حكاية) روى عن محمد بن يوسف(٣) الفريابى قال : خرجت أنا وجماعة من أصحابى(٤) فى زيارة سنان رحمه الله فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال : قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجلسنا نسليه ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية فقلنا : اما تعلم ان الموت سبيل لابد منه قال : بلى ولكن ابكى على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب ، فقلنا له : هل اطلعك الله على الغيب ؟ قال : لا ٠٠ ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره اذ صوت من قبره يقول : آه ٠٠ أقعدونى وحيدا اقاسى العذاب قد كنت اصلى قد كنت أصوم قال : فابكانى كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله واذا القبر يشتعل عليه نارا وفى عنقه طوق من نار فحملتنى شفقة الأخوة ومددت يدى لأرفع الطوق عن رقبته فاحترقت أصابعى ويدى ثم اخرج الينا يده فاذا هى سوداء محترقة قال : فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا إبكى

---

(١) وفى نسخة : لهذا ٠ (٢) وفى نسخة : مما ٠

(٣) هو صاحب الثورى واحمد واسحاق والبخارى ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفى سنة ٢١٢ هـ ٠

(٤) مما يدل على التخليط والاختلاف فى هذه الحكاية ما ذكر فى آخرها أنهم أتوا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا له القصة وقد توفى ابو ذر قبل ولادة محمد بن يوسف الفريابى باكثر من ثمانين سنة فكيف يلتقيان ٠

على حاله وأحزن عليه ؟ فقلنا : فما كان أخوك يعمل فى الدنيا قال : كان لا يؤدى الزكاة من ماله قال : فقلنا : هذا تصديق قوله تعالى : ((**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**))(١) وأخوك عجل له العذاب فى قبره الى يوم القيامة قال : ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له قصة الرجل وقلنا له : يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم ذلك فقال : أولئك لا شك انهم فى النار وانما يريكم الله فى اهل الايمان لتعتبروا قال الله تعالى : ((**فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، وما أنا عليكم بحفيظ**))(٢) فنسأل الله العفو والعافية انه جواد كريم .

* * *

الكبيرة السادسة : افطار يوم من رمضان بلا عذر

قال الله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر**))(٣) .

وثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان)) .

وقال صلى الله عليه وسلم(٤) : ((من أفطر يوماً من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وان صامه)) وعن ابن عباس رضى الله عنهما : ((عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا اله الا الله والصلاة وصوم رمضان)) فمن ترك واحدة منهن فهو كافر . نعوذ بالله من ذلك .

* * *

الكبيرة السابعة : فى ترك الحج مع القدرة عليه

قال الله تعالى : ((**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا**))(٥) .

---

(١) آل عمران : ١٨٠ .　　　(٢) الأنعام : ١٠٤ .

(٣) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٤) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه كلهم من رواية ابن المطوس وقيل : أبى المطوس عن أبيه عن أبى هريرة وذكره البخارى تعليقا غير مجزوم ويذكره عن أبى هريرة رفعه .. الخ قال البخارى : لا أدرى سمع أبوه من أبى هريرة أم لا وقال ابن حبان : لا يحتج بما انفرد به والله أعلم اهـ منذرى وقال المصنف فى الصغرى : هذا لم يثبت اهـ .

(٥) آل عمران : ٩٧ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم(١) : « من ملك زادا وراحله تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » وذلك لأن(٢) الله تعالى يقول : ((**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا**)) .

وقال عمر بن الخطاب(٣) رضى الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالا الى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليه الجزية وما هم بمسلمين .

وعن ابن عباس(٤) رضى الله عنهما قال : ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله الا سأل الرجعة عند الموت فقيل له : انما يسأل الرجعة الكفار قال : وان ذلك فى كتاب الله تعالى : ((**وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق**))(٥) أى أؤدى الزكاة ((**وأكن من الصالحين**))(٦) أى أحج ((**ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون**))(٧) قيل : فيم تجب الزكاة قال : بمائتى درهم وقيمتها من الذهب قيل : فما يوجب الحج؟قال : الزاد والراحلة . وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال : مات لى جار موسر لم يحج فلم أصل عليه .

❊ ❊ ❊

الكبيرة الثامنة : عقـوق الوالدين

قال الله تعالى : ((**وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا**))(٨) أى برا بهما وشفقة وعطفا عليهما ((**اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما**))(٨) أى لا تقل لهما بتبرم اذا كبرا وأسنا وينبغى أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوى وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك وأنت ان حملت أذاهما رجوت موتهما ثم قال تعالى : ((**وقل لهما قولا كريما**))(٨) أى لينا لطيفا ((**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**))(٩) وقال تعالى : ((**أن أشكر لى ولوالديك الى المصير**))(١٠) .

---

(١) رواه الترمذى والبيهقى من رواية الحارث - أى الأعور - عن على. قال الترمذى : غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقى من حديث أبى أمامة أ هـ منذرى .

(٢) وفى نسخة : بأن ، وفى نسخة : أن .

(٣) رواه سعيد بن منصور فى سننه عن الحسن البصرى قال : قال عمر فذكره قاله ابن كثير فى تفسيره .

(٤) تقدم فى منع الزكاة .

(٥) المنافقون : ١٠ .

(٦) المنافقون : ١٠ .

(٧) المنافقون : ١١ .

(٨) الاسراء : ٢٣ .

(٩) الاسراء : ٢٤ .

(١٠) لقمـان : ١٤ .

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره قال ابن عباس رضى الله عنهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها :

(احداها) قوله تعالى : ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول))(١) فمن اطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه ٠

(الثانية) قوله تعالى : ((وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة))(٢) فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه ٠

(الثالثة) قوله تعالى : ((أن أشكر لى ولوالديك))(٣) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رضا الله فى رضا الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين »(٤) ٠

وعن ابن عمرو رضى الله عنهما قال : جاء رجل يستاذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد معه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أحى والداك » ؟ قال : نعم ٠٠ قال : « ففيهما فجاهد » (مخرج (٥) فى الصحيحين) فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد ٠

وفى الصحيحين(٦) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا انبئكم باكبر الكبائر : الاشراك بالله وعقوق الوالدين »(٧) فانظر كيف قرن الاساءة اليهما وعدم البر والاحسان بالاشراك وفى الصحيحين ايضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر » وعنه صلى الله عليه وسلم قال(٨) : « لو علم الله شيئا أدنى من الأف لنهى عنه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار » وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله العاق لوالديه » وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله من سب اباه ، لعن الله من سب أمه »(٩)

---

(١) النساء : ٥٩ ، النور : ٥٤ ٠

(٢) النور : ٥٦ ٠ (٣) لقمان . ١٤ ٠

(٤) رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو ورجح وقفه عليه وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم وله شاهد عن ابى هريرة عند الطبرانى بلفظ : طاعة الله ٠٠ الخ اهـ منذرى ٠

(٥) وكذا رواه أبو داوود والترمذى والنسائى كلهم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص اهـ منذرى ٠

(٦) وكذا رواه الترمذى ثلاثتهم من حديث أبى بكرة اهـ منه ٠

(٧) تمامه : وكان متكئا فجلس فقال : « ألا وقول الزور وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت ٠

(٨) رواه الديلمى من حديث أحرم بن حوشب بسنده الى الحسين بن على وأحرم كذاب قاله فى ذيل اللآلىء للسيوطى ٠

(٩) رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عباس اهـ منذرى ٠

وقال صلى الله عليه وسلم(١) : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء الى يوم القيامه الا عقوق الوالدين فانه يعجل لصاحبه » يعنى العقوبة فى الدنيا قبل يوم القيامة ٠

وقال كعب الأحبار رحمه الله : أن الله ليعجل هلاك العبد اذا كان عاقا لوالديه ايعجل له العذاب وان الله ليزيد فى عمر العبد اذا كان بارا بوالديه ليزيده برا وخيرا ومن برهما أن ينفق عليهما اذا احتاجا(٢) فقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ٠٠ ان ابى يريد أن يجتاح مالى فقال صلى الله عليه وسلم : « أنت ومالك لأبيك » وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو ؟ قال : هو اذا أقسم عليه ابوه أو امه لم يبر قسمهما واذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما واذا سألاه شيئا لم يعطهما واذا ائتمناه خانهما٠

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما(٣) عن أصحاب الأعراف من هم وما الأعراف ؟ فقال : أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار وانما سمى الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أسجار وثمار وأنهار وعيون وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا الى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا فى الجهاد فمنعهم القتل فى سبيل الله عن دخول النار ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره ٠

وفى الصحيحين(٤) ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ٠٠ من أحق الناس منى بحسن الصحبة ؟ قال : « أمك » ٠ قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال ثم من ؟ قال : « أمك » ٠ قال ثم من ؟ قال : « أبوك ، ثم الأقرب فالأقرب » فحض على بر الأم ثلاث مرات وعلى بر الأب مرة واحدة وما ذاك الا لأن عناءها أكثر وشفقتها أعظم مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل ٠

---

(١) رواه الحاكم من حديث أبى بكرة وقال : صحيح الاسناد ا هـ منذرى٠

(٢) رواه ابن ماجه من حديث يوسف بن اسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكره وكذا أخرجه من هذا الوجه الطحاوى وبقى بن مخلد والطبرانى فى الأوسط وله طرق أخرى عدها السخاوى فى المقاصد الحسنة ٠

(٣) رواه سعيد بن منصور عن أبى معشر عن يحيى بن شبل عن يحيى ابن عبد الرحمن المدنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم وكذا رواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبى حاتم من طرق عن أبى معشر به وروى مرفوعا عند ابن ماجه فى حديث ابن عباس وجابر وتوقف ابن كثير فى صحة المرفوع وقال : وقصاراها أن تكون موقوفة ا هـ ٠

(٤) وفى نسخة : وفى الصحيح ٠

رأى ابن عمر رضى الله عنهما رجلا قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال : يا ابن عمر ٠٠ أترانى جازيتها قال : ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد احسنت ، والله يثيبك على القليل كثيرا ٠

وعن أبى هريرة رضى الله عنه(١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم ظلما والعاق لوالديه الا أن يتوبوا » وقال صلى الله عليه وسلم(٢) : «الجنة تحت أقدام الأمهات» وجاء رجل(٣) الى أبى الدرداء رضى الله عنه فقال : يا أبا الدرداء٠٠انى تزوجت امرأة وان أمى تأمرنى بطلاقها فقال ابو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « الوالد اوسط أبواب الجنة فان شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه » وقال(٤) صلى الله عليه وسلم : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده » وقال صلى الله عليه وسلم(٥) : « الخالة بمنزلة الأم » أى فى البر والاكرام والصلة والاحسان وعن وهب بن منبه قال : ان الله تعالى أوحى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه : « يا موسى ٠٠ وقر والديك فان من وقر والديه مددت فى عمره ووهبت له ولدا يوقره ومن عق والديه قصرت فى عمره ووهبت له ولدا يعقه » ٠

وقال أبو بكر بن أبى مريم : قرأت فى التوراة أن من يضرب أباه يقتل وقال وهب : قرأت فى التوراة : على من صك والده الرجم ٠

وعن عمرو بن مرة الجهنى(٦) قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ٠٠ أرأيت اذا صليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وأديت الزكاة وحججت البيت فماذا لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد (قال الحافظ) ــ المنذرى ــ فيه ابراهيم بن خيثم بن عراك وهو متروك ا هـ ترهيب ٠

(٢) روى نحوه ابن ماجه والنسائى والحاكم من حديث جاهمة بلفظ : «هل لك أم» قال : نعم ٠٠ قال : «فالزمها فان الجنة تحت رجلها» ا هـ منذرى٠

(٣) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : صحيح وابن حبان نحوه وله شاهد عن ابن عمر رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه وابن حبان وقال : الترمذى حسن صحيح ا هـ منذرى ٠

(٤) قال المنذرى : وفى رواية : حسنه الترمذى فذكره كما هنا عن أبى هريرة ثم قال وروى أبو داوود هذه بتقديم وتأخير وله شاهد من حديث عقبة بن عامر عند الطبرانى باسناد صحيح ا هـ ترغيب ملخصا ٠

(٥) صححه الترمذى قاله المصنف فى رسالته الصغرى ٠

(٦) رواه أحمد والطبرانى باسنادين أحدهما صحيح ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما باختصار ا هـ منه ٠

« من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الا أن يعق والديه » وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله العاق والديه »(١) وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأيت ليلة أسرى بى أقواما فى النار معلقين فى جذوع من نار فقلت : يا جبريل ٠٠ من هؤلاء ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم فى الدنيا » ٠

وروى أنه من شتم والديه ينزل عليه فى قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء الى الأرض ٠ ويروى أنه اذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه واشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزانى والعاق لوالديه ٠

وقال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها الا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله والنظر اليها أفضل من كل شىء وجاء رجل وامراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان فى صبى لهما ، فقال الرجل : يا رسول الله ٠٠ ولدى خرج من صلبى ٠وقالت المرأة : يا رسول الله ٠٠ حمله خفا ووضعه شهوة وحملته كرها ووضعته كرها وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه(٢) ٠

(موعظة) أيها المضيع لآكد الحقوق ، المعتاض من بر الوالدين العقوق ، الناسى لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باتباع الشين ، تطلب الجنة بزعمك ، وهى تحت اقدام أمك ، حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج ٠ وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبنا ، واطارت لأجلك وسنا ، وغسلت بيمينها عنك الأذى ، وآثرتك على نفسها بالغذا وصيرت حجرها لك مهدا ، وأنالتك احسانا ورفدا . فان أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ، وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا ، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا فلما احتاجت عند الكبر اليك ، جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فشبعت وهى جائعة ورويت وهى قانعة ٠ وقدمت عليها أهلك وأولادك بالاحسان ٠ وقابلت اياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير وطال عليك عمرها وهو قصير وهجرتها وما لها سواك نصير ، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف وعاتبك فى حقها بعتاب لطيف ستعاقب فى دنياك بعقوق

---

(١) قال المصنف فى الصغرى : اسناده حسن ٠

(٢) روى أحمد وأبو داوود من حديث عمرو بن شعيب عن جده نحو هذا الحديث ٠

البنين ، وفى أخراك بالبعد من رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد : ((ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد))(١) •

لأمك حق لو علمت كثير ... كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى ... لها من جواها أنة وزفير
وفى الوضع لو تدرى عليها مشقة ... ومن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها الا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها ... حنانا وإشفاقا وأنت صغير
فآها لذى عقل ويتبع الهوى ... وآها لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب فى عميم دعائها ... فأنت لما تدعو اليه فقير

حكى(٢) أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد فى طاعة الله فى الصلاة والصوم والصدقة فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان زوجى علقمة فى النزع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم عمارا وصهيبا وبلالا وقال : «امضوا اليه ولقنوه الشهادة» فمضوا اليه ودخلوا عليه فوجدوه فى النزع فجعلوا يلقنونه (لا اله الا الله) ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هل من أبويه أحد حى » ؟ قيل : يا رسول الله •• أم كبيرة السن فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الرسول : « قل لها ان قدرت على المسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فقرى فى المنزل حتى يأتيك »قال : فجاء اليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : نفسى فداء أنا أحق باتيانه فتوكأت وقامت على عصا وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت فرد عليها السلام وقال لها : يا أم علقمة •• أصدقينى وان كذبتنى جاء الوحى من الله تعالى ، كيف كان حال ولدك علقمة قالت : يا رسول الله كان كثير الصمت كثير

---

(١) الحج : ١٠ •

(٢) فى الترغيب والترهيب : روى عن عبد الله بن أبى أوفى قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه ـ فذكر قصة نحو هذه القصة التى هنا ثم قال : رواه الطبرانى وأحمد مختصرا ا هـ وذكرها ابن الجوزى فى الموضوعات بدون تسمية الشاب ثم قال : لا يصح فائد ـ أى ابن عبد الرحمن العطار ـ متروك قال العقيلى : لا يتابع عليه وداوود ـ يعنى ابن ابراهيم قاضى قزوين ـ كذاب أ هـ ونازعه السيوطى بأن داوود لم ينفرد به ثم ساقه الى الخرائطى فى مساوىء الأخلاق والبيهقى فى شعب الايمان والطبرانى كلها من طريق فائد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبى أوفى نحوه •

الصيام كثير الصدقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما حالك ؟ قالت : يا رسول الله أنا عليه ساخطة قال : ولم ؟ قالت : يا رسول الله كان يؤثر على زوجته ويعصيني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان سخط أم علقمه حجب لسان علقمة عن الشهادة ثم قال : يا بلال انطلق واجمع لى حطبا كثيرا قالت : يا رسول الله وما تصنع ؟ قال : أحرقه بالنار بين يديك قالت : يا رسول الله ولدى لا يحتمل قلبى أن تحرقه بالنار بين يدى قال : يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى فان سرك أن يغفر الله له فارضى عنه والذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة فقالت : يا رسول الله انى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت عن ولدى علقمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انطلق يا بلال اليه وانظر هل يستطيع أن يقول : (لا اله الا الله) أم لا فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء منى فانطلق بلال فسمع علقمة من داخل الدار يقول : (لا اله الا الله) فدخل بلال فقال : يا هؤلاء ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وان رضاها أطلق لسانه ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ثم قام على شفير قبره وقال : « يا معشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا الا أن يتوب الى الله عز وجل ويحسن اليها ويطلب رضاها فرضا الله فى رضاها وسخط الله فى سخطها » نسأل الله أن يوفقنا لرضاه وأن يجنبنا سخطه انه جواد كريم رؤوف رحيم •

* * *

الكبيرة التاسعة : هجر الأقارب

قال الله تعالى : ((**واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام**))(١) أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقال تعالى : ((**فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم • أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم**))(٢) وقال تعالى : ((**الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق • والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب**))(٣) وقال الله تعالى : ((**يضل به**))(٤) أى بالقرآن ((**كثيرا ويهدى به كثيرا ، وما يضل به الا الفاسقين • الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون**))(٤) أعظم ذلك ما بين العبد وبين الله ما عهده الله على العبيد •

---

(١) النساء : ١ • (٢) محمد : ٢٢ ، ٢٣ •
(٣) الرعد : ٢٠ ، ٢١ • (٤) البقرة : ٢٦ ، ٢٧ •

وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره واحسانه وكان غنيا وهم فقراء فهو داخل فى هذا الوعيد محروم عن دخول الجنة الا أن يتوب الى الله عز وجل ويحسن اليهم وقد ورد فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال . « من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن اليهم ويصرف صدقته الى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر اليه يوم القيامة »(١) وان كان فقيرا وصلهم بزيارتهم والتفقد لأحوالهم لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « صلوا أرحامكم ولو بالسلام » ٠

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه »(٢) وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى من اذا قطعت رحمه وصلها » ٠

وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : أنا الرحمن ٠٠ وهى الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته »(٣) وعن على بن الحسين رضى الله عنهما انه قال لولده : يا بنى ٠٠ لا تصحبن قاطع رحم فانى وجدته ملعونا فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع ٠

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه(٤) أنه جلس يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :أحرج على كل قاطع رحم الا قام من عندنا فلم يقم أحد الا شاب من أقصى الحلقة فذهب الى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها فقالت له عمته : ما جاء بك يا ابن أخى ؟ فقال : انى جلست الى أبى هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال : أحرج على كل قاطع رحم الا قام من عندنا ، فقالت عمته : ارجع الى أبى هريرة واسأله لم ذلك ؟ فرجع اليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله : لم لا يجلس عندك قاطع رحم ؟ فقال أبو هريرة : انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم » ٠ وحكى أن رجلا من الأغنياء حج الى بيت الله الحرام فلما وصل الى مكة أودع من ماله الف دينار عند رجل كان موسوما بالأمانة والصلاح الى

---

(١) رواه الطبرانى ورواته ثقات من حديث أبى هريرة وفى سنده عبد الله بن عامر الأسلمى قال أبو حاتم : ليس بالمتروك ا هـ منذرى ٠

(٢) رواه البخارى واللفظ له ، والترمذى ا هـ منذرى ٠

(٣) رواه أبو داوود والترمذى من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه وقال الترمذى حسن صحيح وتعقب المنذرى تصحيحه بأن أبا سلمة لم يسمع من أبيه شيئا ٠

(٤) عزاه فى الترغيب والترهيب الى الأصبهانى من رواية عبد الله ابن أبى أوفى وأشار الى ضعفه وعزاه فى الجامع الصغير الى الأدب المفرد للبخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى ، وضعفه ٠

أن يقف بعرفات فلما وقف بعرفاتٍ ورجع الى مكةٍ وجد الرجل قد مات فسأل اهله عن ماله فلم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له : اذا كان نصف الليل فأت زمزم(١) وانظر فيها وناد : يا فلان ٠٠ باسمه فان كان من أهل الجنة فسيجيبك بأول مرة فمضى الرجل ونادى فى زمزم فلم يجبه أحد فجاء اليوم وأخبرهم فقالوا : « انا لله وانا اليه راجعون »(٢) نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب الى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال انه على فم جهنم فانظر فيه بالليل وناد : يا فلان ٠٠ فان كان من اهل النار فسيجيبك منها فمضى الى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى : يا فلان ٠٠ فأجابه فقال : أين ذهبى قال : دفنته فى الموضع الفلانى من دارى ولم أئتمن عليه ولدى فأتهم واحفر هناك تجده فقال له : ما الذى أنزلك هنا وكنا نظن بك الخير فقال : كان لى أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله سبحانه وتعالى وأنزلنى الله هـذه المنزلة ٠

وتصديق ذلك فى الحديث الصحيح قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع » يعنى قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأقارب فنسأل الله التوفيق لطاعته انه جواد كريم ٠

* * *

الكبيرة العاشرة : الزنـا

وبعضه أكبر من بعض قال الله تعـالى : « ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا »(٣) وقال تعالى : « والذين لا يدعـون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعـل ذلك يلق أثاما ٠ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ٠ الا من تاب »(٤) ٠

وقال تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهمـا مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخـر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »(٥) ٠

---

(١) قال الامام ابن القيم فى كتابه الروح : وأما من قال : ان أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا من سنة يجب التسليم بها ولا قول صاحب يوثق به وليس بصحيح فان تلك البئر لا تسع أرواح المؤمنين جميعهم وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من أن نسمة المؤمنين طائر يعلق فى شجر الجنة وبالجملة فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها ا هـ. وناقش ما قيل ان أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفـار ببئر برهـوت بحضرموت ــ مناقشة طويلة قال فى آخرها : ولعله مما تلقاه ــ يعنى قائله ــ عن اهل الكتاب ا هـ فراجعه فى مسألة الأرواح من كتابه المذكور ٠

(٢) البقرة : ١٥٦ ٠ (٣) الاسراء : ٣٢ ٠

(٤) الفرقان : ٦٨ ــ ٧٠ ٠ (٥) النور : ٢ ٠

قال العلماء : هذا عذاب الزانية والزانى فى الدنيا اذا كانا عزبين غير متزوجين فان كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة فى العمر فانهما يرجمان بالحجارة الى آن يموتا كذلك ثبت فى السنة عن النبى ﷺ فان لم يستوف القصاص منهما فى الدنيا وماتا من غير توبة فانهما يعذبان فى النار بسياط من نار ٠

كما ورد أن فى الزبور مكتوبا ان الزناة معلقون بفروجهم فى النار يضربون عليها بسياط من حديد فاذا استغاث من الضرب نادته الزبانية : أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحى منه ٠

وثبت عن رسول الله ﷺ انه قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن »(١) وقال ﷺ(٢) : « اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان كالظلة على رأسه ثم اذا أقلع رجع اليه الايمان » ٠

وقال ﷺ : « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه »(٣) وفى الحديث النبوى قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر »(٤) وفى رواية زيادة (والديوث)٠

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ٠٠ أى الذنب أعظم عند الله تعالى : قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » فقلت : ان ذلك لعظيم ٠ ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزنى بحليلة جارك »(٥) ـ يعنى زوجة جارك ـ فانزل الله عز وجل تصديق ذلك « **والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق اثاما ٠ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ٠ الا من تاب »**(٦) ٠

فانظر رحمك الله كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله عز وجل الا بالحق وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين ٠

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى من حديث أبى هريرة ٠

(٢) رواه أبو داوود والترمذى والبيهقى من حديث أبى هريرة قاله المنذرى وقال المصنف فى صغراه : هذا على شرط البخارى ومسلم ٠

(٣) رواه الحاكم من حديث أبى هريرة ٠ أفاده المنذرى ٠

(٤) رواه مسلم والنسائى من حديث أبى هريرة ٠

(٥) تقدم تخريجه فى الكبيرة الأولى (الشرك) ٠

(٦) الفرقان : ٦٨ ـ ٧٠ ٠

وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ الذى رواه سمرة بن جندب وفيه انه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال : فانطلقنا فأتينا على مثل التنور اعلاه ضيق واسفله واسع فيه لغط وأصوات قال : فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة فاذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا - أى صاحوا من شدة حره - فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الزناة والزوانى - يعنى من الرجال والنساء - فهذا عذابهم الى يوم القيامة(١) . نسأل الله العفو والعافية .

وعن عطاء(٢) فى تفسير قوله تعالى عن جهنم : ((لها سبعة أبواب))(٣) قال : أشد تلك الابواب غما وحرا وكربا وأنتنها ريحا للزناة الذين ركبوا الزنا بعد العلم . وعن مكحول(٤) الدمشقى قال : يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون : ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة فيقال لهم : هذه فروج الزناة .

وقال ابن زيد(٥) أحد أئمة التفسير : انه ليؤذى أهل النار ريح فروج الزناة وفى العشر الآيات التى كتبها الله لموسى عليه السلام : ولا تسرق ولا تزنى فأحجب عنك وجهى فاذا كان هذا شأن الخطاب لنبيه موسى عليه السلام فكيف بغيره .

وجاء عن النبى ﷺ أن ابليس يبث جنوده فى الأرض ويقول لهم : أيكم أضل مسلما ألبسته التاج على رأسه فأعظمهم فتنة أقربهم اليه منزلة فيجىء اليه أحدهم فيقول له : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته فيقول : ما صنعت شيئا سوف يتزوج غيرها ، ثم يجىء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة فيقول : ما صنعت شيئا سوف يصالحه ، ثم يجىء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى زنى فيقول ابليس : نعم ما فعلت فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه ، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده .

وعن أنس(٦) قال : قال رسول الله ﷺ : ((ان الايمان سربال يسربله الله

---

(١) رواه البخارى فى حديث طويل .

(٢) عطاء اما ابن أبى رباح اليمانى نزيل مكة أحد فقهاء التابعين وأئمتهم المتوفى فى سنة ١١٤هـ واما ابن يسار الهلالى أحد الأعلام من فقهاء التابعين مات سنة ٩٧ أو ١٠٣ .

(٣) الحجر : ٤٤ .

(٤) ثقة من فقهاء التابعين بالشام روى عنه الأوزاعى وغيره مات سنة ١١٣هـ .

(٥) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، جده أسلم وعبد الرحمن ضعيف فى الحديث من قبل حفظه توفى سنة ١٨٢هـ .

(٦) رواه البيهقى فى حديث أبى هريرة قاله المنذرى ونحوه عند أبى داوود ، والترمذى والحاكم اهـ ترغيب وترهيب .

من يشاء فاذا زنا العبد نزع الله منه سربال الايمان فان تاب رده عليه » ، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « يا معشر المسلمين ٠٠ اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فأما التى فى الدنيا فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر ٠ وأما التى فى الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى وسوء الحساب والعذاب بالنار »(١) ٠ وعنه ﷺ أنه قال : « من مات مصرا على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطة وهو نهر يجرى فى النار من فروج المومسات »(٢) يعنى الزانيات يجرى من فروجهن قيح وصديد فى النار ثم يسقى ذلك لمن مات مصرا على شرب الخمر ٠

وقال رسول الله ﷺ : « ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى فرج لا يحل له »(٣) وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : « فى جهنم واد فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه وان فى جهنم واديا اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة فى كل شوكة راوية سم ثم تضرب الزانى وتفرغ سمها فى جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد » ٠

وورد أيضا ان من زنى بامرأة كانت متزوجة كان عليها وعليه فى القبر نصف عذاب هذه الأمة فاذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها فى حسناته هذا ان كان بغير علمه فان علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث ٠ وهو الذى يعلم بالفاحشة فى أهله ويسكت ولا يغار ٠

وورد أيضا أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه فان قبلها قرضت شفتاه فى النار فان زنى بها نطقت فخذه وشهدت يوم القيامة وقالت : أنا للحرام ركبت فينظر الله تعالى اليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول : ما فعلت ٠٠ فيشهد عليه لسانه فيقول : أنا بما لا يحل نطقت وتقول يداه : أنا للحرام تناولت وتقول

---

(١) رواه ابن الجوزى فى موضوعاته عن أبى نعيم فى الحلية من حديث مسلمة بن على بن أبى عبد الرحمن الكوفى عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة به ومسلمة متروك وأبو عبد الرحمن الكوفى مجهول وكذا رواه البيهقى فى الشعب من هذا الطريق وله طرق أخرى ساقطة عن أنس وعلى ا هـ من اللآلىء المصنوعة ٠

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه ونحوه ا هـ ترغيب ٠

(٣) روى أحمد والطبرانى من طريق ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله ابن الحارث بن جزء الزبيدى نحوا مما هنا كما فى الترغيب للمنذرى ٠

عيناه : أنا للحرام نظرت وتقول رجلاه : أنا لما لا يحل مشيت ويقول فرجه : أنا فعلت ويقول الحافظ من الملائكة : وأنا سمعت ويقول الآخر : وأنا كتبت ويقول الله تعالى . وأنا اطلعت وسترت ثم يقول الله : يا ملائكتى ·· خذوه ومن عذابى أذيقوه فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه منى وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل :

((يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون))(١) •

وأعظم الزنا الزنا بالأم والاخت وامرأة الاب وبالمحارم وقد صحح(٢) الحارث بن جزء الزبيدى حديثا نحوا مما هنا كما فى الترغيب للمنذرى •

وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ الى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا انه جواد كريم •

* * *

الكبيرة الحادية عشرة : اللواط

قد قص الله عز وجل علينا فى كتابه العزيز قصة قوم لوط فى غير موضع من ذلك قوله تعالى : ((فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل))(٣) اى من طين طبخ حتى صار كالآجر ((منضود))(٣) أى يتلو بعضه بعضا ((مسومة))(٤) أى معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ((عند ربك))(٤) أى فى خزائنه التى لا يتصرف فى شىء منها الا باذنه ((وما هى من الظالمين ببعيد))(٤) ما هى من ظالمى هذه الأمة اذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب •

ولهذا قال النبى ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط »(٥) ولعن من فعل فعلهم ثلاثا فقال : « لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط » وقال عليه الصلاة والسلام : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به »(٦) قال ابن عباس رضى الله عنهما : ينظر أعلى بناء فى القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط •

---

(١) النور : ٢٤ •

(٢) قال المصنف فى الصغرى : والعهدة عليه ـ اى على الحاكم ـ فى هذا التصحيح •

(٣) هود : ٨٢ •　　　(٤) هود : ٨٣ •

(٥) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حسن غريب والحاكم وقال : صحيح الاسناد اهـ منذرى •

(٦) رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه ، كلهم من رواية عمرو ابن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن معين ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس يعنى هذا • اهـ منذرى فى ترهيبه •

واجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التى حرم الله تعالى : ((أتأتون الذكران من العالمين • وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون))(١) أى مجاوزون من الحلال الى الحرام •

وقال تعالى فى آية أخرى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام : ((ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث ، انهم كانوا قوم سوء فاسقين))(٢). وكان اسم قريتهم سدوم وكان أهلها يعملون الخبائث التى ذكرها الله سبحانه فى كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين فى أدبارهم ويتضارطون فى أنديتهم مع أشياء اخر كانوا يعملونها من المنكرات •

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : عشر خصال من أعمال قوم لوط : تصفيف الشعر وحل الأزرار ورمى البندق والحذف بالحصى واللعب بالحمام الطيارة والصفير بالأصابع وفرقعة الأكعب واسبال الازار وحل أزر(٣) الأقبية وادمان شرب الخمر واتيان الذكور وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء النساء •

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « سحاق النساء بينهن زنا »(٤) وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعة يصبحون فى غضب الله ويمسون فى سخط الله تعالى » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذى يأتى البهيمة والذى يأتى الذكر - يعنى اللواط - »(٥) وروى أنه اذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفا من غضب الله تعالى وتكاد السموات ان تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ : ((قل هو الله أحد))(٦) الى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل »(٧) •

---

(١) الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦ •   (٢) الأنبياء : ٧٤ •

(٣) بضم الهمزة وسكون الزاى كذا ضبطه فى المنجد وقال : هو معقد الازار اهـ والمراد هنا - والله أعلم - محل معقد الازار من الأقبية •

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير عن واثلة قاله فى الجامع الصغير واسناده لين قاله المصنف فى صغراه •

(٥) رواه الطبرانى والبيهقى من طريق محمد بن سلام الخزاعى ولا يعرف عن أبيه عن أبى هريرة قال البخارى : لا يتابع على حديثه اهـ منذرى •

(٦) ذكر السيوطى حديثا نحو هذا الحديث رآه على ظهر نسخة ابن أبى شيبة بخط مغربى لم يعرف كاتبه فذكر سندا الى أنس قال : وكتب غيره عليه : هذا اسناد واه لبن موضوع اهـ ذيل اللآلىء •

(٧) سورة الاخلاص : ١ •

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة ويقول : ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به - يعنى اللواط - وناكح البهيمة وناكح الأم وبنتها وناكح يده الا أن يتوبوا » .

وروى أن قوما يحشرون يوم القيامة وايديهم حبالى من الزنا كانوا يعبثون فى الدنيا بمذاكيرهم وروى أن من أعمال قوم لوط اللعب بالنرد والمسابقة بالحمام والمهارشة بين الكلاب والمناطحة بين الكباش والمناقرة بالديوك ودخول الحمام بلا مئزر ونقص الكيل والميزان .. ويل لمن فعلها .

وفى الأثر من لعب بالحمام الملاية لم يمت حتى يذوق ألم الفقر وقال ابن عباس(١) رضى الله عنهما ان اللوطى اذا مات من غير توبة فانه يمسخ فى قبره خنزيرا .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ينظر الله الى رجل أتى ذكرا أو امرأة فى دبرها »(٢) وقال ابو سعيد الصعلوكى : سيكون فى هذه الأمة قوم يقال لهم : اللوطيون وهم على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث .

والنظر بشهوة الى المراة والأمرد زنا لما صح عن النبى ﷺ أنه قال : « زنا العين النظر وزنا اللسان النطق وزنا اليد البطش وزنا الرجل الخطا وزنا الأذن الاستماع والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه »(٣) ولأجل ذلك بالغ الصالحون فى الاعراض عن المردان وعن النظر اليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم قال الحسن بن ذكوان(٤) : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فان لهم صور العذارى فهم أشد فتنة من النساء وقال بعض التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد اليه وكان يقال : لا يبيتن رجل مع أمرد فى مكان واحد . وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد فى بيت أو حانوت أو حمام قياسا على المراة لأن النبى ﷺ قال : « ما خلا رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما »(٥) ومن المراد من يفوق النساء بحسنه فالفتنة به أعظم وأنه يمكن فى حقه من الشر ما لا يمكن

---

(١) ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات مرفوعا وقال : لا يصح مروان ابن محمد يروى المناكير واسماعيل بن أم درهم لا يحتج به .

(٢) رواه الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود بنحو مما هنا .

(٤) الحسن بن ذكوان البصرى أبو سلمة يروى عن الحسن وابن سيرين .

(٥) ذكره الترمذى وروى نحوه الطبرانى من حديث أبى امامة وأشار المنذرى الى ضعفه وقال : غريب أ هـ .

فى حق النساء ويتسهل فى حقه من طريق الريبة والشك ما لا يتسهل فى حق المرأة فهو بالتحريم أولى وأقاويل السلف فى التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم الأنتان لأنهم مستقذرون شرعا وسواء فى كل ما ذكرناه نظر المنسوب الى الصلاح وغيره ودخل سفيان الثورى(١) الحمام فدخل عليه صبى حسن الوجه فقال : أخرجوه عنى أخرجوه فانى أرى مع كل امراة شيطانا وأرى مع كل صبى حسن بضعة عشر شيطانا ٠

وجاء رجل الى الامام أحمد رحمه الله ومعه صبى حسن فقال الامام : ما هذا منك ؟ قال : ابن أختى قال : لا تجىء به الينا مرة أخرى ولا تمش معه فى طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءا ٠

وروى(٢) أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبى ﷺ كان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبى ﷺ خلف ظهره وقال : « انما كانت فتنة داوود عليه السلام من النظر » ٠ وأنشدوا شعرا :

كل الحوادث مبدؤها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها	فى أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره	لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

وكان يقال : النظر بريد الزنا وفى الحديث : « النظر سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها الى يوم القيامة» ٠

(**فصل**) فى عقوبة من أمكن من نفسه طائعا عن خالد بن الوليد رضى الله عنه انه كتب الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه وجد فى بعض النواحى رجلا ينكح فى دبره فاستشار ابو بكر الصحابة رضى الله عنهم فى أمره فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه : ان هذا ذنب لم يعمله الا أمة واحدة قوم لوط وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم أرى أن يحرق بالنار فكتب ابو بكر اليه أن أحرقه بالنار فأحرقه خالد رضى الله عنه(٣) ٠

---

(١) سفيان بن سعيد الثورى ابو عبد الله الكوفى احد الأعلام قال الخطيب : كان الثورى اماما من أئمة المسلمين وعلما من اعلام الدين مجمعا على امامته مع الاتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ خلاصة ملخصا ٠

(٢) رواه الديلمى بسنده الى الحسن عن سمرة به قال ابن الصلاح فى شكل الوسيط : لا أصل لهذا الحديث وقال الزركشى فى تخريج أحاديث الشرح الكبير : هذا حديث منكر فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع وقد استدل على بطلانه بقوله ﷺ : «انى أراكم من وراء ظهرى» أ هـ ذيل الموضوعات للسيوطى ٠

(٣) رواه ابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقى بسند جيد قاله المنذرى فى ترهيبه ٠

وقال علي رضي الله عنه : من أمكن من نفسه طائعا حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطانا رجيما في قبره الى يوم القيامة .

وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطي مجرم ومما روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفىء عنه فانقلبت النار صبيا وانقلب الرجل نارا فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك وقال : يا رب .. ردهما الى حالهما في الدنيا لأسألهما عن خبرهما فأحياهما الله تعالى فاذا هما رجل وصبي فقال لهما عيسى عليه السلام : ما خبركما ؟ فقال الرجل : يا روح الله .. أني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة فلما أن مت ومات الصبي صيرت نارا يحرقني مرة وأصير نارا أحرقه مرة فهذا عذابنا الى يوم القيامة .. نعوذ بالله من عذاب الله ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى .

(فصل) ويلتحق باللواط اتيان المرأة في دبرها وذلك مما حرمه الله تعالى ورسوله ﷺ قال الله عز وجل : **« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »**(١) اى كيف شئتم مقبلين ومدبرين في صمام واحد اى موضع واحد وسبب نزول هذه الآية أن اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون : اذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فسأل أصحاب رسول الله ﷺ النبي عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لهم : **« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »** مجبية أو غير مجبية غير أن ذلك في صمام واحد أخرجه مسلم .

وفي رواية : « اتقوا الدبر والحيضة » وقوله : في صمام واحد اى في موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث اى موضع لزرع الولد وأما الدبر فانه محل النجو وذلك خبيث مستقذر وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال : « ملعون من أتى حائضا أو امرأة في دبرها »(٢) .

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد »(٣) فمتى جامع امرأته وهي حائض أو جامعها في دبرها فهو ملعون وداخل في هذا

---

(١) البقرة : ٢٢٣ .

(٢) رواه أحمد وأبو داوود قاله المنذري .

(٣) رواه أحمد والترمذي وأبو داوود وابن ماجه كلهم من طريق حكيم الأثرم عن أبي تميمة طريف بن خالد عن أبي هريرة وسئل ابن المديني عن حكيم من هو ؟ فقال : أعيانا هذا وقال البخاري في تاريخه الكبير : لا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة اهـ منذري في ترهيبه قال المصنف في الصغرى : وليس اسناده بالقائم اهـ .

الوعيد الشديد وكذا اذا أتي كاهنا وهو المنجم ومن يدعى معرفة الشيء المسروق ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شيء منها فصدقه .

وكثير من الجهال واقعون فى هذه المعاصي وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم ولذلك قال ابو الدرداء : كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك وهو الذى لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك ويجب على العبد أن يتوب الى الله من جميع الذنوب والخطايا ويسأل الله العفو عما مضى منه فى جهله والعافية فيما بقى من عمره ، اللهم انا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة انك أرحم الراحمين .

* * *

الكبيرة الثانية عشر : أكل الربا

قال الله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون**))(١) وقال تعالى : ((**الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس**))(٢) أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة الا كما يقوم الذى قد مسه الشيطان وصرعه ((**ذلك**))(٢) اى ذلك الذى أصابهم ((**بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا**))(٢) اى حلالا فاستحلوا ما حرم الله فاذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين الا اكلة الربا فانهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع كلما قام صرع لأنهم لما أكلوا الربا الحرام فى الدنيا أرباه الله فى بطونهم حتى اثقلهم يوم القيامة فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ويريدون الاسراع مع الناس فلا يقدرون .

وقال قتادة(٣) : ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال(٤) : « لما أسرى بى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال : فيقبلون مثل الابل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة » قال ﷺ : « فقلت :

---

(١) آل عمران : ١٣٠ .   (٢) البقرة : ٢٧٥ .

(٣) قتادة بن دعامة السدوسى البصرى امام جليل فى التفسير والحديث من علماء التابعين مات سنة ١١٧ هـ .

(٤) عزاه ابن كثير فى تفسيره فى سورة الاسراء الى البيهقى فى دلائل النبوة والى ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيريهما كلهم من طريق ابى هارون العبدى عن أبى سعيد قال : واسم أبى هارون عمارة بن جوين ، مضعف عند الأئمة أ هـ .

يا جبريل ٠٠ من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما الذى يتخبطه الشيطان من المس » ٠

وفى روايه قال : « لما عرج بى سمعت فى السماء السابعة فوق ر رعدا وصواعق ورأيت رجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقار ترى من ظاهر بطونهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء آ الربا »(١) ٠

وروى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه : « اذا ظهر الزنا والربا فى قرية آذن الله بهلاكها »(٢) وعن عمر مرفوعا : « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم »(٣) ٠

وقال ﷺ : « ما ظهر فى قوم الربا الا ظهر فيهم الجنون ولا يظهر فى قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت ومابخس قوم الكيل والوزن الا منعهم الله القطر »(٤) ٠

وجاء فى حديث فيه طول (٥) أن آكل الربا يعذب من حين يموت الى يوم القيامة بالسباحة فى النهر الأحمر الذى هو مثل الدم ويلقم الحجارة وهو المال الحرام الذى جمعه فى الدنيا يكلف المسقة فيه ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام فى الدنيا هذا العذاب له فى البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له ، كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولايذيقهم نعيمها : مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه الا أن يتوبوا » ٠

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صورة الكلاب والخنازير من اجل حيلهم على آكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على اخراج الحيتان التى نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت فحفروا حياضا تقع فيها يوم السبت فيأخذونها بوم الأحد فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير وهكذا الذين

---

(١) رواه احمد فى حديث طويل وابن ماجه مختصرا والأصبهانى كلهم من رواية على بن زيد عن أبى الصلت عن أبى هريرة قاله المنذرى ا هـ وعلى ابن زيد هو ابن جدعان فيه كلام كثير فى تضعيفه ٠

(٢) رواه أبو يعلى باسناد جيد وله شاهد من حديث ابن عباس صحح الحاكم اسناده أفاده المنذرى فى ترهيبه ٠

(٣) رواه داوود وغيره من طريق اسحاق بن أسيد نزيل مصر ـ مختلف فيه ـ والحديث من رواية ابن عمر افاده المنذرى ٠

(٤) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقى والحاكم وقال : على شرط مسلم أفاده المنذرى ٠

(٥) هو حديث سمرة الطويل فى منام رآه النبى ﷺ ٠ رواه البخارى ٠

يتحيلون على الربا بأنواع الحيل فان الله لا تخفى عليه حيل المحتالين قال ايوب السختيانى(١) : يخادعون الله كما يخادعون صبيا ولو أتوا الأمر عيانا كان أهون عليهم وقال ﷺ : « الربا سبعون بابا أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه وان أربى الربا أستطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم »(٢) فصح أنه باب من اعظم أبواب الربا ٠

وعن أنس قال : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال : « الدرهم الذى يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية فى الإسلام »(٣) وعنه ﷺ قال : « الربا سبعون حوبا أهونها كوقع الرجل على أمه »(٤) وفى رواية : « أهونها كالذى ينكح أمه » والحوب : الاثم ٠

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : الزائد والمستزيد فى النار — يعنى الآخذ والمعطى فيه سواء — نسأل الله العافية ٠

(فصـــل) عن ابن مسعود(٥) رضى الله عنه قال : اذا كان لك على رجل دين فاهدى لك شيئا فلا تأخذه فانه ربا وقال الحسن(٦) رحمه الله : اذا كان لك دين على رجل فما أكلت من بيته فهو سحت وهذا من قوله ﷺ : « كل قرض جر نفعـا فهو ربا » وقال ابن مسعود أيضـا : من شفع لرجل شفاعة فأهدى اليه هدية فهى سحت وتصديقه من قوله ﷺ : « من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا » (أخرجه أبو داوود) ٠ فنسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة(٧) ٠

* * *

---

(١) أيوب بن أبى تميمة السختيانى أبو بكر البصرى أحد الأئمة الأعلام من أكابر التابعين مات سنة ١٣١هـ ٠

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق وهو من رواية البراء بن عازب وله شاهد من حديث أبى هريرة عند ابن ماجة والبيهقى عن أبى معشر وقد وثق أفاده المنذرى ٠

(٣) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى وأشار المنذرى الى ضعفه بتصديره بلفظ روى ٠

(٤) قال المنذرى : رواه ابن ماجة والبيهقى كلاهما عن أبى معشر وقد وثق عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ٠

(٥) أبو عبد الرحمن بن مسعود الصحابى الجليل توفى سنة ٣٢هـ ٠

(٦) هو البصرى من كبار أئمة التابعين مات بعد سنة ١٤٠ هـ ٠

(٧) زاد فى الصغرى : قال النبى ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها أكل الربا (متفق عليه) وقال ﷺ : « لعن الله آكل الربا وموكله » رواه مسلم والترمذى وزاد : « وشاهديه وكاتبه » ٠ وقال ﷺ : « آكل الربا وموكله وكاتبه اذا علما ذلك ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة » ٠

الكبيرة الثالثة عشرة : أكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى : ((**ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا**))(١) وقال تعالى : ((**ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده**))(٢) ·

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى حديث المعراج : « فاذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيحذفونها بأفواههم وتخرج من أدبارهم فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : ((**الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا**))(٣) (رواه مسلم) ·

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يبعث الله عز وجل قوما من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم نارا » فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : ألم تر أن الله تعالى يقول . ((**ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا**))(٤) ·

وقال السدى(٥) رحمه الله تعالى : يحشر آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه يعرفه كل من رآه أنه آكل مال اليتيم ·

قال العلماء : فكل ولى ليتيم اذا كان فقيرا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه فى مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه وما زاد على المعروف فسحت حرام لقوله تعالى : ((**ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف**))(٦) ·

وفى الأكل بالمعروف أربعة أقوال (أحدها) أنه الأخذ على وجه القرض · (والثانى) الأكل للحاجة من غير اسراف ·

---

(١) النساء : ١٠ · (٢) الأنعام : ١٥٢ ·

(٣) عزاه الشيخ ابن كثير فى تفسيره قوله : ((**ان الذين يأكلون أموال اليتامى**)) ·· الخ وفى سورة الاسراء من أولها الى ابن أبى حاتم وفى سنده أبو هارون العبدى واسمه عمارة بن جوين تركوه ومنهم من كذبه كما فى التقريب فقول المصنف هنا رواه مسلم لعله سبق قلم من النساخ فحرر ·

(٤) عزاه ابن كثير فى تفسيره الى ابن مردويه وابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه عن عقبة بن مكرم بسنده الى أبى برزة واسمه فضلة بن عبيد الاسلمى فعزو الحديث هنا الى أبى هريرة لعله وهم أو من تحريف النساخ ·

(٥) اسماعيل بن عبد الرحمن أبى كريم السدى - بضم السين وشد الدال - أبو محمد الكوفى صاحب التفسير صدوق ورمى بالتشيع مات سنة ١٢٧ هـ · ا هـ تقريب ·

(٦) النساء : ٦ ·

(والثالث) انه أخذ بقدر الحاجة اذا عمل لليتيم عملا ٠

(والرابع) أنه الأخذ عند الضرورة فان ايسر قضاه وان لم يوسر فهو فى حل ٠ وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزى(١) فى تفسيره ٠

وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا »(٢) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما وفى صحيح مسلم عنه ﷺ قال : « كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة » وأشار بالسبابة والوسطى ٠

كفالة اليتيم هى القيام بأموره والسعى فى مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله أن كان له مال وان كان لا مال له انفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى وقوله فى الحديث : « له أو لغيره » أى سواء أكان اليتيم قرابة أو أجنبيا منه فالقرابة مثل ان يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه او خاله أو غيره من أقاربه والأجنبى من ليس بينه وبينه قرابة ٠

وقال رسول الله ﷺ : « من ضم يتيما من المسلمين الى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة الا أن يعمل ذنبا لا يغفر »(٣) ، وقال ﷺ : « من مسح راس يتيم لا يمسحه الا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ، ومن أحسن الى يتيم عنده كنت انا وهو هكذا فى الجنة»(٤)٠

وقال رجل لأبى الدرداء رضى الله عنه : أوصنى بوصية ٠ قال : ارحم اليتيم وادنه منك واطعمه من طعامك فانى سمعت رسول الله ﷺ أتاه رجل يشتكى قسوة قلبه فقال رسول الله ﷺ : « ان أردت أن يلين قلبك فأدن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فان ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك »(٥) ٠

ومما حكى عن بعض السلف قال : كنت فى بداية أمرى مكبا على المعاصى وشرب الخمر فظفرت يوما بصبى يتيم فقير فأخذته واحسنت اليه واطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل

---

(١) هو الحافظ جمال الدين العربى أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن محمد بن على الجوزى صاحب التصانيف المشهور البغدادى الفقيه الحنبلى المتوفى سنة ٥٧٠ هـ ٠

(٢) رواه أبو داوود والترمذى ٠

(٣) رواه الترمذى من حديث ابن عباس وقال : حسن صحيح بلفظ : « من قبض » وله شواهد ذكرها المنذرى فى الترغيب ٠

(٤) رواه أحمد وغيره من طريق عبد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة قاله المنذرى ٠

(٥) رواه الطبرى من رواية بقية وفيه راو لم يسم قال المنذرى : وله شاهد من حديث أبى هريرة رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح قاله المنذرى ٠

أكثر فبت ليلة بعد ذلك فرأيت فى النوم أن القيامة قامت ودعيت الى الحساب وامر بى الى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى الى النار وانا بين ايديهم حقير ذليل يجروننى سحبا الى النار واذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق وقال : خلوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له الى ربى فانه قد أحسن الى واكرمنى فقالت الملائكة : انا لم نؤمر بذلك واذا النداء من قبل الله تعالى يقول : خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم واحسانه اليه قال : فاستيقظت وتبت الى الله عز وجل وبذلت جهدى فى ايصال الرحمة الى الأيتام . ولهذا قال أنس بن مالك رضى الله عنه - خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء اليه واحب عباد الله الى الله تعالى من اصطنع صنعا الى يتيم أو ارملة . وروى أن الله تعالى اوحى الى داوود عليه السلام : « يا داوود .. كن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج الشفيق واعلم كما تزرع كذا تحصد معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك أى لابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امراة أرملة » وقال داوود عليه السلام فى مناجاته : الهى .. ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاؤه أن اظله فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى معناه ظل عرشى يوم القيامة . ومما جاء فى فضل الاحسان الى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين وكان نازلا ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا فى سعة ونعمة فمات الزوج واصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة فخرجت ببناتها الى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء واتفق خروجها فى شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم فى القوت فمرت بجمعين جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد وجمع على رجل مجوسى وهو ضامن البلد فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له وقالت : أنا امرأة علوية معى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة واريد الليلة قوتهم فقال لها : اقيمى عندى البينة انك علوية شريفة فقالت : انا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى فأعرض عنها فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت الى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها وأخبرته أن معها بنات أيتام وهى امرأة شريفة غريبة وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم فقام وأرسل بعض نسائه وأتوا بها وببناتها الى داره فأطعمهن أطيب الطعام والبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده فى نعمة وكرامة قال : فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبى ﷺ وأذا بقصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان فقال : يا رسول الله .. لمن هذا القصر ؟ قال : لرجل مسلم موحد فقال : يا رسول الله .. انا رجل مسلم موحد فقال رسول الله ﷺ : لما قصدتك المرأة العلوية قلت : اقيمى عندى البينة أنك علوية فكذا انت اقم عندى البينة أنك مسلم فانتبه الرجل حزينا على رده المرأة خائبة ثم جعل يطوف بالبلد

ويسأل عنها حتى دل عليها انها عند المجوسى فأرسل اليه فأتاه فقال له : أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها فقال : ما الى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى قال : خذ منى الف دينار وسلمهن الى فقال : لا أفعل فقال : لابد منهن فقال : الذى تريده أنت أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى اتدل على بالاسلام فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك وقال لى رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عندك ؟ قلت : نعم يا رسول الله قال : القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمنا فى الأزل • قال . فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه الا الله • فانظر رحمك الله الى بركه الاحسان الى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا •

ولهذا ثبت فى الصحيحين(١) عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله » قال الراوى : أحسبه قال : « وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر » والساعى عليهم هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى • وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤوف غفور رحيم •

* * *

الكبيرة الرابعة عشرة

الكذب على الله عز وجل وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله عز وجل : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة »(٢) قال الحسن : هم الذين يقولون : ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل قال ابن الجوزى فى تفسيره : وقد ذهب طائفة من العلماء الى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله فى تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض وانما الشأن فى الكذب عليه فيما سوى ذلك •

وقال ﷺ : « من كذب على بنى له بيت فى جهنم »(٣) • وقال ﷺ : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وقال ﷺ : « ومن روى عنى حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »(٤) •

---

(١) وابن ماجه من حديث أبى هريرة قاله المنذرى •

(٢) الزمر : ٦٠ •

(٣) رواه البخارى ومسلم وغيرهما وقد روى عن غير واحد فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر ا هـ ما قاله المنذرى فى ترغيبه •

(٤) رواه مسلم وغيره من حديث سمرة بلفظ : « من حدث عنى بحديث » فذكره ا هـ منذرى •

وقال ﷺ : « ان كذبا على ليس ككذب على غيرى من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »(١) وقال ﷺ : « من يقل عنى ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار » وقال ﷺ : « يطبق المؤمن على كل شىء الا الخيانة والكذب »(٢) نسأل الله التوفيق والنصحة انه جواد كريم .

* * *

الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف

اذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين الا متحرفا لقتال أو متحيزا(٣) الى فئة وان بعدت قال الله تعالى : **« ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم ، وبئس المصير »**(٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »(٥) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت : **« ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين »**(٦) فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت : **« الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ، والله مع الصابرين »**(٧) فكتب أن لا يفر مائة من مائتين (رواه البخارى) .

* * *

الكبيرة السادسة عشرة : غش الامام الرعية وظلمه لهم

قال الله تعالى : **« انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم »**(٨) وقال تعالى : **« ولا تحسبن الله**

---

(١) رواه مسلم وغيره من حديث المغيرة يعنى ابن شعبة اهـ منذرى .

(٢) رواه البزار وأبو يعلى من حديث سعد بن أبى وقاص ورواته رواة الصحيح وذكره الدارقطنى فى العلل مرفوعا وموقوفا وقال : الموقوف أشبه بالصواب ورواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى من حديث ابن عمر مرفوعا وله شاهد عند أحمد من حديث الأعمش قال : حدثت عن أبى أمامة فذكر نحوه أفاده المنذرى فى ترغيبه .

(٣) المتحرف للقتال من يفر من العدو لخدعة حربية ، والمتحيز لفئة من يفر عن وجه العدو لينضم الى جماعة المجاهدين وجملتهم .

(٤) الأنفال : ١٦ .

(٥) تقدم تخريجه مرارا وانه متفق عليه .

(٦) الأنفال : ٦٥ . (٧) الأنفال : ٦٦ .

(٨) الشورى : ٤٢ .

غافلا عما يفعل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار • مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم ، وأفئدتهم هواء »(١) وقال تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون»(٢) وقال تعالى : «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »(٣) •

وقال رسول الله ﷺ : « من غشنا فليس منا »(٤) وقال عليه السلام : « الظلم ظلمات يوم القيامة »(٥) وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »(٦) وقال رسول الله ﷺ : « أيما راع غش رعيته فهو فى النار »(٧) • وقال ﷺ : « من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه الا حرم الله عليه الجنة » • وأخرجه البخارى وفى لفظ(٨) : « يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة »

وقال ﷺ : « ما من حاكم يحكم بين الناس الا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه فان قال ألقاه فهوى فى جهنم أربعين خريفا » (رواه الامام أحمد)(٩) •

وقال رسول الله ﷺ : « ويل للأمراء •• ويل للعرفاء •• ويل للأمناء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يعذبون ولم يكونوا عملوا من شيء »(١٠) •

وقال ﷺ : « ليأتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه

---

(١) ابراهيم : ٤٢ ، ٤٣ •　　(٢) الشعراء : ٢٢٧ •

(٣) المائدة : ٧٩ •

(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة •

(٥) رواه البخارى ومسلم والترمذى من حديث ابن عمر •

(٦) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر •

(٧) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن أنس ورواته ثقات الا عبد الله بن ميسرة أبا ليلى وشواهده الصحيحة كثيرة عن معقل بن يسار فى الصحيحين وعن ابن عباس وغيرهما •

(٨) يعنى للبخارى أيضا •

(٩) وروى ابن ماجه والبزار نحوا من هذا فى حديث ابن مسعود وفى اسنادهما مجالد بن سعيد مختلف فيه أفاده المنذرى •

(١٠) رواه أحمد عن أبى هريرة مرفوعا من طرق رواة بعضها ثقات قاله المنذرى فى موضع وقال فى موضع : رواه ابن حبان والحاكم وقال : صحيح الاسناد •

لم ينقض بين اثنتين فى ثمرة قط »(١) وقال ﷺ : « ما من أمير عشرة الا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه اما أطلقه عدل أو أوبقه جوره »(٢) ٠

ومن دعاء رسول الله ﷺ أنه قال : « اللهم من ولى من أمر هذه الأمة شيئا فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه »(٣) وقال ﷺ : « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره »(٤) ٠

وقال رسول الله ﷺ : « سيكون أمراء فسقة جورة فمن صدقهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولن يرد على الحوض »(٥) وقال رسول الله ﷺ : « صنفان من امتى لن تنالهم شفاعتى : سلطان ظلوم غشوم وغال فى الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم »(٦) وقال عليه السلام : « أشد الناس عذابا يوم القيامة امام جائر »(٧) وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم أن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان انبيائهم ثم عمهم بالبلاء »(٨) ٠

وقال رسول الله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »(٩) ٠ « ومن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » وفى الحديث أيضا : « من لا يرحم لا يرحم » ٠

---

(١) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورجال البزار رجال الصحيح وله شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص عند أحمد وعن أبى الدرداء عند ابن حبان أفاده المنذرى ٠

(٢) رواه أحمد وابن حبان من حديث عائشة ا هـ ٠ منه ٠

(٣) رواه مسلم والنسائى عن عائشة ٠

(٤) رواه أبو داوود والترمذى عن أبى مريم عمرو بن مرة الجهنى ٠

(٥) رواه أحمد والترمذى وصححه والنسائى والبزار بألفاظ متقاربة من حديث كعب بن عجرة ٠

(٦) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة ورجاله ثقات ا هـ منه ٠

(٧) رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن مسعود ورواته ثقات الا ليث ابن سليم ا هـ ٠

(٨) رواه الأصبهانى من حديث ابن عمر وأشار المنذرى الى ضعفه ٠

(٩) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود من حديث عائشة ٠

لا يرحم الله من لا يرحم الناس »(١) وقال ﷺ : « الامام العادل يظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله »(٢) وقال : « المقسطون على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا »(٣) ٠

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذا رضى الله عنه الى اليمن قال : « اياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب »(٤)٠ وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة » فذكر منهم الملك الكذاب(٥) وقال : « انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة » (رواه البخارى) وفيه أيضا : « وانا والله لا نولى هذا العمل أحدا سأله أو أحدا حرص عليه » ٠

وقال رسول الله ﷺ : « يا كعب بن عجرة ٠٠ أعاذك الله من امارة السفهاء أمراء يكونون من بعدى لا يهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى »(٦) وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار »(٧)٠

وقال : « ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة »(٨) وقال عمر لأبى ذر رضى الله عنهما : حدثنى بحديث سمعته من رسول الله ﷺ فقال أبو ذر . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الا زال عن مكانه فان كان مطيعا لله فى عمله مضى به وان كان عاصيا لله فى عمله انخرق به الجسر فهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاما »(٩) فقال عمر : من يطلب العمل بها يا أبا ذر ؟ قال : من سلت الله أنفه وألصق خده بالتراب ٠

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى من حديث جرير بن عبد الله ، وله شواهد من حديث أبى موسى وابن مسعود وابن عمرو وابن عباس وغيرهم والسنن والمسند والطبرانى ٠

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة فى ضمن حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله ٠

(٣) رواه مسلم والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ٠

(٤) رواه البخارى ٠

(٥) رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة ٠.

(٦) رواه أحمد والبزار ورواته محتج بهم فى الصحيح قاله المنذرى ٠

(٧) رواه أبو داوود اهـ منه ٠

(٨) تمامه : « فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة » (رواه البخارى والنسائى من حديث أبى هريرة) المنذرى ٠

(٩) روى نحوه ابن ابى الدنيا من حديث أبى هريرة أن بشر بن عاصم الجشمى حدث عمر فذكره وأن عمر سأل سلمان وأبا ذر فصدقاه ٠ قاله المنذرى وضعفه ٠

وقال عمرو بن المهاجر : قال لي عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : اذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم قل . يا عمر .. ما تصنع .

يا راضيا باسم الظالم .. كم عليك من المظالم ؟ السجن جهنم والحق الحاكم ، ولا حجة لك فيما تخاصم ، القبر مهول فتذكر حبسك ، والحساب طويل فخلص نفسك ، والعمر كيوم فبادر شمسك ، تفرح بمالك والكسب خبيث ، وتمرح بآمالك والسير حثيث . ان الظلم لا يترك منه قدر انملة ، فاذا رأيت ظالما قد سطا فنم له ، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة ، أى قروح في الجسد .

* * *

الكبيرة السابعة عشرة : الكبر

الكبر والفخر والخيلاء والعجب والتيه قال الله تعالى : « **وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب** »(١) وقال تعالى « **انه لا يحب المستكبرين** »(٢) وقال رسول الله ﷺ : « بينما رجل يتبختر فى مشيه اذ خسف الله به الأرض فهو يتجلل فيها الى يوم القيامة »(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام . « يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان »(٤) .

وقال بعض السلف : اول ذنب عصى الله به الكبر قال الله تعالى : « **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** »(٥) فمن استكبر على الحق لم ينفعه ايمانه كما فعل ابليس .

وعن النبى ﷺ قال : « لا يدخل الجنة احد فى قلبه مثقال ذرة من كبر » (رواه مسلم) وقال تعالى : « **ان الله لا يحب كل مختال فخور** »(٦) وقال ﷺ : « قال الله تعالى : العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار »(رواه مسلم) . المنازعة : المجاذبة .

وقال ﷺ : « اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة : مالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار : أوثرت بالجبارين

---

(١) غافر : ٢٧ (٢) النحل : ٢٣ .

(٣) رواه البخارى والنسائى وغيرهما بنحوه من حديث ابن عمر وشواهده من حديث ابى سعيد الخدرى وجابر وأبى هريرة وأقربها الى ما هنا لفظ أبى هريرة عن البخارى ومسلم كما فى المنذرى .

(٤) تمامه : « يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال » (رواه النسائى والترمذى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو ابن العاص اهـ منه .

(٥) البقرة : ٣٤ . (٦) لقمان : ١٨ .

والمتكبرين »(١) ... الحديث وقال تعالى : « **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور** »(٢) أى لا تمل خدك معرضا متكبرا والمرح : التبختر .

وقال سلمة بن الاكوع : « أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله قال : كل بيمينك قال : لا أستطيع فقال : « لا استطعت » ما منعه الا الكبر فما رفعها الى فيه بعد (رواه مسلم) وقال عليه الصلاة والسلام : « الا اخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر »(٣) العتل : الغليظ الجافى والجواظ : الجموع المنوع وقيل : الضخم المختال فى مشيته وقيل : البطين .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل يختال فى مشيته ويتعاظم فى نفسه الا لقي الله وهو عليه غضبان »(٤)، وصح من حديث أبى هريرة : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط ـ أى ظالم ـ وغنى لا يؤدى الزكاة وفقير فخور »(٥) وفى صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمسبل : هو الذى يسبل ازاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون الى قدميه لانه ﷺ قال : « ما أسفل من الكعبين من الازار فهو فى النار »(٦) .

واشر الكبر الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم فى نفسه بفضيلته فان هذا لم ينفعه علمه فان من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفترغها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها فانّ غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته . ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم فهذا من أكبر الكبر ولا يدخل الجنة من كانّ فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

* * *

الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور

قال الله تعالى : « **والذين لا يشهدون الزور** »(٧) ... الآية وفى الأثر

---

(١) تمامه : « فقضى الله بينهما انك الجنة رحمتى أرحم بك من أشاء وانك النار عذابى أعذب بك من أشاء ولكليكما ملؤها » (رواه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى) اهـ منذرى .

(٢) لقمان : ١٣ .

(٣) رواه البخارى ومسلم من حديث حارثة عن وهب . اهـ منذرى .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير ورواته محتج بهم فى الصحيح والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم اهـ منه .

(٥) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما اهـ منه .

(٦) رواه البخارى من حديث أبى هريرة اهـ منذرى .

(٧) الفرقان : ٧٢ .

عدلت شهادة الزور السرك بالله تعالى مرتين(١) وقال تعالى : ((**واجتنبوا قول الزور**))(٢) وفى الحديث : « لا تزال قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار »(٣) قال المصنف رحمه الله تعالى : شاهد الزور قد ارتكب عظائم (أحدها) الكذب والافتراء قال الله تعالى : ((**ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب**))(٤) وفى الحديث : « يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب »(٥) ٠

(وثانيها) أنه ظلم الذى شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه ٠

(وثالثها) أنه ظلم الذى شهد له بأن ساق اليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار وقال ﷺ . « من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من نار »(٦) ٠

(ورابعها) أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت (رواه البخارى)(٧) فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء ٠

* * *

الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر

قال الله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ٠ انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون**))(٨) فقد نهى عز وجل فى هذه الآية عن

---

(١) هذا الحديث من رواية حزيم بن فاتك مرفوعا فذكره قال : ثم قرأ : ((**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ٠ حنفاء لله غير مشركين به**)) (الحج : ٣٠ ، ٣١) ٠ رواه أبو داوود وهذا لفظه والترمذى وابن ماجه ورواه الطبرانى فى الكبير موقوفا على ابن مسعود باسناد حسن اهـ منذرى ٠ (٢) الحج : ٣٠ ٠

(٣) رواه ابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الاسناد من حديث ابن عمر بلفظ : « لن تزول ٠٠٠٠ » الخ ٠ (٤) غافر : ٢٨ ٠

(٥) تقدم فى الكبيرة الرابعة عشرة تخريجه ٠

(٦) متفق عليه من حديث أم سلمة ونحوه فى أبى داوود اهـ مشكاة ٠

(٧) ومسلم والترمذى من حديث أبى بكرة اهـ منه ٠

(٨) المائدة : ٩٠ ، ٩١ ٠

الخمر وحذر منها وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث ٠ فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله »(١) قال الله تعالى : **« ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »**(٢) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم الى بعض وقالوا : حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك(٣) ٠

وذهب(٤) عبد الله بن عمر الى أن الخمر أكبر الكبائر وهى بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها فى غير حديث(٥) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها فى الآخرة »(٦) (رواه مسلم) وروى مسلم(٧) عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال » قيل : يا رسول الله ٠٠ وما طينة الخبال ؟ قال : « عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » ٠

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من شرب الخمر فى الدنيا يحرمها فى الآخرة » ٠

ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن : رواه الامام أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :- « مدمن الخمر كعابد وثن » ٠

وذكر أن مدمن الخمر اذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة : روى النسائى من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :- « لا يدخل الجنة عاق

---

(١) رواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ : « فانها مفتاح كل شر » وقال : صحيح الاسناد وفى حديث عثمان مرفوعا : « اجتنبوا أم الخبائث فانه كان رجل ممن كان قبلكم » ٠٠٠ الخ فذكر قصة ٠٠ رواه ابن حبان والبيهقى مرفوعا وموقوفا وذكر أنه المحفوظ اهـ منذرى ٠ (٢) النساء : ١٤ ٠

(٣) رواه الطبرانى وقال : رجاله رجال الصحيح اهـ منذرى ٠٠

(٤) رواه الطبرانى مع قصة باسناد صحيح ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم اهـ منه ٠

(٥) من حديث ابن عمر عن أبى داوود وابن ماجه حديث أنس عن ابن ماجه والترمذى ٠ وحديث ابن عباس عن أبى داوود وأحمد وابن حبان والحاكم ٠

(٦) رواه البخارى وأبو داوود والترمذى والبيهقى ٠٠

(٧) والنسائى ٠

ولا مدمن خمر »(١) وفى رواية : « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة . مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث » وهو الذى يقر السوء فى أهله •

ذكر ان السكران لايقبل الله منه حسنة روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة الى السماء : العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده فى أيديهم والمراة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها والسكران حى يصحو »(٢) •

والخمر ما خامر العقل أى غطاه سواء كان رطبا او يابسا او مأكولا او مشروبا وعن أبى سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ : « لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة ما دام فى جسده شىء منها »(٣) وفى رواية : « من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئا ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب ثم عاد كان حقا على الله أن يسقيه من مهل جهنم » وقال رسول الله ﷺ : « من شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أربعين ليلة فان مات فيها مات كعابد وثن وكان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال » قيل : يا رسول الله •• وما طينة الخبال ؟ قال : « عصارة أهل النار القيح والدم »(٤) •

وقال عبد الله بن ابى أوفىٰ : من مات مدمنا للخمر مات كعابد اللات والعزى قيل : أرأيت مدمن الخمر هو الذى لا يستفيق من شربها ؟ قال : لا ولكن هو الذى يشربها اذا وجدها ولو بعد سنين •

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمنا حين يشربها : عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد » (أخرجه البخارى)(٥) وفى الحديث : « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه »(٦) وفيه :

---

(١) رواه أحمد والبزار والحاكم وقال : صحيح الاسناد•

(٢) رواه ابنَ خزيمة وابن حبان والبيهقى والطبرانى فى الأوسط ا هـ منه•

(٣) ذكره فى اللآلىء المصنوعة عن عبد بن حميد بسنده الى أبى سعيد الخدرى •

(٤) روى بألفاظ نحو مما هنا أقربها حديث عبد الله بن عمر عند الترمذى وحسنه الحاكم والنسائى ووقفه عليه مختصرا أفاده المنذرى •

(٥) رواه مسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وقوله : « والتوبة معروضة بعد » من زيادة مسلم وأبى داوود أفاده المنذرى •

(٦) رواه الحاكم من حديث أبى هريرة ا هـ منه •

« من شرب الخمر ممسيا أصبح مشركا ومن شربها مصبحا أمسى مشركا » وفيه عن النبى ﷺ أنه قال : « ان رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منـان ولا مدمن خمـر ولا عابد وثن »(١) روى الامام أحمد من حديث ابى موسى الأشـعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة مدمن خمـر ولا مؤمن بسـحر ولا قاطع رحم ومن مات وهو يشرب الخمـر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجرى من فروج المومسات ــ اى الزانيات ــ يؤذى أهل النار ريح فروجهن »(٢) ٠

وقال رسول الله ﷺ : « ان الله بعثنى رحمة وهدى للعالمين بعثنى لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية وأقسـم ربى تعـالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من الخمر الا سقيته مثلها من حميم جهنم ، ولا يدعها عبد من مخافتى الا سقيته اياها فى حظائر القدس مع خير الندماء »(٣) ٠

خبر من لعـن فى الخمـر :

روى ابو داوود أن رسول الله ﷺ قال : « لعنت الخمـر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها »(٤) ورواه الامام أحمد من حديث ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أتانى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ٠٠ ان الله لعن الخمـر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنهـا وحاملها والمحمولة اليه وساقيها ومستقيها »(٥) ٠

ذكر النهى عن عيادة شربة الخمـر اذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم ٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : لا تعودوا شراب الخمـر اذا مرضوا ٠ قال البخارى : وقال ابن عمـر : لا تسلموا على شربة الخمـر ٠ وقال ﷺ : « لا تجالسوا شراب الخمـر ولا تعـودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم وان شارب الخمـر يجىء يوم القيامة مسـودا وجهه مدلعا

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير من حديث أبى هريرة وأشـار المنذرى الى ضعفه ا هـ منه ٠

(٢) ورواه أبو ليلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه ا هـ منه ٠

(٣) رواه أحمد من حديث أبى أمامة من طريق على بن يزيد يعنى الالهانى فيه خلاف والأكثر على تضعيفه ا هـ منه ٠

(٤) رواه من حديث ابن عمر بلفظ : « لعـن الله الخمـــر »٠٠الخ ، ولفظ : وآكل ثمنها من زيادة ابن ماجه وشاهده من حديث انس عند الترمذى وابن ماجه كما فى المنذرى ٠

(٥) أى بسند صحيح وابن حيان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح ا هـ

لســانه على صدره يسيل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه أنه شــارب خمــر »(١) ٠

قال بعض العلماء : انما نهى عن عيادتهم والســلام عليهم لأن شـارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله كما تقدم فى قوله : « لعن الله الخمر وشاربها » ٠٠٠ الحديث فان اشتراها وعصرها كان ملعونا مرتين وان سقاها لغيره كان ملعونا ثلاث مرات فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه الا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه ٠

وذكر ان الخمر لا يحل التداوى بها ٠ عن أم سلمة رضى الله عنها قالت . اشتكت ابنة لى فنبذت لها فى كوز فدخل على رسول الله ﷺ وهو يغلى فقال : « ما هذا يا أم سلمة » ؟ فذكرت له أنى أداوى به ابنتى فقال رسول الله ﷺ : « ان الله تعالى لم يجعل شفاء أمتى فيما ٠٠ حرم عليها »(٢) ٠

ذكر أحاديث متفرقة رويت فى الخمـر : من ذلك ما ذكره أبو نعيم فى الحلية عن أبى موسى رضى الله عنه قال : أتى النبى ﷺ بنبيذ فى جـرة له نشيش فقال : « اضربوا بهذا الحائط فان هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخـر » ٠

وقال رسول الله ﷺ . « من كان فى صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمـر يجىء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة » وجاء عن النبى ﷺ : « حتى يوقف بين يدى الله تبارك وتعالى فيخاصمه ومن خاصمه القرآن خصمه » ٠

« ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا الا جمعهم الله فى النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخـر : يا فلان ٠٠ لا جزاك الله عنى خيرا فأنت الذى أوردتنى هذا المورد ، ويقول الآخر مثل ذلك » وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الأساودة شربة يتساقط لحم وجهه فى الاناء قبل أن يشربها فاذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ، الا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء فى اثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا ، فان ماتوا قبل التوبة كان حقـا على الله أن يسقيهم

---

(١) ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات عن ابن عدى بسنده الى ابن عمـر وقال : موضوع فيه ضعفاء ليث وجعفـر بن الحارث أبو الأشهب وأبو مطيع ، وله طرق أخرى لا ترفعه عن الحضيض ٠

(٢) رواه البيهقى وأبو يعلى وشاهده عن ابن مسعود عن أحمد والحاكم وعلقمة والبخارى عن ابن مسعود بصيغة الجزم ٠

بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام » .

ويدخل فى قوله ﷺ : « كل مسكر خمر » : الحشيشة كما سيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى . روى ان شربة الخمر اذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية الى نهر الخبال فيسقون بكل كاس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال فلو أن تلك الشربة تصب منَ السماء لأحرقت السموات من حرها . نعوذ بالله منها .

ذكر الآثار عن السلف فى الخمر :

ذكر ابن مسعود رضى الله عنه قال : اذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبوه على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فان لم تروا وجهه مصروفا عن القبلة والا فاتركوه مصلوبا ، وعن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فكررها عليه فقال : لا أقولها وأنا برىء منها ثم مات فخرج الفضيل من عنده وهو يبكى ثم رآه بعد مدة فى منامه وهو يسحب به الى النار فقال له : يا مسكين .. بم نزعت منك المعرفة ؟ فقال : يا استاذ كان بى علة فانيت بعض الأطباء فقال لى : تشرب فى كل سنة قدحا من الخمر وان لم تفعل تبقى بك علتك ، فكنت اشربها فى كل سنة لأجل التداوى فهذا حال من يشربها للتداوى فكيف حال من يشربها لغير ذلك ؟ . نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء .

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال : كنت انبش القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عنَ القبلة فسألت أهليهم عنهم فقالوا : كانوا يشربون الخمر فى الدنيا وماتوا من غير توبة .

وقال بعض الصالحين : مات لى ولد صغير ، فلما دفنته رأيته بعد موته فى المنام وقد شاب رأسه فقلت : يا ولدى .. دفنتك وانت صغير فما الذى شيبك فقال : يا ابت دفن جنبى رجل ممن كان يشرب الخمر فى الدنيا فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل الا شاب رأسه منْ شدة زفرتها . نعوذ بالله منها ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب فى الآخرة .

فالواجب على العبد انْ يتوب الى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشر حالة فيلقى فى النار . نعوذ بالله منها .

(فصل) والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها كما يحد شارب الخمر وهى اخبث من الخمر من جهة انها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد والخمر أخبث من جهة أنها تفضى الى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين فى حدها ورأى أن آكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاما وليس كذلك بل آكلتها ينتشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر حتى لا يصبروا عنها ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة اذا أكثروا منها مع ما فيها من الدياثة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك لكن لما كانت جامدة مطعونة ليست شرابا تنازع العلماء فى نجاستها على ثلاثة أقوال فى مذهب الامام أحمد وغيره فقيل هى نجسة كالخمر المشروبة وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل : لا ٠٠ ، لجمودها وقيل : يفرق بين جامدها ومائعها ، وبكل حال فهى داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظا ومعنى ٠ قال أبو موسى : يا رسول الله ٠٠ أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن (البتع) وهو من العسل ينبذ حتى يشتد و (المزر) وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد قال : وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه فقال ﷺ : « كل مسكر حرام » (رواه مسلم) وقال ﷺ : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولا أو مشروبا على أن الخمر قد يصنع بها يعنى الخبز وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب والخمر يشرب ويؤكل والحشيشة تشرب وتؤكل وانما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين وانما حدثت فى مجىء التتار الى بلاد الاسلام وقد قيل فى وصفها شعر :

فآكلها وزارعها حلالا فتلك على الشقى مصيبتان

فوالله ما فرح ابليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا عشت فى أكلها بأقبح عيشة
قيمة المرء جوهر فلماذا يا أخا الجهل بعته بحشيشة

(**حكاية**) عن عبد الملك بن مروان أن شابا جاء اليه باكيا حزينا فقال : يا أمير المؤمنين ٠٠ انى ارتكبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة ؟ فقال : وما ذنبك ؟ قال : ذنبى عظيم قال : وما هو ؟ ٠٠ فتب الى الله تعالى فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ٠٠ قال : يا أمير المؤمنين٠٠كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أمورا عجيبة قال : وما رأيت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ٠٠نبشت ليلة قبرا فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه وأردت الخروج واذا أنا بقائل يقول فى القبر :ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة ؟ فقلت : لماذا حول ؟ قال : لأنه كان مستخفا بالصلاة هذا جزاء مثله ثم نبشت قبرا آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيرا وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه فخفت منه وأردت الخروج واذا بقائل يقول لى : ألا تسأل عن عمله ولماذا يعذب ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان يشرب الخمر فى الدنيا ومات من غير توبة ٠ والثالث يا أمير المؤمنين ٠٠ نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتاد من نار وأخرج لسانه من قفاه فخفت ورجعت وأردت

الخروج فنوديت . ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان لا يتحرز من البول وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله والرابع يا أمير المؤمنين ·· نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد اشتعل نارا فخفت وأردت الخروج فقيل : ألا تسأل عنه وعن حاله ؟ فقلت : وما حاله ؟ فقال : كان تاركا للصلاة · والخامس يا أمير المؤمنين ·· نبشت قبرا فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع والميت نائم على سرير وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتنى منه هيبة وأردت الخروج فقيل لى : هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة ؟ فقلت : لماذا أكرم ؟ فقيل لى : لأنه كان شابا طائعا نشأ فى طاعة الله عز وجل وعبادته ، فقال عبد الملك عند ذلك : ان فى هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين · فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة الى التوبة والطاعة جعلنا الله واياكم من الطائعين وجنبنا أفعال الفاسقين انه جواد كريم ·

* * *

الكبيرة العشرون : القمـــار

قال الله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون · انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون**))(١) والميسر هو القمار بأى نوع من نرد أو شطرنج او فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غير ذلك ، وهو من أكل اموال الناس بالباطل الذى نهى الله عنه بقوله : ((**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**))(٢) وداخل فى قول النبى ﷺ : « ان رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة »(٣) وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق » فاذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل ·

(**فصل**) اختلف العلماء فى النرد والشطرنج اذا خليا عن رهن فاتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى لحم الخنزير ودمه » (أخرجه مسلم) وقال ﷺ : « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله »(٤) وقال ابن عمر رضى الله عنهما :

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١ · (٢) البقرة : ١٨٨ ·

(٣) رواه البخارى كما قاله المؤلف فى الرسالة الصغرى ·

(٤) رواه مالك وأبو داوود وابن ماجه والحاكم والبيهقى وقال الحاكم : صحيح على شرطهما ·

اللعب بالنرد قمار كآكل لحم الخنزير واللعب بها من غير قمــار كالدهن بودك الخنزير ٠

قال . وأما الشطرنج فأكثر العلمــاء على تحريم اللعب بها سواء أكان برهن أو بغيره أما بالرهن فهو قمــار بلا خلاف وأما الكلام اذا خلا عن الرهن فهو أيضــا قمار حرام عند أكثر العلماء وحكى اباحته فى رواية عن الشــافعى اذا كان فى خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة فى وقتها وسئل النووى رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز ؟ فأجاب رحمه الله تعالى : هو حــرام عند أكثر أهل العلم ٠ وسئل أيضا رحمه الله عن لعب الشطرنـج هل يجوز أم لا وهل يأثم اللاعب بها أم لا ؟ أجاب رحمه الله : ان فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بهــا على عوض فهو حرام والا فمكروه عند الشــافعى وحرام عند غيره وهذا كلام النووى فى فتاويه ٠

والدليل على تحريمه على قول الأكثرين فى قوله تعــالى : ((**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**))(١) الى قوله : ((**وأن تستقسموا بالأزلام**))(١) قال سفيان ووكيع بن الجراح : هى الشطرنج وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الشــطرنج ميسر الأعاجم ، ومر رضى الله عنه على قــوم يلعبون بها فقال : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس احدكم جمــرا حتى يطفى خير له من ان يمســها ثم قال : والله لغير هذا خلقتم وقال أيضــا رضى الله عنه : صاحب الشطرنج أكذب الناس يقول أحدهم : قتلت وما قتل ومات وما مات وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه : لا يلعب بالشطرنج الا خاطىء وقيل لاسحاق بن راهويه : أترى فى اللعب بالشطرنج بأس ؟ فقال : البأس كله فيه فقيل له : ان أهل الثغــور يلعبون بها لأجل الحرب فقال : أدنى ما يكون فيها أنّ اللاعب بها يعرض يوم القيامة ــ أو قال : يحشر يوم القيامة ــ مع أصحاب الباطل ٠

وسئل ابن عمــر رضى الله عنهما عن الشــطرنج فقال : هى أشر من النرد وتقدم الكلام على تحريمه ، وسئل الامام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنـج فقال : الشطرنـج من النرد بلغنــا عن ابن عباس انه ولى مالا ليتيم فوجدها فى تركة والد اليتيم فأحرقها ، ولو كان اللعب بها حلالا لمــا جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم ولكن لمــا كان اللعب بها حراما أحرقها فتكون من جنس الخمر اذا وجد فى مال اليتيم وجبت اراقته كذلك الشطرنج وهــذا مذهب حبر الأمة رضى الله عنه وقيل لابراهيم النخعى : ما تقول فى اللعب بالشطرنج ؟ فقال : انها ملعونة ٠

---

(١) المــائدة : ٣ ٠

وروى أبو بكر الأثرم(١) فى جامعه عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال : « ان لله فى كل يوم ثلثمائة وستين نظـرة الى خلقه ليس لصاحب الشـاه فيها نصيب – يعنى لاعب الشطرنج – لأنه يقول شاه مات » ، وروى أبو بكر الآجرى باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهـذه الأزلام النرد والنسطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم فانهم اذا اجتمعوا واكبوا عليهـا جاءهم الشيطان بجنوده فأحدق بهم كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ولأنم يكذبون عليها فيقولون : شاه مات » وروى عنه ﷺ أنه قال : « أشد الناس عذابا يوم القيامة صاحب الشـاه – يعنى صاحب الشطرنج – ألا تراه يقول : قتلته ، والله ما مات٠٠والله افترى وكذب على الله »(٢) ٠

وقال مجاهد : ما من ميت يموت الا مثل له جلسـاؤه الذين كان يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له : قل : لا اله الا الله فقال : شاهك ثم مات فغلب على لسـانه ما كان يعتاده حال حياته فى اللعب فقال : عوض كلمة الاخلاص شاهك ٠ وهذا كما جاء فى انسـان آخـر ممن كان يجالس شراب الخمـر أنه حين حضره الموت فجاءه انسـانٌ يلقنه الشـهادة فقال له : اشرب واسقنى ثم مات فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠ وهذا كما جاء فى حديث مروى : « يموت كل انسان على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه »(٣) فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لا مبدلين ولا مغيرين ولا ضالين ولا زائغين انه جواد كريم ٠

❋ ❋ ❋

الكبيرة الحادية والعشرون : قذف المحصنات

قال الله تعالى : « ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنـوا فى الدنيا والآخـرة ولهم عذاب عظيم ٠ يوم تشـهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »(٤) وقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون »(٥) ٠

---

(١) أحمد بن محمد بن هانىء ابو بكر الأثرم البغـدادى صاحب الامام أحمد المتوفى سنة ٢٧٣هـ ٠

(٢) قال المنذرى فى الترغيب : وقد ورد ذكر الشطرنج فى أحاديث لا أعلم لشىء منها اسنادا صحيحا ولا حسنا ، والله أعلم ٠

(٣) روى مسلم بلفظ آخـر : « يبعث كل عبد على ما مات عليه » ذكره فى أسنى المطالب ٠

(٤) النور : ٢٣ ، ٢٤ ٠ (٥) النور : ٤ ٠

بين الله تعالى فى الآية أن من قذف امـرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون فى الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم وعليه فى الدنيـا الحد ثمانون جلدة وتسقط شهادته وان كان عدلا • وفى الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات • والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة او يقول لزوجها : يا زوج القحبة • أو يقول لولدها : يا ولد الزانية ، أو يا ابن القحبة او يقول لبنتها : يا بنت الزانية أو يا بنت القحبة فان القحبة عبارة عن الزانية فاذا قال ذلك احد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل : يا زانى او قال لصبى حر : يا علق أو يا منكوح وجب عليه الحد ثمانون جلدة الا أن يقيم بينة بذلك والبينة ما قال الله اربعة شـهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المـرأة أو ذلك الرجل فان لم يقم بينة جلد اذا طالبته بذلك التى قذفها او اذا طالبه بذلك الذى قذفه وكذلك اذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه : يا زانى أو لجاريته : يا زانية أو يا باغية او يا قحبة لـما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قذف مملوكه بالزنا اقيم عليه الحـد يوم القيامة الا ان يكون كما قال » وكثير من الجهال واقعون فى هذا الكلام الفاحش الذى عليهم فيه العقوبة • فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها(١) فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » فقال له معاذ بن جبل : يا رسول الله •• وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال : « ثكلتك أمك(٢) يا معـاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصـائد السنتهم » • وفى الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »(٣) وقال تبارك وتعالى فى كتابه العزيز : (**ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد**)(٤) وقال عقبة بن عامر : يا رسول الله •• ما النجاة ؟ قال : « امسك عليـك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وان أبعد النـاس الى الله القلب القاسى »(٥) •

وقال ﷺ : « ان أبغض الناس الى الله الفاحش الذى يتكلم بالفحش

---

(١) يزل : اى يهوى ، من الزلل بالزاى •

(٢) اى فقدتك ولا يقصد معناه وانما يجرى على لسانهم عفوا •

(٣) رواه البخارى ومسلم فى ضمن حديث اكرام الضيف والنهى عن أذى الجار • من المنذرى •

(٤) سورة ق : ١٨ •

(٥) رواه أبو داوود والترمذى وحسنه وابن أبى الدنيا كلهم من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عنه •

وردى الكلام »(١) وقانا الله واياكم شر السنتنا بمنه وكرمه انه جواد كريم (٢) ·

* * *

الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة

وهى من بيت المـال ومن الزكاة قال الله تعالى : « **ان الله لا يحب الخائنين** »(٣) وقال تعالى : « **وما كان لنبى أن يغل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** »(٤) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال . « لا ألفين(٥) أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء(٦) يقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة(٧) فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد ابلغتك ، لا الفين احدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء(٨) يقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد ابلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد ابلغتك · لا الفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع يخفق فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول :

---

(١) فى معناه حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا : « اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش » رواه النسائى فى سننه الكبرى فى التفسير منها والحاكم وصححه وكذلك حديثه : « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها » رواه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم وحديث ابن مسعود مرفوعا : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء » (رواه الترمذى باسناد صحيح أفاده العراقى) ·

(٢) (**فائدة**) قال المؤلف فى الصغرى : وأما من قذف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بعد نزول براءتها من السـماء فهو كافر مكذب للقرآن فيقتل كفرا ·

(٣) الانفال : ٥٨ ·

(٤) آل عمران : ١٦١ ·

(٥) اى لا أجدن ·

(٦) الرغاء : صوت البعير ·

(٧) الحمحمة : صوت الفرس ·

(٨) الثغاء : صوت الشاة ·

يا رسول الله أغثني فأقول . لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك » (أخرج هذا الحديث مسلم)(١) ٠

(قوله) على رقبته رقاع تخفق أى ثياب وقماش (قوله) على رقبته صامت : أى من ذهب أو فضه ، فمن أخذ شيئا من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو من بيت المال وبغير اذن الامام ، أو من الزكاة التى تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته كما ذكر الله تعالى فى القرآن : ((**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**)) ٠

ولقول النبى ﷺ : « أدوا الخيط والمخيط واياكم والغلول فانه عار على صاحبه يوم القيامة » ولقول النبى ﷺ لما استعمل ابن اللتبيه على الصدقة وقدم وقال : هذا لكم وهذا أهدى إلى فصعد النبى ﷺ المنبر وحمد الله واثنى عليه الى أن قال : « والله لا يأخذ احد منكم شيئا بغير حقه الا جاء يوم القيامة يحمله فلا أعرف رجلا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر » ثم رفع يديه ﷺ فقال : « اللهم هل بلغت »(٢) ٠

وعن أبى هريرة(٣) قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ثم انطلقنا الى الوادى (يعنى وادى القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بنى جذام (يدعى رفاعة بن يزيد من بنى الضبيب) فلما نزلنا (الوادى) قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا : هنيئا له بالشهادة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : « كلا ٠٠ والذى نفسى بيده ٠٠ ان الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم » قال : ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال : أصبت يوم خيبر) فقال رسول الله ﷺ : « شراك أو شراكان من نار » (متفق عليه)(٤) وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له : كركرة ، فمات ، فقال النبى ﷺ : « هو فى النار » فذهبوا

---

(١) يعنى بها اللفظ والا فقد عزاه فى الترغيب للبخارى أيضا وقال : واللفظ لمسلم ٠

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى حميد الساعدى ، الخوار : صوت البقر ، واليعار : صوت الغنم اهـ منذرى ٠

(٣) وكذا رواه أبو داوود والنسائى والزيادات بين قوسين أثناء الحديث فى لفظ الحديث فى الترغيب والترهيب لم تكن فى الأصل وقد كان فيه بين لفظى ذهبا وورقا كلمة فضة حذفناها لعدم وجودها فى لفظ الحديث فى الترغيب ولأنها تكرار لفظ ورقا والشملة كما قال المنذرى كساء أصغر من القطيفة يتشح به ٠

(٤) رواه مالك وأحمد ٠ وأبو داوود والنسائى وابن ماجه بنحو مما هنا كما فى المنذرى ٠

ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها(١) ، وعن زيد بن خالد الجهنى أن رجلا غل فى غزوة خيبر فامتنع النبى ﷺ من الصلاة عليه وقال . « ان صاحبكم غل فى سبيل الله » قال : ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزا من خرز اليهود ما يساوى درهمين • قال الامام أحمد رحمه الله : ما نعلم أن النبى ﷺ امتنع من الصلاة على أحد الا على الغال وقاتل نفسه وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « هدايا العمال غلول »(٢) •

وفى الباب أحاديث كثيرة ويأتى بعضها فى باب الظلم ، والظلم على ثلاث أقسام (أحدها) أكل المال بالباطل (وثانيها) ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح (وثالثها) ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف ، وقد خطب النبى ﷺ بمنى فقال : « ألا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هـذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » (متفق عليه) •

وقال ﷺ : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول »(٣) • فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم •

* * *

الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة

قال الله تعالى : ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم))(٤) قال ابن شهاب : نكل الله بالقطع فى سرقة أموال الناس والله عزيز فى انتقامه من السارق حكيم فيما أوجبه من قطع يده وقال ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولكن التوبة معروضة »(٥) •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قطع فى مجن قيمته ثلاثة دراهم(٦) • وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق فى ربع دينار فصاعدا(٧) • وفى رواية : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه البخارى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وكان فى الأصل ابن عمر غلطا فصححناه (عمرو) والنفل محركة الغنيمة وكركرة بفتح الكافين أو كسرهما أفاده المنذرى •

(٢) رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبى حميد السـاعدى وله شواهد من حديث حذيفة وابن عباس وجابر أفاده فى كشف الخفاء •

(٣) رواه مسلم من حديث ابن عمر ا هـ مشكاة •

(٤) المـائدة : ٣٨ •

(٥) تقدم عزوه فيما تقدم فى الكبيرة العاشرة •

(٦) متفق عليه كما فى المشكاة وبلوغ المرام •

(٧) متفق عليه •

« لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن »(١) • قيل لعائشة رضى الله عنها . وما ثمن المجن ؟ قالت : ربع دينار • وفى روايه : قال : « اقطعوا فى ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك »(٢) ، كان ربع الدينار يومئذ ثلاثه دراهم ، الدينار اثنى عشر درهما •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده »(٣) • قال الاعمش : كانوا يرون انه بيض الحديد والحبل كانوا يرون ان منها ما يساوى ثمنه ثلاثه دراهم •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ : « يا أسامة •• لا أراك تشفع فى حد من حدود الله تعالى » ثم قام النبى ﷺ خطيبا فقال : « انما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »(٤) • فقطع يد المخزومية •

وعن عبد الرحمن بن جرير(٥) قال : سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق فى عنقه أمن السنة ؟ قال . أتى النبى ﷺ بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت فى عنقه • قال العلماء : ولا تنفع السارق توبته الا أن يرد ما سرقه فان كان مفلسا تحلل من صاحب المـال ، والله أعلم •

***

الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق

قال الله تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »(٦) •

---

(١) هى لفظ مسلم كما فى بلوغ المرام •
(٢) لفظ رواية أحمد ا ه منه •
(٣) متفق عليه كما فى المشكاة •
(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم كما فى المشكاة •
(٥) رواه الترمذى وأبو داوود والنسائى وابن ماجه كذا فى المشكاة •
(٦) المـائدة : ٣٣ •

قال الواحدى(١) رحمه الله : معنى يحاربون الله ورسوله : يعصونهما ولا يطيعونهما كل من عصاك فهو محارب لك ويسعون فى الأرض فسادا : أى بالقتل والسرقة وأخذ الأموال . وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله . وهذا قول مالك والأوزاعى والشافعى (قوله) أن يقتلوا الى قوله : أو ينفوا من الأرض قال الوالبى(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما . (أو) أدخلت للتخيير ومعناها الاباحة ان شاء الامام قتل ، وان شاء صلب وان شاء نفى . وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقال فى رواية عطيه(٣) : (او) ليست للاباحة انما هى مرتبة للحكم باختلاف الجنايات فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل ومن أخاف السبيل ولم يقتل نفى من الأرض وهذا مذهب الشافعى رضى الله عنه وقال الشافعى أيضا : يحد كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع الى اهله يدفنونه ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت فان عاد وسرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان عاد وسرق قطعت يده اليسرى لما روى عن النبى ﷺ قال فى السارق . « ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ثم ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله »(٤) ولأنه فعل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار الى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله : من خلاف .

---

(١) هو أبو الحسن على بن احمد بن محمد بن على بن متوية بفتح الميم وتشديد التاء المثناة صاحب التفاسير المشهورة « البسيط والوسيط والوجيز وأسباب نزول القرآن والتحبير فى شرح أسماء الله الحسنى » وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى شرحا مستوفيا ليس فى شروحه على كثرتها مثله وذكر فيه أشياء غريبة وكان الواحدى تلميذ أبى اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى المفسر المشهور وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه ، توفى سنة ٤٦٨ هجرية فى جمادى الآخرة ا هـ من ابن خلكان .

(٢) يعنى على بن ابى طلحة الوالبى راوية تفسير ابن عباس وان كان فى سماعه منه كلام ، راجع ترجمته فى الميزان للذهبى .

(٣) يعنى ابن سعد العرفى مختلف فى توثيقه صدوق يخطىء كثيرا وكان يدلس افاده فى التقريب .

(٤) رواه أبو داوود والنسائى من حديث جابر واستنكره وأخرجه من حديث الحارث ابى حاطب نحوه وذكر الشافعى أن القتل فى الخامسة منسوخ ا هـ بلوغ المرام .

وقوله تعالى . ((أو ينفوا من الأرض)) قال ابن عباس : هو أن يهدر الامام دمه فيقول : من لقيه فليقتله هذا فيمن لم يقدر عليه فاما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن لأنه اذا حبس ومنع من التقلب فى البلاد فقد نفى منها . أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعرا :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها   فلسنا من الاحيا فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجه   عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا

قال : فبمجرد قطع الطريق واخافه السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف اذا أخذ المال أو جرح أو قتل فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة وانفاق ما يأخذونه فى الخمر والزنا واللواطه وغير ذلك ، نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم غفور رحيم .

* * *

الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين الغموس

قال الله تعالى : ((**ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**))(١) قال الواحدى (٢) : نزلت فى رجلين اختصما الى النبى ﷺ فى ضيعة فهم المدعى عليه ان يحلف فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عن اليمين وأقر بحقه . وعن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ((من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقى الله تعالى وهو عليه غضبان))(٣) فقال الأشعث : فى والله نزلت ، كان بينى وبين رجل من اليهود أرض فجحدنى فقدمته الى النبى ﷺ فقال : ((الك بينة)) ؟ قلت : لا .. قال لليهودى : ((احلف)) قلت : يا رسول الله .. انه اذن يحلف فيذهب بمالى فأنزل الله تعالى : ((**ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا**)) أى عرضا يسيرا من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين ((**أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة**)) أى لا نصيب لهم فى الآخرة ((**ولا يكلمهم الله**)) أى بكلام يسرهم ((**ولا ينظر اليهم**)) نظرا يسرهم يعنى الرحمة ((**ولا يزكيهم**)) ولا يزيدهم خيرا ولا يثنى عليهم .

وعن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من حلف على مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان)) قال عبد الله : ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله : ((**ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا**)) الى آخر الآية أخرجاه فى الصحيحين . وعن أبى أمامة

---

(١) آل عمران : ٧٧ .   (٢) تقدمت ترجمته قريبا .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى وابن ماجه مختصرا ا هـ وتفسير الآية فى آخر الحديث من صنيع المؤلف .

قال . كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال رجل : وان كان يسيرا يا رسول الله ؟ قال : « وان كان قضيبا من أراك » (أخرجه مسلم)(١) فى صحيحه قال حفص بن ميسرة : ما أشد هـذا الحديث · فقال : أليس فى كتاب الله تعالى : « ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا »(٢)·· الآية · وعن أبى ذر عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » مقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال ابو ذر : خابوا وخسروا يا رسول الله من هم ؟ قال : « المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »(٣) وقال ﷺ : « الكبائر . الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » (أخرجه البخارى)(٤) فى صحيحه ، والغموس : هى التى يتعمد الكذب فيها سميت غموسا لأنها تغمس الحالف فى الاثم وقيل : فى النار(٥) ·

(فصل) ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبى والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة وهي من أشد ما هنا والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان ·

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت »(٦) وفى رواية فى الصحيح : « فمن كان حالفا فلا يحلف الا بالله أو ليسكت » ·

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحلفوا بالطواغى ولا بآبائكم » (رواه مسلم)(٧) · الطواغى : جمع طاغية وهى الأصنام ومنه الحديث : « هذه طاغية دوس » أى صنمهم ومعبودهم وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف بالأمانة فليس منا » (رواه أبو داوود وغيره) وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله

---

(١) رواه النسائى وابن ماجه ومالك كلهم من حديث أبى أمامة اياس ابن ثعلبة الحارثى ا هـ منذرى · (٢) آل عمران : ٧٧ ·

(٣) رواه مسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه ·

(٤) رواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقد تقدم مرارا ·

(٥) عبارة المنذرى : تغمس الحالف بها فى الاثم فى الدنيا وفى النار فى الآخرة وهى أحسن مما هنا : من جعلهما قولين فيها ·

(٦) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه قاله المنذرى ·

(٧) كان فى الأصل أبو عبد الرحمن وهو غلط وانما هو عبد الرحمن ابن سمرة بن أبى حبيب من مسلمة الفتح افتتح سجستان روى له الستة سكن البصرة · مات بعد سنة ٥٠ ، أفاده فى التقريب ·

صلى الله عليه وسلم : « من حلف فقال : انى برىء من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما »(١) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلا يقول : والكعبة .. فقال : تحلف بغير الله ؟ فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » (رواه الترمذى وحسنه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهم)(٢) قال : وفسر بعض العلماء قوله : كفر أو أشرك على التغليظ كما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « الرياء شرك » .

وقال ﷺ : « من حلف فقال فى حلفه . واللات والعزى .. فليقل . لا اله الا الله »(٣) وقد كان فى الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل اسلامه فربما سبق لسانه الى الحلف بها فأمره النبى ﷺ أن يبادر بقوله : لا اله الا الله ليكفر بذلك ما سبق الى لسانه ، وبالله التوفيق .

* * *

الكبيرة السادسة والعشرون : الظلم

بأكل أموال الناس وأخذها ظلما وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدى والاستطالة على الضعفاء قال الله تعالى : ((**ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم ، وأفئدتهم هواء . وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ، أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال . وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال**))(٤) وقال تعالى : ((**انما السبيل على الذين يظلمون الناس**))(٥) وقال تعالى : ((**وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون**))(٦) .

وقال ﷺ : « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته »(٧) ثم

---

(١) أى عن بريدة رواه أبو داوود وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما اهـ منه .

(٢) وسكت على ذلك المنذرى فى ترغيبه لكنَ قال المصنف فى الصغرى : اسناده على شرط مسلم وساقه من حديث الحسن بن عبيد الله النخعى عن سعد بن عبيدة .

(٣) قال فى الصغرى : متفق عليه يعنى رواه البخارى ومسلم .

(٤) ابراهيم : ٤٢ ـ ٤٥ . (٥) الشورى : ٤٢ .

(٦) الشعراء : ٢٢٧ .

(٧) رواه البخارى ومسلم والترمذى من حديث أبى موسى الأشعرى . قاله المنذرى .

قرأ رسول الله ﷺ : « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ، ان أخذه أليم شديد »(١) • وقال ﷺ : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه »(٢) •

وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى انه قال : « يا عبادى •• انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا »(٣) وقال رسول الله ﷺ : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : يا رسول الله •• المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع • فقال : « ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج فيأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأخذ مال هذا ونبش عن عرض هذا وضرب هذا وسفك دم هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح فى النار »(٤) وهذه الأحاديث كلها فى الصحاح(٥) وتقدم حديث « ان رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » وتقدم قوله(٦) لمعاذ حين بعثه الى اليمن : « واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب »(٧) وفى الصحيح : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » •

وفى بعض الكتب يقول الله تعالى : « اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيرى » وانشد بعضهم :

لا تظلمن ما كنت مقتدرا	فالظلم يرجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه	يدعو عليك وعين الله لم تنم

وكان بعض السلف يقول : لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء وقال أبو هريرة رضى الله عنه . ان الحبارى لتموت فى وكرها هزالا من ظلم الظالم وقيل : مكتوب فى التوراة : ينادى مناد من وراء الجسر ـ يعنى الصراط ـ

---

(١) هود : ١٠٢ •

(٢) رواه البخارى والترمذى من حديث أبى هريرة ا ﻫ منذرى •

(٣) رواه مسلم والترمذى وهو من حديث أبى ذر الطويل •

(٤) رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة •

(٥) تقدم فى القمار رواه البخارى •

(٦) رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث طويل عن ابن عباس •

(٧) رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة وشواهده كثيرة كما فى المنذرى •

يا معشر الجبابرة الطغاة ·· ويا معشر المترفين الأشقياء ·· ان الله حلف بعزته وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم · عن جابر(١) قال : لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح الى رسول الله ﷺ قال : « ألا تخبرونى باعجب ما رايتم بأرض الحبشة » ؟ فقال فتية كانوا منهم : بلى يا رسول الله ·· بينما نحن يوما جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على راسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت اليه ثم قالت : سوف تعلم يا غادر اذا وضع الله الكرسى وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم من أمرى وأمرك عنده غدا · فقال رسول الله ﷺ : « صدقت ·· كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم » ·

اذا المظلوم استوطأ الظلم مركبا	ولج عتوا فى مبيح اكتسابه
فكله الى صرف الزمان وعدله	سيبدو له ما لم يكن فى حسابه

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « خمسة غضب الله عليهم ، ان شاء امضى غضبه عليهم فى الدنيا والا أمر بهم فى الآخره الى النار . أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته ورجل ظلم امرأة صداقها » ·

وعن عبد الله بن سلام قال : ان الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم الى السماء وقالوا : يا رب ·· مع من أنت ؟ قال : مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ، وعن وهب بن منبه قال : بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه كوخا تأوى اليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى الكوخ فقال . لمن هذا ؟ فقيل : لامرأة فقيرة تأوى اليه فأمر به فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت : من هدمه ؟ فقيل · الملك رآه فهدمه · فرفعت العجوز رأسها الى السماء وقالت : يا رب ·· اذ لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت ؟ قال · فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه ·

وقيل : لما حبس خالد بن برمك وولده قال : يا أبت بعد العز صرنا فى القيد والحبس فقال : يا بنى ·· دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل

---

(١) عزا المرفوع منه فى الجامع الصغير الى ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وصححه وذكر شاهدا له من حديث بريدة عند أبى يعلى والبيهقى وعلم عليه بالصحة أيضا ·

الله عنها وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت أحداً قط هيبتى رجلا ظلمته وأنه أعلم أنه لا ناصر له الا الله يقول لى : حسبى الله ، الله بينى وبينك ٠

وحبس الرشيد أبا العتاهيه الشاعر فكتب اليه من السجن هذين البيتين شعرا :

أما والله ان الظلم شؤم   وما زال المسئ هو الظلوم
ستعلم يا ظلوم اذا التقينا   غدا عند المليك من الملوم

وعن ابى أمامة قال : « يجىء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فان لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الى الدرك الأسفل من النار »(١) ٠

وعن عبد الله بن انيس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك الديان ٠٠ لا ينبغى لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا » قلنا : يا رسول الله ٠٠ كيف وانما نأتى حفاه عراة فقال : « بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحدا »(٢) وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة »(٣) ٠ ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه حتى اذا بلغ الولد الغاية فى الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا شديدا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم الى ان كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له : ما حملك على أن ضربتنى فى يوم كذا وكذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب ؟ فقال المعلم : اعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية فى الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد ابيك

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى أمامة مرفوعا ورواته مختلف فى توثيقهم قاله المنذرى ٠

(٢) رواه أحمد باسناد حسن قاله المنذرى وعزاه ابن القيم فى صواعقه الى أبى يعلى الموصلى فى مسنده والبخارى فى الأدب المفرد والضياء فى المختارة والطبرانى فى المعجم والسنة وغيرهم وحسن اسناده وهو من رواية همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر فى رحلته الى الشام الى عبد الله بن أنيس فذكره وعلقه البخارى فى أول صحيحه مجزوما به وفى آخره بلفظ : ويذكر عن جابر ٠٠ الخ ٠

(٣) رواه البزار والطبرانى باسناد حسن من حديث أبى هريرة قاله المنذرى ٠

فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا • فقال : جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه •

ومن الظلم أخذ مال اليتيم وتقدم حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله ﷺ : « واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب »(١) •
وفي رواية : « ان دعاء المظلوم رفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي •• لأنصرنك ولو بعد حين »(٢) •

وأنشد شعرا :

توق دعاء المظلوم ان دعاءه	ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توق دعا من ليس بين دعائه	وبين اله العالمين حجاب
ولا تحسبن الله مطرحا له	ولا أنه يخفى عليه خطاب
فقد صح ان الله قال : وعزتي	لأنصرن المظلوم وهو مثاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فانه	جهول والا عقله فمصاب

(فصل) ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « مطل الغنى ظلم » وفي رواية : « لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » أي يحل شكايته وحبسه •

(فصل) ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل في قوله ﷺ : « لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » •

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق : هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ : ((فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون))(٣) قال : فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق : ائتوا الى حقوقكم • قال : فيقول الله تعالى للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته فان كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها وان كان عبدا شقيا ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة ربنا •• فنيت حسناته وبقى طالبوه فيقول الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها الى سيئاته ثم صك له صكا الى النار ، ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبي

---

(١) تقدم قريبا أنه رواه البخاري ومسلم وابو داوود والنسائي من حديث ابن عباس •

(٢) رواها أحمد في حديث لأبي هريرة والترمذي وحسنه ، وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما قاله المنذري •

(٣) المؤمنون : ١٠١ •

ﷺ : « اتدرون من المفلس » ؟(١) فذكر أن المفلس من أمته من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار ٠

(**فصـل**) ومن الظلم أن يستأجر أجيرا أو انسانا فى عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل اعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا استوفى منه العمل ولم يعطه أجرته » وكذلك اذا ظلم يهوديا أو نصرانيا أو نقصه أو كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فهو داخل فى قوله تعالى : « أنا حجيجه ـ أو قال : أنا خصمه ـ يوم القيامة » ٠ ومن ذلك ان يحلف على دين فى ذمته كاذبا فاجرا لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » قيل : يا رسول الله ٠٠ وان كان شيئا يسيرا ؟ قال : « وان كان قضيبا من أراك » ٠

فخف القصاص غـدا الا أوفيت ما ... كسبت يداك اليـوم بالقسـطاس
فى موقف ما فيـه الا شـاخص ... او مهطـع أو مقنـع للـراس
اعضاؤهم فيه الشـهود وسجنهم ... نار وحاكمهم شـديد البـاس
ان تمطل اليوم الحقوق مع الغنى ... فغـدا تؤديهـا مع الافـلاس

وقد روى أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها فى الدنيا كما قال النبى ﷺ : « لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »(٢) وقال ﷺ : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شىء فليتحلل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح فى النار »(٣) ٠ وروى عبد الله بن أبى الدنيا بسنده الى أبى أيوب الأنصارى ان رسول الله ﷺ قال : « أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته ، والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشـهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها فى الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولى

---

(١) تقدم قريبا رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة ٠
(٢) رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ٠
(٣) رواه البخارى والترمذى من حديث أبى هريرة قاله المنذرى فى ترغيبه ٠

زوجته من خير أو شر ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط ولكن حسنات هذا الظالم تدفع الى هذا المظلوم وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم ثم يؤتى بالجبارين فى مقامع من حديد فيقال : سوقوهم الى النار »(*) وكان شريح القاضى يقول : سيعلم الظالمون حق من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب ، وروى أنه اذا أراد الله بعبده خيرا سلط الله عليه من ظلمه ، ودخل طاوس اليمانى على هشام بن عبد الملك فقال له . اتق الله يوم الأذان . قال هشام : وما يوم الاذان ؟ قال : قوله تعالى : « **فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين** »(١) فصعق هشام فقال طاوس : هذا ذل الصفة فكيف بذل المعاينة ؟ يا راضيا باسم الظالم كم عليك من المظالم ؟ السجن جهنم !! والحق الحاكم .

(**فصل**) فى الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم قال الله تعالى : « **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار** »(٢) والركون هنا : السكون الى الشىء والميل اليه بالمحبة قال ابن عباس رضى الله عنهما : لا تميلوا كل الميل فى المحبة ولين الكلام والمودة وقال السدى وابن زيد : لا تدهنوا الظلمة وقال عكرمة : هو أن يعطيهم ويودهم وقال ابو العالية : لا ترضوا بأعمالهم « **فتمسكم النار** »(٢) فيصيبكم لفحها « **وما لكم من دون الله من أولياء** »(٢) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله « **ثم لا تنصرون** »(٢) لا تمنعون من عذابه وقال تعالى : « **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** »(٣) أى اشباههم وأمثالهم وأتباعهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سيكون أمراء يغشاهم غواش - أو حواش - من الناس يظلمون ويكذبون فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه »(٤) وعنه رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « من أعان ظالما سلط عليه »(٥) وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة الا بانكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة . وقال مكحول الدمشقى : ينادى مناد يوم القيامة : أين الظلمة

(*) رواه الطبرانى فى مسنده عن عبد الله بن عبد العزيز الليثى وهو ضعيف . ووثقه سعيد بن منصور وقال : كان مالك يرضاه اهـ مجمع الزوائد .

(١) الأعراف : ٤٤ . (٢) هود : ١١٣ . (٣) الصافات : ٢٢ .

(٤) رواه أحمد وابو يعلى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى لا ابن مسعود كما فى المنذرى فلعل ما هنا من خطأ النساخ .

(٥) عزاه السيوطى فى جامعه الصغير الى ابن عساكر عن ابن مسعود واشار الى ضعفه .

وأعوانهم ؟ .. فما أحد مد لهم خبرا أو حبر لهم دواة أو برى لهم قلماً فما فوق ذلك الا حضر معهم فيجمعون فى تابوت من نار فيلقون فى جهنم . وجاء رجل خياط الى سفيان الثورى فقال : انى رجل أخيط ثياب السلطان .. هل أنا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الابرة والخيوط .

وقد روى عن النبى ﷺ انه قال : « أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدى الظلمة » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة . الجلاوزة : أعوان الظلمة .

وقد روى أن الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام أن مر ظلمة بنى اسرائيل أن يقلوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرنى وان ذكرى اياهم أن ألعنهم ، وفى رواية : فانى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة(١) وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يقف احدكم فى موقف يضرب فيه رجل مظلوم فان اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان اذا لم يدفعوا عنه » .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اتى رجل فى قبره فقيل له : انا ضاربوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع اليهم حتى صاروا الى ضربة واحدة فضربوه فالتهب القبر عليه نارا فقال : لم ضربتمونى هذه الضربة ؟ فقالوا : انك صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره »(٢) فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم ؟ .

وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » ، فقال : يا رسول الله .. انصره اذا كان مظلوما فكيف أنصره اذا كان ظالما ؟ قال : « تمنعه من الظلم فان ذلك نصره »(٣) .

ومما حكى قال بعض العارفين : رأيت فى المنام رجلا ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة فى حالة قبيحة فقلت له : ما حالك ؟ قال : شر حال فقلت : الى أين صرت ؟ قال : الى عذاب الله قلت : فما حال الظلمة عنده ؟ قال : شر حال أما سمعت قول الله عز وجل : ((**وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون**))(٤) ومما حكى قال بعضهم : رأيت رجلا مقطوع اليد من

---

(١) رواه الطبرانى باسناد حسن من حديث ابن عباس بلفظ : يقتل فيه رجل ظلما .. الخ اهـ ترغيب .

(٢) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر وفى سنده يحيى بن عبد الله البابلى وهو ضعيف قاله فى مجمع الزوائد وعزاه فى الترغيب الى كتاب التوبيخ لأبى الشيخ ابن حبان واشار لضعفه .

(٣) رواه البخارى من حديث انس ومسلم من حديث جابر قاله المنذرى فيه .

(٤) الشعراء : ٢٢٧ .

الكتف وهو ينادى : من رآنى فلا يظلمن أحدا فقدمت اليه فقلت له : يا أخى ٠٠ ما قصتك ؟ قال : يا أخى ٠٠ قصة عجيبة وذلك أنى كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوما صيادا وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتنى فجئت اليه فقلت : أعطنى هذه السمكة فقال : لا اعطيكها أنا آخذ بثمنها قوتا لعيالى فضربته وأخذتها منه قهرا ومضيت بها ٠ قال : فبينما أنا أمشى بها حاملها اذ عضت على ابهامى عضة قوية فلما جئت بها الى بيتى وألقيتها من يدى ضربت على ابهامى وآلمتنى ألما شديدا حتى لم انم من شدة الوجع والألم وورمت يدى فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت اليه الألم فقال : هذه بدء الآكلة اقطعها والا تقطع يديك فقطعت ابهامى ثم ضربت على يدى فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم فقيل لى : اقطع كفك فقطعته وانتشر الألم الى الساعد وآلمنى ألما شديدا ولم أطق القرار وجعلت أستغيث من شدة الألم فقيل لى : اقطعها الى المرفق فقطعتها فانتشر الألم الى العضد وضربت على عضدى أشد من الألم الأول فقيل : اقطع يدك من كتفك والا سرى الى جسدك كله فقطعتها فقال لى بعض الناس : ما سبب ألمك ؟ فذكرت قصة السمكة فقال لى : لو كنت رجعت فى أول ما أصابك الألم الى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوا فاذهب الآن اليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم الى بدنك قال : فلم ازل أطلبه فى البلد حتى وجدته فوقعت على رجليه أقبلهما وأبكى وقلت له : يا سيدى ٠٠ سألتك بالله الا ما عفوت عنى فقال لى : ومن أنت ؟ قلت : أنا الذى أخذت منك السمكة غصبا وذكرت ما جرى وأريته يدى فبكى حين رآها ثم قال : يا أخى ٠٠ قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء ٠ فقلت : يا سيد ٠٠ بالله هل كنت قد دعوت على لما أخذتها ؟ قال : نعم ٠٠ قلت : اللهم ان هذا تقوى على بقوته على ضعفى على ما رزقتنى ظلما فارنى قدرتك فيه ٠ فقلت : يا سيدى ٠٠ قد أراك الله قدرته فى وانا تائب الى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة ولا عدت اقف لهم على باب ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيا ان شاء الله ، وبالله التوفيق ٠

(موعظة) اخوانى ٠٠ كم أخرج الموت نفسا من دارها لم يدارها وكم أنزل اجسادا بجارها لم يجارها وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها ٠ شعر :

يا معرضا بوصال عيش ناعم	ستصد عنه طائعا أو كارها
ان الحوادث تزعج الأحرار عن	أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق ، وعمر النواحى وغرس الحدائق ، ونال الأمانى وركب العواتق ، صاح به من داره غراب بين ناعق ، وطرقه فى لهوه أقطع طارق وزجرت عليه رعود وصواعق ، وحل به ما شيب بعض المفارق ، وقلاه الحبيب الذى لم يفارق ، وهجره الصديق والرفيق الصادق ،

ونقل من جوار المخلوقين الى جوار الخالق ، نازله والله الموت فلم يحاشه ، واذله بالقهر بعد عز جاشه ، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه ، وخرقه الدود فى قبره كتمزيق قماشه ، وبقى فى ضنك شديد من معاشه ، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه . ما نفعه والله الاحتراز ، ولا ردت عنه الركاز ، بل ضره من الزاد الاعواز ، وصار والله عبرة للمجتاز ، وقطع شاسعا من السبل الأوفاز ، وبقى رهينا لا يدرى اهلك أم فاز ، وهذا لك بعد أيام ، وما أنت فيه الآن أحلام ، ودنياك لا تصلح وما سمعت ستراه غدا على التمام ، ويقع لى ولك ، ويحك .. أما يؤثر فيك هذا الكلام ؟ .

* * *

الكبيرة السابعة والعشرون : المكس

وهو داخل فى قوله تعالى . « **انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم** »(١) والمكاس من أكبر أعوان الظلمة بل هو من الظلمة أنفسهم فانه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق ، ولهذا قال النبى ﷺ : « المكاس لا يدخل الجنة » وقال ﷺ . « لا يدخل الجنة صاحب مكس » (رواه أبو داوود) وما ذاك الا لأنه يتقلد مظالم العباد ومن اين للمكاس يوم القيامة أن يؤدى للناس ما أخذ منهم ؟ انما يأخذون من حسناته ان كان له حسنات وهو داخل فى قول النبى ﷺ : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : يا رسول الله .. المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال : «ان المفلس من أمتى من يأتى بصلاة وزكاة وصيام وحج ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فانْ فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه اخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار »(٢) .

وفى حديث المرأة التى طهرت نفسها بالرجم : « لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له - أو لقبلت منه » والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص . وجابى المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندى وشيخ وصاحب راية شركاء فى الوزر آكلون للسحت والحرام وصح أن رسول الله ﷺ قال :«لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت ، النار أولى به» والسحت : كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار .

وذكره الواحدى(٣) رحمه الله فى تفسير قوله تعالى : « **قل لا يستوى الخبيث والطيب** »(٤) وعن جابر أنّ رجلا قال : يا رسول الله .. ان الخمر

---

(١) الشـورى : ٤٢ .

(٢) رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة كما فى الترغيب للمنذرى .

(٣) ذكره فى تفسيره الوسيط بلا سند وقال السيوطى فى لباب النقول فى أسباب النزول بسند ضعيف .

(٤) المـائدة : ١٠٠ .

كانت تجارتي واني جمعت من بيعها مالا فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ان أنفقته فى حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة ، ان الله لا يقبل الا الطيب » ، فأنزل الله تعالى تصديقا لقول رسول الله ﷺ : « **قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث** »(١) قال عطاء والحسن : الحلال والحرام ، فنسأل الله العفو والعافية .

(**موعظة**) أين من حصن الحصون المشيدة واحترس . وعمر الحدائق فبالغ وغرس ، ونصب لنفسه سرير العز وجلس ، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس ، وظن فى نفسه البقاء ولكن خاب الظن فى النفس ، أزعجه والله هاذم اللذات واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به الى دار البلاء فانطمس ، وتركه فى ظلام ظلمه من الجهل واندنس ، فالعاقل من أباد أيامه فان العواقب فى خلس . ينظر :

تبنى وتجمع والآثار تندرس	وتأمل اللبث والأعمار تختلس
ذا اللب فكر فما فى العيش من طمع	لابد ما ينتهى أمر وينعكس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن	كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم فى كل معترك	تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحوا بمهلكة فى وسط معركة	صرعى وصاروا ببطن الأرض وانطمسوا
وعمهم حدث وضمهم جدث	باتوا فهم جثث فى الرمس قد حبسوا
وكأنهم قط ما كانوا وما خلقوا	ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو عاينت عيناك ما صنعت	أيدى البلا بهم والدود يفترس
لعاينت منظرا تشجى القلوب له	وأبصرت منكرا من دونه البلس
من أوجه ناضرات حار ناظرها	وليس تبقى لهذا وهى تنتهس
وأعظم باليات ما بها رمق	فى رونق الحسن منها كيف ينطمس
وألسن ناطقات زانها أدب	ما شأنها شأنها بالآفة الخرس
حتام يا ذا النهى لا ترعوى سفها	ودمع عينيك لا يهمى وينبجس

(**موعظة**) يا من يرحل فى كل يوم مرحلة ، وكتابه قد حوى حتى الخردلة ، ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة ، ولا يصغى الى ناصح وقد عذله ، ودروعه مخرقة والسهام مرسلة ، ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله ، وهو يؤمل البقاء ويرى مصير من قد أمله ، قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابة ووله ، كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة ، ونعم جلدك فلابد للديدان أن تأكله ، فياعجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة ، استيقن من غرور ويله ، ويحك يا هذا .. من استدعاك وفتح منزله ، فقد

---

(١) المائدة : ١٠٠ .

أولاك لو علمت منزله ، فبادر ما بقى من عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة ٠

❊ ❊ ❊

الكبيرة الثامنة والعشرون : أكل الحرام وتناوله على أى وجه كان

قال الله عز وجل : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »(١) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل ٠ قال ابن عباس رضى الله عنهما : يعنى باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين : احدهما أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة ٠ والثانى على جهة الهزل واللعب كالذى يؤخذ فى القمار والملاهى ونحو ذلك ، وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « ان رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة »(٢) وفى صحيح مسلم حين ذكر النبى ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ٠٠ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ٠ وعن أنس رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ٠٠ ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ٠ فقال ﷺ : « يا أنس ٠٠ اطب كسبك تجب دعوتك فان الرجل ليرفع اللقمة من الحرام الى فيه فلا يستجاب له دعوة اربعين يوما »(٣) ، وروى البيهقى باسناده الى رسول الله ﷺ قال : « ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا من يحب فمن أعطاه الله الدين فقد احبه ولا يكسب عبد مالا حراما فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ، ان الله لا يمحو السىء بالسىء ولكن يمحو السىء بالحسن »(٤) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا حلوة خضرة ، من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه اثابه الله وأورثه جنته ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان ورب متخوض (فيما(٥) اشتهت نفسه

---

(١) البقرة : ١٨٨ ٠

(٢) من حديث خولة الأنصارية ٠

(٣) ذكره المنذرى فى ترغيبه من حديث ابن عباس وأن الذى طلب دعوة الرسول فى اجابة دعوته هو سعد بن أبى وقاص وعزاه الى الطبرانى ٠

(٤) عزاه فى الترغيب الى رواية أحمد من حديث ابن مسعود وقال : قد حسنها بعضهم ٠

(٥) عبارة الترغيب هكذا فى مال الله ورسوله ٠

من الحرام) له النار يوم القيامة »(١) وجاء عنه ﷺ أنه قال : « من لم يبال من اين اكتسب المـال لم يبال الله من اى باب أدخله النار » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لأن يجعل أحدكم فى فيه ترابا خير من ان يجعل فى فيه حراما »(٢) وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : ان الشاب اذا تعبد قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه فان كان مطعم سوء قال : دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه ان اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ويؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذى مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك(٣) • وقد روى فى حديث ان ملكا على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة : من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا • الصرف : النافلة ، والعدل : الفريضة ، وقال عبد الله بن المبارك : لأن أرد درهما من شبهة أحب الى من أن أتصدق بمائة الف ومائة • وجاء عن النبى ﷺ انه قال : « من حج بمال حرام فقال : لبيك ، قال ملك : لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك »(٤) وروى الامام أحمد فى مسنده عن رسول الله ﷺ انه قال : « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه »(٥) وقال وهب بن الورد : لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك احلال أم حرام • وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يقبل الله صلاة امرىء وفى جوفه حرام حتى يتوب الى الله تعالى منه • وقال سفيان الثورى : من أنفق الحرام فى الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا المـاء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال عمر رضى الله عنه : كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام • وعن كعب بن عجرة(٦) رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة

---

(١) رواه البيهقى قاله المنذرى فى الترغيب •

(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن اسحاق وقد وثق قاله الهيثمى فى مجمعه وقال المنذرى : اسناده جيد •

(٣) يعنى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة وتقدم قريبا •

(٤) رواه الطبرانى من حديث أبى هريرة وفى سنده سليمان بن داوود اليمامى ضعيف ا هـ مجمع الزوائد •

(٥) من حديث ابن عمرو فى سنده هاشم لم يعرفه الهيثمى وأشار المنذرى الى ضعفه •

(٦) حديث كعب بن عجرة رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه بلفظ : « لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت ، النار أولى به » وما فى الكتاب هنا لفظ حديث ابى بكر الصديق رواه ابو يعلى والطبرانى فى الأوسط والبيهقى وبعض أسانيدهم حسن افاده المنذرى فى ترغيبه •

جسـد غـزى بالحرام » ، وعن زيد بن أرمـم(١) قال : كان لابى بـكر غلام يخرج له الخراج أى قد كاتبه على مال وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله : من أين اتيت بها ؟ فان رضيه أكله والا نركه قال : فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائما فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله ثم قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة الا أنى خدعتهم فقال أبو بكر : أف لك ‥ كدت تهلكنى ٠ ثم أدخل يده فى فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : انها لا تخرج الا بالمـاء فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيـأ حتى قاء كل شىء فى بطنه فقيل له : يرحمـك الله ، كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال رضى الله عنه : لو لم تخرج الا مع نفسى لأخرجتها انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فخشيت أن ينبت بذلك فى جسـدى من هذه اللقمة ، وقد تقدم قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة جسـد غذى بحرام » واسناده صحيح ، قال العلماء رحمهم الله : ويدخل فى هذا الباب المكاس والخائن والزغلى والسارق والبطال وآكل الرشوة ومنقص الكيل والوزن ومن باع شيئا فيه عيب فغطاه والمقامر والساحر والمنجم والمصور والزانية والنائحة والعشرية والدلال اذا أخذ أجرته بغير اذن من البائع ومخبر المشترى بالزائد ومن باع حرا فأكل ثمنه ٠

(فصل) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة حتى اذا جىء بهم جعلها الله هباء منثورا ثم يقذف بهم فى النار » فقيل : يا رسول الله ‥ كيف ذلك ؟ قال : « كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون غير أنهم كانوا اذا عرض لهم شىء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم »(٢) وعن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيرا ‥ غير أنى محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردها ، فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لمـا يحب ويرضى انه جواد كريم رؤوف رحيم ٠

(موعظة) عباد الله ‥ أما الليالى والأيام تهدم الآجال ؟ ، أما مال المقيم فى الدنيا الى الزوال ؟ ، أما آخـر الصحة يؤول الى الاعتلال ؟ أما غاية السلامة نقصان الكمال ؟ أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال ؟ أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال ؟ أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال ؟ ،

---

(١) رواه البخارى من حديث عائشة بدون الزيادة فى آخره من شرب المـاء ‥ الخ ٠

(٢) رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة الباهلى من حديث طويل فى سنده كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدمياطى وكلاهما وثق وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ مجمع الزوائد ٠

وعـزيز ناعـم ذل لـه	كل صعب المرتقى وعـر المرام
فكسـاه بعـد لين ملبـس	خسنا بالرغم منه فى الرغـام
ووجـوه نـاضرات بـدلت	بعـد لون الحسـن لونا كالقتام
وشـموس طالعـات أفلت	بعـد ذاك النـور منها بالظلام
ومنيـف شـامخ بنيـانه	لين الأعطاف مهـتز القـوام
أف للدنيـا فمـا شـيمتها	غير نقض العهـد أو خفر الذمام
فاسـتعدوا الزاد تنجـوا واعملوا	صالحا من قبـل تقويض الخيـام

يا متعلقا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق ، يا مضيعا فى الهوى واجبات الحقوق ، تبارز الخالق وتستحى من المخلوق ، يا مؤثرا على العلالى سائرا ذلك الفسوق ، الا سترى ذلك الفسوق يا متولها مهاد الهوى وهو فى سجن الردى مرموق ، ابك على نفسك العليلة فانك بالبكاء محقوق • عجبا لمن رأى فعل الموت لصحبه ، وأيقن بثلنه وما قضى نحبه وسكن الايمان بالآخـرة فى قلبه ، أنام غافلا على جنبه ونسى جزاءه على جرمه وذنبه وأعرض الى ربه من الهوى عن ربه كأنى به وقد سقى كأس حمام يستغيث من شربه وأفرده الموت عن أهله وسربه ونقله الى قبر ذل فيه بعد عجبه ، فياذا اللب جز على قبره وعج به(١) لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السـامع ، لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطامع ، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع فما بالها لا تكسب المدامع ؟ يا عجبا لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ، لقـد نشبت فيه مخالب المطامع ، يا من شيبه قد أتى هل ترى ما مضى من العمر براجع ؟ انتبه لـما بقى وانته وراجع ، فالهوى عظيم والحساب شديد والطريق شاسع ، ان عذاب ربك لواقع ، ما له من دافع •

* * *

الكبيرة التاسعة والعشرون : أن يقتل الانسان نفسه

قال الله تعالى : ((ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما • ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا ، وكان ذلك على الله يسيرا))(٢) •

قال الواحدى فى تفسير هذه الآية : ((ولا تقتلوا أنفسكم)) : أى لا يقتل بعضكم بعضا لأنكم أهل دين واحد فأنتم كنفس واحدة • هذا قول ابن عباس والأكثرين وذهب قول الى أن هذا نهى عن قتل الانسـان نفسه ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصورى باسناده عن عمرو بن العاص قال : احتلمت فى ليلة باردة وأنا فى غزوة ذات السلاسل فأشفقت ان اغتسلت ان أهلك فتيممت فصليت بأصحابى الصبح فذكرت ذلك

---

(١) أى أكثر واهتم به • (٢) النساء : ٢٩ ، ٣٠ •

للنبى ﷺ فقال : « يا عمرو .. صليت بأصحابك وأنت جنب » ؟ فأخبرته الذى منعنى من الاغتسال فقلت : انى سمعت الله يقول : ((**ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما**)) فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا فدل هذا الحديث على ان عمروا تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبى ﷺ(١) . قوله : ((**ومن يفعل ذلك**)) كان ابن عباس يقول : الاشارة تعود الى كل ما نهى عنه من أول السورة الى هذا الموضع وقال قوم : الوعيد راجع الى اكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة وقوله تعالى : ((**عدوانا وظلما**)) من العدوان أن يعدو ما أمر الله به ((**وكان ذلك على الله يسيرا**)) اى انه قادر على ايقاع ما توعد به من ادخال النار . وعن جندب ابن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله تعالى : بادرنى عبدى بنفسه ، حرمت عليه الجنة » (مخرج فى الصحيحين) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا فيهـا أبدا ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل فى نار جهنم خالدا فيهـا أبدا » (مخرج فى الصحيحين) وفى حديث ثابت بن الضحاك قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن المؤمن كقتله ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله ومن قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة »(٢) وفى الحديث الصحيح عن الرجل الذى آلمته الجراح فاستعجل الموت فقتل نفسه بذباب سيفه فقال رسول الله ﷺ : « هو من اهل النار » فنسأل الله ان يلهمنا رشدنا وان يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا انه جواد كريم غفور رحيم .

(**موعظة**) ابن آدم .. كيف تظن أعمالك مسيدة ، وانت تعلم انها مكيدة؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة ، وكيف تقتصر فى زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة ، يا معرضا عنا الى متى هذا الجفا والاعراض ، يا غافلا عن الموت والعمر لا شك فى انقراض . يا مغترا فى أمله وأيدى المنايا فى اجله تقرضه بمقراض ، يا مغرورا بصحته وبدنه كل يوم فى انتقاض ، يا من يفنى كل يوم بعضه ستفنى والله الابعاض ، يا غافلا عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض ، يا قليل الاحتراس ونبل المنايا طوال عراض ، يا من

---

(١) رواه أبو داوود وقال المنذرى فى مختصره : حسن .

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى باختصار ، والترمذى وصححه وهذا لفظ الترمذى كما فى الترغيب والترهيب .

يساق الى موارد التلف وقد نزحت الحياض ، يا ضاحكا وعيون الفنا غير غماض ، عجبا لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الاغماض ٠

* * *

الكبيرة الثلاثون : الكذب فى غالب أقواله

قال الله تعالى : ((**لعنة الله على الكاذبين**))(١) وقال تعالى : ((**قتل الخراصون**))(٢) أى الكاذبون وقال تعالى : ((**ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب**))(٣) وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » وفى الصحيحين أيضا انه ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث وان صلى وصام وزعم أنه مسلم : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان »(٤) وقال عليه الصلاة والسلام . « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر »(٥) وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ قال : « فأتينا على رجل مضطجع لقفاه وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدقه الى قفاه وعينه الى قفاه ثم يذهب الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل فى الجانب الأول فما يرجع اليه حتى يصح مثل ما كان فيفعل به كذلك الى يوم القيامة فقلت لهما : من هذا فقالا : انه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق »(٦) وقال ﷺ : « يطبع المؤمن على كل شىء ليست الخيانة والكذب »(٧) ، وفى الحديث : « واياكم والظن فان الظن أكذب الحديث »(٨) وقال ﷺ :

---

(١) آل عمران : ٦١ ٠ (٢) الذاريات : ١٠ ٠ (٣) غافر : ٢٨ ٠

(٤) من حديث أبى هريرة ٠

(٥) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص ٠

(٦) من حديث سمرة بن جندب مطولا ٠

(٧) رواه أحمد من حديث أبى أمامة بسند منقطع بلفظ : « يطبع المؤمن على كل شىء ٠٠٠ » الخ وله شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص عند البزار وأبى يعلى بسند رجاله رجال الصحيح ولكن رجح الدارقطنى وقفه كذا فى الترغيب ٠

(٨) متفق عليه من حديث أبى هريرة اهـ مشكاة ٠

« ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر »(١) العائل : الفقير ، وقال ﷺ : « ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب ويل له ويل له ويل له »(٢) وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله : ((**ويحلفون على الكذب وهم يعلمون**))(*) وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ، ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها وفى له وان لم يعطه لم يف له »(٣) وقال ﷺ : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب »(٤) ، وفى الحديث ايضا : « من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد »(٥) . وقال رسول الله ﷺ : « أفرى الفرى على الله أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا »(٦) معناه : أن يقول رأيت فى منامى كيت وكيت ولم يكن رأى شيئا وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين(٧) .

فينبغى للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام الا كلاما ظهرت فيه المصلحة فان فى السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شىء . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح فى أنه لا ينبغى للانسان أن يتكلم الا اذا كان الكلام خيرا وهو الذى ظهرت مصلحته للمتكلم قال ابو موسى(٨) : قلت : يا رسول الله .. أى

---

(١) رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة . ترغيب .

(٢) رواه أحمد من حديث النواس بن سمعان وشيخ أحمد فيه عمر ابن هارون فيه خلاف قاله فى الترغيب .

(*) المجادلة : ١٤ .

(٣) رواه داوود والترمذى وحسنه أبو داوود والنسائى والبيهقى من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده . ترغيب .

(٤) رواه الجماعة الا الترمذى كلهم من حديث أبى هريرة .

(٥) رواه البخارى .

(٦) رواه البخارى من حديث ابن عمر اهـ مشكاة .

(٧) ذكره مالك فى موطئه بلاغا اهـ ترغيب قال : وقد تقدم بنحوه متصلا مرفوعا .

(٨) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى قاله المنذرى فى ترغيبه وأبو موسى هو الأشعرى اسمه عبد الله بن قيس .

المسلمين افضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده »(*) وفى الصحيحين : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها - أى ما يفكر فيها بانها حرام - يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب »(١) وفى موطأ الامام مالك من رواية بلال بن الحارث المزنى أن رسول الله ﷺ قال : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها سخطه الى يوم يلقاه »(٢) والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيما اسرنا اليه كفاية ، وسئل بعضهم : كم وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هى أكثر من أن تحصى والذى أحصيت ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة ان استعملها سترت العيوب كلها وهى حفظ اللســان • جنبنا الله معاصيه واستعملناه فيما يرضيه انه جواد كريم •

(موعظة) ايها العبد •• لا شىء اعز عليك من عمرك وانت تضيعه ، ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيها ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها ، لقد مضى من عمرك الأطايب ، نما بقى بعد شيب الذوائب ، يا حاضر البدن والقلب غائب ، اجتماع العيب والشـيب من جملة المصـائب ، يمضى زمن الصـبا وحب الحبائب ، كفى زاجرا واعظا تشيب منه الذوائب ، يا غافلا فاته أفضـل المناقب ، أين البكا لخوف العظيم الطالب ؟ أين الزمان الذى ضاع فى الملاعب ، نظرت فيه آخر العواقب ، كم فى القيامة من دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ، من لى اذا قمت فى موقف المحاسب وقيل لى : ما صنعت فى كل واجب ، كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب ؟ اذا أتتك الأمانى بظن الكاذب ، الموت صعب شديد مر المشـارب ، يلقى شره بكأس صدور الكتائب • فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب ، يأتى بقهر ويرمى بسهم صائب • يا آملا أن تبقى سليما من النوائب ، بنيت بيتا كنسيج العناكب ، أين الذين علوا متون الركايب ، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب ، وأنت بعد قليل حليف المصايب ، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجايب •

* * *

---

(١) من حديث أبى هريرة ورواه النسائى أيضا كما فى الترغيب •

(٢) وكذا رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، والنسائى وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال : صحيح الاسناد اهـ ترغيب •

الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضى السوء

قال الله تعالى : ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون))(١)٠

وقال تعالى : ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون))(٢) ٠

وقال تعالى : ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون))(٣) ٠

روى الحاكم باسناده(٤) وفى صحيحه عن طلحة بن عبيد الله عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يقبل الله صلاة امام حكم بغير ما أنزل الله » ٠

وصحح الحاكم أيضا من حديث بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « القضاة ثلاثة : قاض فى الجنة وقاضيان فى النار ، قاض عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة وقاض عرف الحق فجار متعمدا فهو فى النار وقاض قضى بغير علم فهو فى النار » قالوا : فما ذنب الذى يجهل ؟ ! قال : « ذنبه أن لا يكون قاضيا حتى يعلم »(٥) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين »(٦) وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ينبغى للقاضى أن يكون يوما فى القضاء ويوما فى البكاء على نفسه ٠ وقال محمد بن واسع رحمه الله : أول من يدعى يوم القيامة الى الحساب : القضاة ٠ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود انه لم يقض بين اثنين فى تمرة »(٧) وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان القاضى ليزل فى زلقة فى جهنم أبعد من عدن » وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من وال ولا قاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريرته فتقرأ على رؤوس الخلائق فان كان عدلا نجاه الله بعدله وان كان غير ذلك انتقض به ذلك الجسر انتقاضا فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ثم ينخرق به الجسر الى جهنم » وقال مكحول : لو خيرت بين القضاء

---

(١) المائدة : ٤٤ ٠ (٢) المائدة : ٤٥ ٠ (٣) المائدة : ٤٧ ٠

(٤) فى سنده عبد الله بن محمد العدوى واه متهم وهذا مما أنكر على الحاكم قال المنذرى : ولفظه : « لا يقبل الله صلاة امام جائر » وقال الذهبى فى رسالته الصغرى : بسند لا أرضاه ٠

(٥) ورواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : حسن غريب وقواه المصنف فى صغراه ٠

(٦) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حسن غريب ، وابن ماجه والحاكم وصححه ا هـ ترغيب ٠

(٧) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه ا هـ ترغيب ٠

وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي على القضـاء · وقال أيوب السختياني : انى وجدت أعلم الناس أشدهم هربا منه · وقيل للثورى : ان شريحا قد استقضى فقال : أى رجل قد أفسـدوه ، ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجعله على قضـاء البصرة فأبى فعاوده وقال : لتجلسن والا جلدتك فقال : ان تفعل فانك سلطان وان ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة · وقال وهب ابن منبه : اذا هم الحاكم بالجور او عمـل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى فى الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شىء ، واذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركه فى أهل مملكته كذلك · وكتب عامل من عمال حمص الى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : أما بعد ·· فان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح ، فكتب اليه عمـر : حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور ·· والسلام · قال : ويحـرم على القاضى أن يحكم وهو غضبان واذا اجتمع فى القاضى قلة علم وسوء قصـد وأخلاق زعرة(١) وقلة ورع تم خسرانه ووجب عليه أن يعزل نفسه ويبادر بالخلاص فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لـما يحب ويرضى انه جواد كريم ·

(**موعظة**) يا من عمره كلما زاد نقص ، يا من يأمن ملك الموت وقد اقتنص ، يا مائلا الى الدنيا هل سلمت من النقص ؟ يا مفرطا فى عمـره هل بادرت الفرص ؟ يا من اذا ارتقى فى منهاج الهدى ثم لاح له الهـوى نكص ، من لك يوم الحشر عند نشر القصص(٢) ؟ عجبا لنفس أمست بالليل هاجعة ونسيت أهوال يوم الواقعة ولأن تقرعها المواعظ فتصغى لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت فى كرم الكريم طامعة ، وليست له فى حال من الأحوال طائعة ، والأقدام سعت فى الهوى فى طرق شاسعة بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة ، والهمم شرعت فى مشارع الهوى متنازعة ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، وقلوب تضمر التوبة اذا فزعت بزواجر رادعة ، ثم تعود الى ما لا يحل مرارا متتابعة ·

***

الكبيرة الثانية والثلاثون : أخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى : ((**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون**))(٣) أى لا تدلوا بأموالكم الى الحكام أى لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقا

---

(١) فى الأساس : زعر الرجل زعرا ساء خلقه وقل خيره ا هـ ·

(٢) القصص : جمع قصة ، يعنى الصحف التى فيها الأعمال ·

(٣) البقرة : ١٨٨ ·

لغيركم وانتم تعلمون أنه لا يحل لكم . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم »(١) (أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن) . وعن عبد الله بن عمرو : لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي ، قال العلماء : فالراشي هو الذي يعطي الرشوة والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة وانما تلحق اللعنة الراشي اذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق ، أما اذا أعطى ليتوصل الى حق له أو يدفع عن نفسه ظلما فانه غير داخل في اللعنة ، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقا او دفع بها ظلما . وقد روى في حديث آخر(٢) أن اللعنة على الرائش ايضا وهو الساعي بينهما ، وهو تابع للراشي في قصده أن قصد خيرا لم تلحقه اللعنة والا لحقته .

(فصل) ومن ذلك ما روى أبو داوود في سننه عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد اتى بابا كبيرا من ابواب الربا » . وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضي فيهدى اليك هدية فتقبلها منه ، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها فأهدى اليه صاحب المظلمة فاعطاه على ذلك قليلا او كثيرا فهو سحت ، فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن .. ما كنا نظن أن السحت الا الرشوة في الحكم ، فقال : ذلك كفر(٣) نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه .

(حكاية) عن الامام أبي عمر الأوزاعي رحمه الله وكان يسكن ببيروت . ان نصرانيا جاء اليه فقال : ان والي بعلبك ظلمني بمظلمة واريد أن تكتب اليه ، وأتاه بقلة عسل ، فقال الأوزاعي رحمه الله : ان شئت رددت القلة وكتبت لك اليه وان شئت أخذت القلة فكتب له الى الوالي أن ضع عن هذا النصراني من خراجه . فأخذ القلة والكتاب ومضى الى الوالي فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهما بشفاعة الامام رحمه الله وحشرنا في زمرته .

(موعظة) عباد الله .. تدبروا العواقب ، واحذروا قوة المناقب واخشوا عقوبة المعاقب وخافوا سلب السالب ، فانه والله طالب غالب ، اين الذين قعدوا في طلب المنى وقاموا ، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا . ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا . لقد وبخوا في نفوسهم في قعر قبورهم ، على ما اسلفوا ولاموا .

أما والله لو علم الأنام   لما خلقوا لما هجعوا وناموا

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وزاد : والرائش .. يعني الذي يسعى بينهما اهـ ترغيب .

(٢) أخرجه أبو داوود والترمذي وقال : حسن صحيح اهـ ترغيب .

(٣) رواه الطبراني عنه موقوفا عليه اهـ ترغيب .

لقد خلقوا لأمر لو رأته عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن اذا أمرنا أو نهينا كأهل الكهف أيقاظ نيام

يا من بأقذر الخطايا قد تلطخ ، وبآفات البلايا قد تضمخ ، يا من سمع كلام من لام ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى اذا أمسى يفسخ ، يا مطلقا لسانه والملك يحصى وينسخ ، يا من طير الهوى فى صدره قد عشش وفرخ ، كم أباد الموت ملوكا كالجبال الشمخ ، كم ازعج قواعد كانت فى الكبر ترسخ ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن ورائهم برزخ ، يا من قلبه من بجنه بالذنوب أوسخ ، يا مبارزا بالعظائم : اتأمن من ان تخسف أو تمسخ ، يا من لازم العيب بعد اشتعال الشيب ففعله يؤرخ • والحمد لله دائما أبدا •

❊ ❊ ❊

الكبيرة الثالثة والثلاثون
تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

فى الصحيح ان رسول الله ﷺ قال : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء »(١) وفى رواية : « لعن الله الرجلة من النساء »(٢) وفى رواية قال : « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء »(٣) — يعنى اللاتى يتشبهن بالرجال فى لبسهم وحديثهم — ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة »(٤) •

فاذا لبست المرأة زى الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها اذا أمكنها من ذلك اى رضى به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى : ((**قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**))(٥) أى أدبوهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم فى حق أنفسكم ولقول النبى ﷺ : « كلكم راع وكلكم

---

(١) رواه البخارى وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعا بلفظ : (لعن رسول الله •••) الخ •

(٢) قال المصنف فى رسالته الصغرى : اسناده حسن •

(٣) عزاها فى الترغيب والترهيب للبخارى من حديث ابن عباس •

(٤) رواه ابو داوود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : على شرط مسلم ! هـ ترغيب •

(٥) التحريم : ٦ •

مسئول عن رعيته ، الرجل راع فى أهله ومسئول عنهم يوم القيامة »(١) .
وجاء عن النبى ﷺ انه قال : « الا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء »(٢) .
وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا أكبه الله تعالى فى النار ، وقال ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » (أخرجه مسلم) (قوله) كاسيات : أى من نعم الله عاريات من شكرها ، وقيل : هو أن تلبس المرأة ثوبا رقيقا يصف لون بدنها . ومعنى مائلات : قيل : عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، مميلات : أى يعلمن غيرهن الفعل المذموم وقيل : مائلات : يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن وقيل : مائلات : يمشين المشية الميلاء وهى مشية البغايا ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة رؤوسهن كأسنمة البخت : أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوهما وعن نافع قال : كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب اذا أقبلت امرأة تسوق غنما متنكبة قوسا فقال عبد الله بن عمر : أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة . فالتفت الى ابن عمرو فقال : ان الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء .

ومن الأفعال التى تلعن عليها المرأة اظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب اذا خرجت ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها الى غير ذلك اذا خرجت وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت فاعله فى الدنيا والآخرة وهذه الأفعال التى قد غلبت على أكثر النساء ، قال عنهن النبى ﷺ : « اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء »(٣) ، وقال ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء » . فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وايانا بمنه وكرمه .

(موعظة) ابن آدم .. كأنك بالموت وقد فجأك وهجم والحقك بمن سبقك من الأمم ، ونقلك الى بيت الوحدة والظلم ، ومن ذلك الى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم ، مفرقا من مالك ما اجتمع ، ومن شملك ما انتظم ، ولا تدفعه

---

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر .

(٢) أخرجه مسلم وغيره من حديث ابى هريرة وله شاهد من حديث ابن عمر وصححه ابن حبان وقال الحاكم : على شرط مسلم . أفاده المنذرى رحمه الله تعالى .

(٣) هو فى الصحيحين .

بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم ، وندمت على التفريط غاية الندم ، فيا عجبا لعين تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعد وتهدد ، ومتى تضرم نار الخوف فى قلبك وتتوقد ، الى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، الى متى لا يهولك زجر الواعظ وان شدد ، الى متى أنت بين الفتور والتوانى تتردد ، متى تحذر يوما فيه الجلود تنطق وتشهد ، متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد ، متى تهب بك فى بحر الوجد ريح الخوف والرجا ، متى تكون فى الليل قائما اذا سجا ، أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا فى الدجى وركعوا وسجدوا ، وقدموا الى بابه فى الأسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا ، وبقيت فى أعقابهم وان لم تلحق بعد :

يا نائم الليـــل كم ترقـــد	قم يا حبيبى فقـد دنا الموعـــد
من نام حتى ينقضى ليــــله	لم يبلغ المنزل قبل أن يجهـــد
قل لذوى الألبـاب أهـل التقى	قنطـرة العـرض لـكم موعـــد

* * *

الكبيرة الرابعة والثلاثون
الديوث المستحسن على أهله والقواد الساعى بين الاثنين بالفساد

قال الله تعالى : ((**الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين**))(١) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال . ((ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء))(٢) وروى أن رسول الله ﷺ قال : ((ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقر الخبث فى أهله))(٣) • يعنى يستحسن على أهله ، نعوذ بالله من ذلك •

قال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه دينا وهو عاجز أو صداقا ثقيلا أو له أطفال صغار فترفعه الى القاضى وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه ولا خير فيمن لا غيرة له ، فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة ، انه جواد كريم •

(**موعظة**) أيها المشغول بالشهوات الفانيات •• متى تستعد لمات آت ، حتى متى لا تجتهد فى لحاق القوافل الماضيات ، أتطمع وأنت رهين الوساد

---

(١) النور : ٣ •

(٢) رواه النسائى والبزار والحاكم وصححه من حديث ابن عمر قاله المنذرى فى ترغيبه •

(٣) رواه أحمد والبزار والحاكم وقال : صحيح الاسناد وهو من حديث عبد الله بن عمر أفاده المنذرى •

فى لحاق السادات ، هيهات هيهات هيهات ، يا آملا فى زعمه اللذات احذر هجوم هاذم اللذات ، احذر مكائده فهى كوامن فى عدة الأنفاس واللحظات :

تمضى حلاوة ما أخفيت وبعدها   تبقى عليك مرارة التبعات
يا حسرة العاصين يوم معادهم   لو أنهم سبقوا الى الجنات
لو لم يكن الا الحياء من الذى   ستر العيوب لأكثروا الحسرات

يا من صحيفته بالذنوب قد جفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ، أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت ، اما رأيت عرائس آحاد الى اللحود قد زفت ، أما عاينت أبدان المترفين وقد ادرجت فى الأكفان ولفت ، أما عاينت طور الاجسام فى الأرحام ؟ ومتى تنتبه لخلاص نفسك ايها الناعس ، متى تعتبر بربع غيرك الدارس ، أين الأكاسرة الشجعان الفوارس وأين المنعمون بالجوارى والظباء الخنس الكوانس ، اين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس ، أين منْ اعتاد سمة القصور ؟ حبس فى القبور فى اضيق المحابس ، أينَ الرافل فى أثوابه عرى فى ترابه عن الملابس ، أين الغافل فى أمله واهله عن أجله سلبته أكف الخالس ، اين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس ، حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها ، وان جهل نفسه أن يزجرها • وان تحقق نقلته أن يذكرها ، وان غمر بالنعماء أن يشكرها ، وان دعى الى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها •

❊ ❊ ❊

الكبيرة الخامسة والثلاثون : المحلل والمحلل له

صح منْ حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له(١) •

قال الترمذى : والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعبد الله بن عمر وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الامام أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه ايضا باسناد صحيح •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عنْ المحلل فقال : « لا ، الا نكاح رغبة لا نكاح دلسة(٢) ، ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوق العسيلة » ورواه ابو اسحاق الجوزجانى •

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « الا أخبركم بالتيس المستعار » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : « هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له » (رواه ابن ماجه باسناد صحيح) •

---

(١) رواه النسائى والترمذى قاله المصنف فى الصغرى •

(٢) التدليس كتم العيب كما فى المجمع والأساس ، والمراد هنا اظهار الرغبة فى النكاح مع ابطان خلافه •

وعن ابن عمر أن رجلا سأله فقال : ما تقول فى امرأة تزوجتها أحلها لزوجها لم يأمرنى ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا الا نكاح رغبة ان اعجبتك أمسكتها وان كرهتها فارقتها وانا كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله ﷺ .

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما .

وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال : ذلك السفاح .

وعن عبد الله بن شريك العامرى قال : سمعت ابن عمر رضى الله عنه وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له ثم ندم ورغب فيها فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له فقال ابن عمر : كلاهما زان وان مكثا عشرين سنة او نحو ذلك اذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه سأله رجل فقال : ابن عمى طلق امرأته ثلاثا ثم ندم فقال : ابن عمك عصى الله فاندمه وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا فقال : كيف ترى فى رجل يحللها له ؟ فقال : من يخادع الله يخدعه .

وقال ابراهيم النخعى : اذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول .

وقال الحسن البصرى : اذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد .

وقال سعيد بن المسيب امام التابعين فى رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول فقال : لا تحل .

وممن قال بذلك مالك بن انس والليث بن سعد وسفيان الثورى والامام أحمد وقال اسماعيل بن سعيد : سألت الامام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة وفى نفسه أن يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك فقال : هو محلل واذا أراد بذلك الاحلال فهو ملعون .

ومذهب الشافعى رحمه الله اذا شرط التحليل فى العقد بطل العقد لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة وان وجد الشرط قبل العقد فالأصح الصحة وان عقد كذلك ولم يشرط فى العقد ولا قبله لم يفسد العقد وان تزوجها على أنه اذا أحلها طلقها ففيه قولان أصحهما أنه يبطل ووجه البطلان انه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح فى الرافعى ووجه الثانى أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها ، والله اعلم ، فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه ويجنبنا معاصيه انه جواد كريم غفور رحيم .

(**موعظة**) لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكها ، التقطوا أيام السلامة فغنموا ، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا ، هجروا فى

طاعته لذيذ الكرى وهربوا اليه من جميع الورى ، وآثروا طاعته ايثار من علم ودرى • ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى ، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشرا ، أسلموا اليه لما سلموا الروح ، وحدوه والصدر لخدمته منشروح وقرعوا بابه واذا الباب مفتوح ، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح ، وقاموا فى الأسحار قيام من يبكى وينوح ، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح ، وراضوا أنفسهم فاذا المذموم ممدوح ، تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح ، قد عبقوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح ، من طيب الثناء روائح لهم بكل مكان تستنشق ، ممسكة النفحات الا انها وحشية لسواهم لا تعبق •

* * *

الكبيرة السادسة والثلاثون

عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى : ((وثيابك فطهر))(١) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر النبى ﷺ بقبرين فقال : ((انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما احدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من البول ـ اى يتحرز منه ـ)) (مخرج فى الصحيحين) وقال رسول الله ﷺ : ((استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه)) (رواه الدارقطنى) •

ثم ان من لم يتحرز من البول فى بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة وروى الحافظ أبو نعيم(٢) فى الحلية عن شفى بن ماتع الأصبحى عن رسول الله ﷺ قال : ((أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون ما بين الحميم والجحيم ويدعون بالويل والثبور ويقول أهل النار بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى)) قال : ((فرجل مغلق عليه تابوت من جمر ورجل يجر أمعاءه ورجل يسيل فمه قيحا ودما ورجل يأكل لحمه)) قال : ((فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الأبعد مات وفى عنقه أموال الناس ثم يقال للذى يجر أمعاءه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الأبعد كان لا يبالى اين ما أصاب البول منه (ولا يغسله) ثم يقال للذى يسيل فمه قيحا ودما : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الأبعد كان ينظر كل كلمة قبيحة فيستلذها • (وفى رواية كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة) ثم يقال للذى يأكل لحمه :

---

(١) المدثر : ٤ •

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت وفى ذم الغيبة والطبرانى فى الكبير باسناد لين وأبو نعيم وقال : شفى بن ماتع مختلف فى صحبته فقيل : له صحبة قال الحافظ المنذرى : شفى ذكره البخارى وابن حبان فى التابعين ا هـ الترغيب والترهيب •

ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الأبعد كان يأكل لحوم الناس » ـ يعنى بالغيبة ـ ٠

فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه انه أرحم الراحمين ٠

(موعظة) أيها العبيد تذكروا فى مصارع الذين سبقوا ، وتدبروا فى عواقبهم أين انطلقوا ، واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا ، أما أهل الخير فسعدوا و أما أهل الشر فشقوا ، فانظر لنفسك قبل ان تلقى ما لقوا :

والمرء مثل هلال عند مطلعه ... يبدو ضئيلا لطيفا ثم يتسق
يزداد حتى اذا ما تم أعقبه ... كر(*) الجديدين نقصا ثم يمتحق
كان الشباب رداء قد بهجت به ... فقد تطاير منه للبلا خرق
ومات مبتسم يجد المشيب به ... كالليل ينهض فى أعجازه الأنق
عجبت والدهر لا تفنى عجائبه ... من راكنين الى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبها ... بطارق الفجع والتنغيص قد طرقوا
دار لمعهد بها الآجال مهلكة ... وذو التجارب فيها خائف فرق
يا للرجال لمخدوع بباطلها ... بعد البيان ومغرور بها يثق
اقول والنفس تدعونى لزخرفها ... اين الملوك ملوك الناس والسوق
أين الذين الى لذاتها جنحوا ... قد كان قبلهم عيش ومرتفق
أمست مساكنهم قفرا معطلة ... كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذة دار لا بقاء لها ... ان اغترارا بظل زائل حمق

* * *

الكبيرة السابعة والثلاثون : الرياء

قال الله تعالى مخبرا عن المنافقين : ((**يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا**))(١) وقال تعالى : ((**فويل للمصلين ٠ الذين هم عن صلاتهم ساهون ٠ الذين هم يراءون ويمنعون الماعون**))(٢) وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس**))(٣) ٠٠الآية وقوله تعالى : ((**فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**))(٤) أى لا يرائى بعمله ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فى سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جرىء ، وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ، ورجل

(*) يعنى تعاقب الليل والنهار ٠

(١) النساء : ١٤٢ ٠ (٢) الماعون : ٤ ـ ٧ ٠
(٣) البقرة : ٢٦٤ ٠ (٤) الكهف : ١١٠ ٠

وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم وقرأت ليقال هو قارئ ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار » (رواه مسلم وقال ﷺ : « من سمع سمع الله به ، ومن يرائى يرائى به »(١) ٠

قال الخطابى : معناه من عمل عملا على غير اخلاص انما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزى على ذلك بأنه يشهره ويفضحه فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك ، والله أعلم ٠ وقال عليه الصلاة والسلام : « اليسير من الرياء شرك »(٢) قال ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » ، فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « الرياء ٠٠ يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ »(٣) وقيل فى قوله تعالى : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون »(٤) قيل : كانوا عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات وكان بعض السلف اذا قرأ هذه الآية يقول : ويل لأهل الرياء وقيل(٥) : ان المرائى ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء : يا مرائى يا غادر يا فاجر يا خاسر ٠٠ اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا ٠ وقال الحسن : المرائى يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء يريد أن يقول للناس هو صالح فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلابد من قلوب المؤمنين أن تعرفه ، وقال قتادة : اذا راءى العبد يقول الله : انظروا الى عبدى كيف يهزئ بى ، وروى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه نظر الى رجل وهو يطاطئ رقبته فقال : يا صاحب الرقبة ٠٠ ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب انما الخشوع فى القلوب ٠

---

(١) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله ونحوه من حديث ابن عمر عند الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه وفى مسند أحمد وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قاله العراقى فى تخريج الاحياء ٠

(٢) رواه الحاكم من حديث معاذ والطبرانى نحوه أفاده العراقى ٠

(٣) رواه أحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات ، ورواه الطبرانى عنه عن رافع بن خديج (العراقى) ٠

(٤) الزمر : ٤٧ ٠

(٥) ابن أبى الدنيا من رواية جبلة اليحصبى عن صحابى لم يسم واسناده ضعيف اهـ عراقى ٠

وقيل ان أبا أمامة الباهلي رضى الله عنه أتى على رجل فى المسجد وهو ساجد يبكى فى سجوده ويدعو فقال له أبو امامة : انت أنت لو كان هذا فى بيتك ؟ وقال محمد بن المبارك الصورى : اظهر السمت بالليل فانه أشرف من اظهاره بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين والسمت بالليل لرب العالمين ٠ وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه : للمرائى ثلاث علامات : يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان فى الناس ويزيد فى العمل اذا أثنى عليه وينقص اذا ذم به وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما ٠

فنسأل الله المعونة والاخلاص فى الأعمال والأقوال والحركات والسكنات انه جواد كريم ٠

(موعظة) عباد الله ٠٠ ان أيامكم قلائل ومواعظكم قواتل ، فليخبر الأواخر الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل ، يا من يوقن أنه لا شك راحل وماله زاد ولا رواحل ، يا من لج فى لجة الهوى متى ترتقى الى الساحل ، هل انتبهت من رقاد شامل ٠ وحضرت المواعظ بقلب غير غافل وقمت فى الليل قيام عاقل وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تخفى بها زفرات الندم والوسائل ، وبعثتها فى سفينة دمع سائل ، لعلها ترسى على الساحل ، وا أسفا لمغرور جهول غافل ، لقد اثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل ، وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل ، وركن الى ركوب الهوى ركبته مائل ، يبنى البنيان ويشيد المعاقل ، وهو عن ذكر قبره متشاغل ، ويدعى بعد هذا أنه عاقل ، تالله لقد سبقه الأبطال الى أعلى المنازل ، وهو يؤمل فى بطالته فوز العامل ، وهيهات ما فاز باطل بطائل :

أيها المعجب فخرا بمقاصير البيوت انما الدنيا محل لقيام وقنوت
فغدا تنزل بيتا ضيقا بعد النحوت بين أقوام سكوت ناطقات فى الصموت
فارض فى الدنيا بثوب ومن العيش بقوت واتخذ بيتا ضعيفا مثل بيت العنكبوت
ثم قل يا نفس هذا بيت مثواك فموتى

❊ ❊ ❊

الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكتمان العلم

قال الله تعالى : ((انما يخشى الله من عباده العلماء))(١) يعنى العلماء بالله عز وجل قال ابن عباس : يريد انما يخافنى من خلقى من علم بجبروتى وعزتى وسلطانى ، وقال مجاهد والشعبى : العالم من خاف الله تعالى ٠

---

(١) فاطر : ٢٨ ٠

وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله فليس بعالم ، وقال تعــالى : **((ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون))**(١) نزلت هذه الآية فى علماء اليهود وأراد (بالبينات) الرجم والحدود والأحكام وبالهدى أمر محمد عليه الصلاة والسلام ونعته : ((**من بعد ما بيناه للناس**)) أى بنى اسرائيل ((**فى الكتاب**)) أى فى التوراة ((**أولئك**)) يعنى الذين يكتمون ((**يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**)) قال ابن عباس : كل شىء الا الجن والانس وقال ابن مسعود : ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون امر محمد ﷺ وصفته وقال تعالى . ((**واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ، فبئس ما يشترون**))(٢) قال الواحدى : نزلت هذه الآية فى يهود المدينة أخذ الله ميثاقهم فى التوراة ليبينن شأن محمد ﷺ ونعته ومبعثه ولا يخفـونه وهو قوله تعالى : ((**لتبيننه للناس ولا تكتمونه**)) وقال الحسن : هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما فى كتابهم وفيه ذكر رسول الله ﷺ وقوله : ((**فنبذوه وراء ظهورهم**)) قال ابن عباس : أى ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم ((**واشتروا به ثمنا قليلا**)) يعنى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم فى العلم وقوله : ((**فبئس ما يشترون**)) قال ابن عباس : قبح شراؤهم وخسروا وقال رسول الله ﷺ : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة »(٣) ـ يعنى ريحها ـ (رواه أبو داوود) وقد مر حديث أبى هريرة فى الثلاثة الذين يسحبون الى النار أحدهم الذى يقال له : انمـا فعلت ليقـال عالم وقـد قيل(٤) وقال ﷺ : « من ابتغى العلم ليباهى به العلمـاء أو ليمارى به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس اليه فالى النار » وفى لفظ : « أدخله الله النار » (أخرجه الترمذى)(٥) وقال ﷺ : « من سئل عن علم فكتمت ألجم يوم القيامة بلجام من نار »(٦) ، وكان من دعاء رسول الله ﷺ : « أعوذ بك

---

(١) البقرة : ١٥٩ ٠

(٢) آل عمران : ١٨٧ ٠

(٣) وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : على شرط مسلم قاله المنذرى وقال المصنف فى الصغرى : سنده صحيح ٠

(٤) اى فى الباب الماضى ٠

(٥) بسند فيه اسحاق بن يحيى وهو واه قاله المصنف فى صغراه ٠

(٦) باسناد صحيح رواه عن عطاء عن أبى هريرة ونحوه من حديث عبد الله بن عمرو وقال : على شرطهما ولا أعلم له علة ، قاله المصنف فى الصغرى ٠

من علم لا ينفع »(١) وقال ﷺ : « من تعلم علما لغير الله أو اراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار »(٢) وقال ﷺ : « من تعلم علمـا لم يعمل به لم يزده العلم الا كبرا »(٣) وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف فى النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له : بما لقيت هذا وانما اهتدينا بك ؟ فيقول : كنت أخالفكم الى ما أنهاكم عنه »(٤) وقال علان بن العـلاء : طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه والعمل به أشـد من حفظه والسلامة منه اشد من العمل به ، فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لمـا يحب ويرضى انه جواد كريم ٠

(موعظة) ابن آدم ٠٠ متى تتذكر عواقب الأمور ؟ متى ترحل الرحال عن هذه القصور ؟ الى متى أنت فى جميع ما تبنى تدور ؟ أين من كان من قبلكم فى المنازل والدور ؟ أين من ظن بسوء تدبيره أنه لا يحور ؟ رحل والله الكل فاجتمعوا فى القبور ٠ واستوطنوا أخشن المهاد الى نفخ الصور ، فاذا قاموا الى فصل القضاء والسماء تمور ، كشفوا الحجاب المخفى وهتك المستور ، وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما فى الصدور ، ونصب الصراط فكم من قدم عثور ، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور ، واصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور ٠ وباءوا بتجارة لن تبور ، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور ، وجىء بالنار تقاد بالأزمة وهى نفور ، اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور ، ليس فى الدنيا لمن آمن بالبعث سرور ، انما يفرح بالدنيا جهـول أو كفور ٠

انمــا الدنيـا متــــاع	كل مـا فيـــها غـــرور
فتذكر هــــول يـــوم	فيه الســـماء تمــور

* * *

(١) رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث ابن أرقم وتمامه : « ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » اهـ منذرى ٠

(٢) حسنه الترمذى قاله المصنف فى الصغرى ، وقال المنذرى رواه الترمذى وابن ماجه من رواية خالد بن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه ورجال اسنادهما ثقات ٠

(٣) رواه ابو داوود والترمذى وحسنه ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم بنحوه وقال : على شرط الشيخين كلهم من حديث ابى هريرة قاله المنذرى فى الترغيب ٠

(٤) رواه ابن حبان ، ومسلم من حديث أسامة بن زيد ورواه البيهقى وابن حبان من حديث أنس أفاده المنذرى فما هنا من جعله من حديث ابى أمامة خطأ من الناسخ أو سبق قلم ٠

الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة

قال الله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون**))(١) قال الواحدى رحمه الله تعالى : نزلت هذه الاية فى ابى لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ الى بنى قريظة لما حاصرهم وكان اهله وولده فيهم فقالوا : يا ابا لبابه ٠٠ ما ترى لنا ان نزلنا على حكم سعد فينا ؟ فأشار أبو لبابة الى حلقه ـ أى أنه الذبح فلا تفعلوا ـ فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله وقوله : ((**وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**)) عطف على النهى ـ أى ولا تخونوا اماناتكم ـ قال ابن عباس : الأمانات الاعمال التى ائتمن الله عليها العباد ـ يعنى الفرائض ـ يقول : لا تنقضوها ٠ قال الكلبى : اما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما واما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه ان شاء خانها وان شاء أداها لا يطلع عليه احد الا الله تعالى وقوله : ((**وأنتم تعلمون**)) أنها أمانة من غير شبهة ، وقال تعالى : ((**ان الله لا يهدى كيد الخائنين**))(٢) أى لا يرشد كيد من خان أمانته يعنى أنه ينتضح فى العاقبة بحرمان الهداية وقال ﷺ : ((آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان))(٣) ٠ وقال ﷺ : ((لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له))(٤) والخيانة قبيحة فى كل شىء وبعضها شر من بعض وليس من خانك فى فلس كمن خانك فى أهلك ومالك وارتكب العظائم ٠ وعن رسول الله ﷺ أنه قال : ((أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك)) وفى الحديث أيضا : ((يطبع المؤمن على كل شىء الا الخيانة والكذب))(٥) وقال رسول الله ﷺ : ((يقول الله : انا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه))(٦) وفيه أيضا : ((أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة ، ورب مصل لا خير

---

(١) الأنفال : ٢٧ ٠

(٢) يوسف : ٥٢ ٠

(٣) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة وزاد مسلم : ((وان صلى وصام وزعم أنه مسلم)) وروى نحوه أبو يعلى من حديث انس قاله المنذرى فى ترغيبه ٠

(٤) رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الأوسط وابن حبان فى صحيحه من حديث انس والطبرانى فى الأوسط والصغير من حديث ابن عمر قاله المنذرى ٠

(٥) رواه أحمد عن وكيع عن الأعمش قال : حدثت عن أبى أمامة ا هـ ترغيبه ففيه انقطاع بين الأعمش وأبى امامة ٠

(٦) رواه ابو داوود ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد ٠

فيه » وقال رسول الله ﷺ : « اياكم والخيانة فانها بئست البطانة »(١) وقال عليه الصلاة والسلام : « هكذا أهل النار ـ وذكر منهم رجلا لا يخفى »(٢) له طمع وان دق الا خانه ـ »(٣) وقال ابن مسعود : يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذى خان فيها فيقال له : اد امانتك فيقول : أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ قال : فتمثل له كهيئتها يوم أخذها فى قعر جهنم ثم يقال له : انزل اليها فأخرجها قال : فينزل اليها فيحملها على عاتقه فهى عليه أثقل من جبال الدنيا حتى اذا ظن انه ناج هوت وهوى فى اثرها ابد الآبدين ثم قال : الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأعظم ذلك كله الودائع(٤) .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك .

(موعظة) عباد الله .. ما اشرف الأوقات وقد ضيعتموها ، وما أجهل النفوس وقد أطعتموها ، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها ، وما احفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها ، قبل الرحيل عن التليل والمناقشة عن النقير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون اللحود ، وتصيروا طعاما للدود فى بيت بابه مسدود ، ولو قيل فيه للعاصى . ما تختار لقال : اعود ولا اعود .

أين أهل الديار من قوم نوح ... ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم فى النمارق والاستبـ ... ـرق أفضت الى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضا ... وهو أدنى للموت ممن يعود

* * *

الكبيرة الأربعون : المنان

قال الله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى))(٥) . قال الواحدى : هو أنيمن بما أعطى وقال الكلبى : بالمن على الله فى صدقته والأذى لصاحبها ، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »(٦) المسبل هو الذى

---

(١) رواه أبو داوود ، والنسائى وابن ماجه ، من حديث أبى هريرة وأوله : « اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع » .. الخ أفاده المنذرى فى الترغيب .

(٢) لا يخفى أى لا يظهر والظهور والخفاء من الأضداد .

(٣) رواه مسلم فى حديث طويل من حديث عياض بن حمار المجاشعى .

(٤) عزاه فى الترغيب والترهيب الى أحمد والبيهقى موقوفا بنحو ما هنا قال : وذكر عبد الله ابن الامام أحمد فى كتاب الزهد أنه سأل اباه عنه فقال : اسناده جيد اهـ .

(٥) البقرة : ٢٦٤ .

(٦) يعنى صحيح مسلم وهو عند الجماعة سوى البخارى من حديث أبى ذر رضى الله عنه اهـ ترغيب للمنذرى .

يسبل ازاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون الى القدمين لانه ﷺ قال : « ما أسفل من الكعبين من ازار فهو فى النار »(١) وفى الحديث أيضا : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان » (رواه النسائى »(٢) وفيه أيضا : « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان »(٣) والخب هو المكر والخديعة ، والمنان هو الذى يعطى شيئا أو يتصدق به ثم يمن به . وجاء عن النبى ﷺ انه قال : « اياكم والمن بالمعروف فانه يبطل الشكر ويمحق الأجر » ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل : ((يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى))(٤) وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر : أحسنت اليك وفعلت وفعلت .. فقال له ابن سيرين : اسكت فلا خير فى المعروف اذا أحصى . وكان بعضهم يقول : من من بمعروفه سقط من شكره ومن اعجب بعمله حبط أجره . وأنشد الشافعى رحمه الله تعالى :

لا تحملن من الأنام ... بأن يمنوا عليك منة
واختر لنفسك حظها ... واصبر فان الصبر جنة
منن الرجال على القلوب ... اشد من وقع الأسنة

وأنشد أيضا بعضهم فقال :

وصاحب سلفت منه الى يد ... ابطأ عليه مكافاتى معادانى
لما تيقن أن الدهر حاربنى ... ابدى الندامة مما كان أولانى
أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ... ليس الكريم اذا أعطى بمنان

(موعظة) يا مبادرا بالخطايا ما أجهلك ، الى متى تغتر بالذى أمهلك ؟ كأنه قد اهملك ، فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك ، واذا الرحيل وقد أفزعك الملك ، وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك ، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك ، يا مطمئنا بالفانى ما أكثر ذلك ، ويا معرضا عن النصح كان النصح ما قيل لك ، أين حبيبك الذى كان وأين انتقل ؟ أما وعظك التلف فى جسده والمقل ، أين كثير المال أين طويل الأمل ؟ اما خلا وحده فى لحده بالعمل ؟ أين من جر ثوبه بالخيلاء غافلا ورفل ؟ اما سافر به والى الآن ما وصل ؟ أين من تنعم فى قصره فكأنه فى الدنيا ما كان وفى قبره لم يزل ، أين من تفوق واحتفل ؟ غاب والله نجم سعوده وأفل ، أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول ؟ ملك أموالهم سواهم والدنيا دول .

* * *

---

(١) رواه مالك وأبو داوود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه فى ضمن حديث كما فى الترغيب .

(٢) رواه النسائى من حديث ابن عمر والبزار والحاكم وقال : صحيح الاسناد وابن حبان فى صحيحه أفاده المنذرى فى ترغيبه .

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث غريب ا هـ ترغيب . والخب بكسر الخاء المعجمة هو الخداع الخبيث .

(٤) البقرة : ٢٦٤ .

الكبيرة الحادية والأربعون : التكذيب بالقدر

قال الله تعالى : ((**انا كل شيء خلقناه بقدر**))(١) قال ابن الجوزى فى تفسيره : فى سبب نزولها قولان أحدهما : أن مشركى مكه أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية • (انفرد بإخراجه مسلم) وروى أبو أمامة أن هذه الآية نزلت فى القدرية(٢) • والقول الثانى أن أسقف نجران جاء الى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد تزعم أن المعاصى بقدر وليس كذلك فقال رسول الله ﷺ : « أنتم خصماء الله »(٣) فنزلت هذه الآية : ((**ان المجرمين فى ضلال وسعر • يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر • انا كل شيء خلقناه بقدر**))(٤) وروى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « اذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر مناديا فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون : أين خصماء الله ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم الى النار يقول الله : ((**ذوقوا مس سقر • انا كل شيء خلقناه بقدر**))(٥) وانما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون فى أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها • وروى هشام بن حسان عن الحسن قال : والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له : ذق مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر ، وروى مسلم فى صحيحه من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » وقال ابن عباس : كل شيء خلقناه بقدر مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه قال الله تعالى : ((**والله خلقكم وما تعملون**))(٦) قال ابن جرير : فيها وجهان ، أحدهما أن يكون بمعنى المصدر فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم ، والثانى : أن تكون بمعنى « الذى » ، فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الأصنام ، وفى هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة ، والله أعلم ، وقال الله تعالى : ((**فألهمها فجورها وتقواها**))(٧) الالهام ايقاع الشيء فى النفس قال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها ، وقال ابن زايد : جعل ذلك فيها بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور ، والله أعلم • وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ان الله من على قوم فألزمهم الخير فأدخلهم فى رحمته وابتلى قوما فخذلهم

---

(١) القمر : ٤٩ •

(٢) رواه ابن عدى وابن مردويه وابن عساكر وغيرهم بسند ضعيف قاله السيوطى فى الدر المنثور •

(٣) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قاله السيوطى فى الدر المنثور •

(٤) القمر : ٤٧ ـ ٤٩ •

(٥) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قاله السيوطى فى الدر المنثور •

(٦) الصافات : ٩٦ • (٧) الشمس : ٨ •

وذمهم على افعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل **« لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون »**(١) وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله نبيا قط الا وفى أمته قدرية ومرجئة ، ان الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا »(٢) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « القدرية مجوس هذه الأمة »(٣) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف » قال : « فاذا لقيتهم فأخبرهم انى منهم برئ وأنهم برءاء منى »(٤) ثم قال : « والذى نفسى بيده لو ان لأحدهم مثل احد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبى ﷺ قال : ما الايمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ونؤمن بالقدر خيره وشره » ٠

وقوله : « أن تؤمن بالله » الايمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزه عن صفات النقص وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيها بما يشاء يفعل فى ملكه ما يريد ٠ والايمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله **« بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ٠ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون »**(٥) ٠

والايمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم وأنهم بلغوا عن الله

---

(١) الأنبياء : ٢٣ ٠

(٢) أورده المصنف فى الصغرى له عن بقية عن أبى العلاء الدمشقى ٠ عن محمد بن حجارة عن يزيد بن حصين عنه ثم قال فيه وفى غيره : وهذه الأحاديث لا تثبت لضعف روايتها ٠

(٣) أورده كذلك فى الصغرى عن الحسن عن عائشة وقال فيه ما تقدم آنفا من التضعيف ، وهو وما قبله عزاهما الى كتاب السنة لابن أبى عاصم وقال : فيها مقال ولا تثبت لضعف رواتها ٠

(٤) أخرج صدر حديث ابن عمر واحمد فى مسنده الى قوله : « وان الأمر أنف ـ أى مستأنف ـ لم يقدره الله ولا قضاه بل العباد تقع أعمالهم بلا قدر سابق » وبقيته كما فى الدر المنثور : « ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم » وعجز الحديث قوله : « فاذا لقيتهم ٠٠ الخ » أخرجه مسلم فى أول صحيحه ٠

(٥) الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٨ ٠

تعالى رسالاته وبينوا للمكلفين ما امرهم الله به وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بين أحد منهم •

والايمــان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الاعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين الى غير ذلك مما صح به النقل • والايمــان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله ما دل عليه قوله سـبحانه : ((**والله خلقكم وما تعملون**))(١) وقوله : ((**انا كل شيء خلقناه بقدر**))(٢) ومن ذلك قوله ﷺ فى حديث ابن عباس : « واعـلم ان الامه لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك رفعت الأملام وجفت الصحف » •

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الامور تصديقا جازما لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمنا حقا سواء أكان ذلك عن براهين قاطعة او اعتقادات جازمة ، والله أعلم •

(**فصل**) أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التى توفى عليها رسول الله ﷺ اولها الرضـا بقضاء الله وقدره والتسليم لأمره والصبر تحت حكمته والأخذ بما أمر الله به والنهى عما نهى الله عنه واخلاص العمل لله والايمــان بالقدر خيره وشره وترك المراء والجدال والخصومات فى الدين والمسح على الخفين والجهاد مع كل خليفة برا وفاجرا والصلاة على من مات من أهل القبلة •

والايمــان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والقـرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عـدل أو جور ، ولا نخـرج على الأمراء بالسيف وان جاروا ولا نكفر أحدا من أهل القبلة وان عمل بالكبائر الا ان استحلوها ، ولا نشـهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير اتى به الا من شهد له النبى ﷺ والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ • وافضل الخلق بعد رسول الله ﷺ ابو بكر ثم عمر ثم عثمـان ثم على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبى ﷺ وأولاده واصحابه رضى الله عنهم أجمعين •

---

(١) الصافات : ٩٦ •   (٢) القمر : ٤٩ •

(فائدة) فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء منها : ما لو سخر باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده كفر ، ولو قال : لو أمرنى الله بكذا ما فعلت كفر ، ولو صارت القبلة فى هذه الجهة ما صليت اليها كفر ، ولو قيل له : لا تترك الصلاة فان الله يؤاخذك فقال : لو آخذنى بها مع ما فى من المرض والشدة ظلمنى كفر ، ولو قال : لو شهد عندى الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت كفر ، ولو قيل له : قلم أظافرك فانها سنة ، فقال : لا أفعل وان كانت سنة كفر ، ولو قال : فلان فى عينى كاليهودى كفر ، ولو قال : ان الله جلس للانصاف او قام للانصاف كفر ، وجاء فى وجه . من قال لمسلم : لا ختم الله لك بخير أو سلبك الايمان كفر ، وجاء أيضا ان من طلب يمين انسان فأراد أن يحلف بالله فقال : أريد أن تحلف بالطلاق كفر ، واختلفوا فى من قال : رؤيتى لك كرؤية الموت فقال بعضهم : يكفر ، ولو قال : لو كان فلان نبيا ما آمنت به كفر ، ولو قال : ان كان ما قاله صدقا نجونا كفر ، ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالا كفر ، ولو تنازع رجلان فقال احدهما : لا حول ولا قوة الا بالله فقال له الآخر : لا حول ولا قوة الا بالله لا تغنى من جوع كفر ، ولو سمع أذان المؤذن فقال : انه يكذب كفر ، ولو قال : لا أخاف القيامة كفر ، ولو وضع متاعه فقال : سلمته الى الله فقال له رجل : سلمته الى من لا يتبع السارق كفر ، ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبيها بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم : قصعة ثريد خير من العلم كفر ، ولو ابتلى بمصائب فقال : أخذت مالى وولدى ، وماذا تفعل ؟ كفر ، ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل : ألست بمسلم ؟ فقال : لا ـ متعمدا ـ كفر ، ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم كفر ، ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقال : هذا زنار فالأكثرون على أنه يكفر ، ولو قال معلم الصبيان : اليهود خير من المسلمين لانهم يعطون معلمى صبيانهم كفر ، ولو قال : النصرانى خير من المجوسى كفر ، ولو قيل لرجل : ما الايمان ؟ فقال : لا أدرى كفر ، ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهى : لا دين لك لا ايمان لك لا يقين لك ، أنت فاجر منافق أنت فاسق ومن ذا واشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الايمان والخلود فى النار .

فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة انه أرحم الراحمين .

(موعظة) عباد الله .. أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وثملوا من الشهوات وشبعوا ، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا ، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا ، نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا ، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا ، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا ، فهم مفترقون فى القبور فاذا نفخ فى الصور اجتمعوا .

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم — أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهرا علانية — لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لابد موردهم — وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة — والنون فى البحر لا يخشى لها فزع
والآدمى بهذا الكسب مرتهن — له رقيب على الأسرار يطلع
حتى يرى فيه يوم الجمع منفردا — وجسمه الجلد والأبصار والسمع
واذ يقومون والأشهاد قائمة — والجن والانس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف فى الأيدى منشرة — فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف بالناس والأنبياء واقفة — عما قليل وما تدرى بما تقع
أفى الجنان وفوز لا انقطاع له — أم فى الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طورا وترفعهم — اذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم — هيهات لا رمية تغنى ولا جزع

* * *

الكبيرة الثانية والأربعون : التسمع على الناس وما يسرون

قال الله تعالى . « ولا تجسسوا »(١) قال ابن الجوزى رحمه الله : قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء قال أبو عبيدة : التجسس والتحسس واحد وهو البحث ومنه الجاسوس • وقال يحيى بن أبى كثير : التجسس بالجيم عن عورات الناس وبالحاء الاستماع لحديث القوم • قال المفسرون: التجسس البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم فالمعنى لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه اذا ستره الله ، وقيل لابن مسعود : هذا الوليد ابن عقبة تقطر لحيته خمرا قال : انا نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيء نأخذ به •

وقال رسول الله ﷺ : « من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » (أخرجه البخارى) والآنك : الرصاص المذاب ، نعوذ بالله منه ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم •

(**موعظة**) عباد الله •• ان المنايا قد دنت واقتربت ، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت ، رب شمس طالعة على القبر قد غربت ، يا فراخ الفنا فخاخ البلا قد نصبت ، عباد الله •• كل المعاصى قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، يا من يغتر بالأمانى والآمال الكواذب ، ومبارز بالقبائح وما يدرى من يحارب ، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب ، أرضيت أن تفوتك الخيرات

---

(١) الحجرات : ١٢

والرغائب ، يا من عمره يفنى فى مفره ويسرى كالنجائب ، يا من شاب وما تاب هذا من العجائب ، يا عجبا كيف نام المطلوب وما غفل الطالب ؟ ٠

* * *

الكبيرة الثالثة والأربعون : النمــام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الافساد بينهم ٠ هــذا بيانها ٠

واما احكامها فهى حرام باجماع المسلمين وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة قال الله تعالى : ((**ولا تطع كل حلاف مهين ٠ هماز مشــاء بنميم**))(١) وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : ((لا يدخل الجنة نمام))(٢) وفى الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال : ((انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما انه كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله وأما الآخــر فكان يمشى بالنميمة)) ثم أخذ جريدة رطبة فشقها اثنتين وغرز فى كل قبر واحدة وقال : ((لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا))(٣) ٠

وقوله : ((وما يعذبان فى كبير)) أى ليس بكبير تركه عليهما أو ليس بكبير فى زعمهما ولهذا قال فى الرواية الأخرى : ((بلى انه كبير)) وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين فى الدنيا فان الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة))(٤) ، ومعنى من كان ذا لسانين اى يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين٠ قال الامام ابو حامد الغزالى رحمه الله : انما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه بقوله : فلان يقول فيك كذا ٠ وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره سواء المنقول عنه أو المنقول اليه او ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول او الكتابة أو الرمز أو الايمــاء أو نحوهما وسواء أكان من الاقوال أو الاعمال وسواء أكانَ عيبا أو غيره فحقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه ٠ وينبغى للانســان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس الا ما فى حكايته فائدة للمسلمين

---

(١) القلم : ١٠ ، ١١ ٠

(٢) وكذا رواه ابو داود والترمذى كلهم من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ٠

(٣) رواه الجماعة وابن خزيمة كلهم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ ٠

(٤) رواه مالك والبخارى ومسلم قاله وما قبله المنذرى فى الترغيب والترهيب ٠

أو دفع معصية • قال : وكل من حملت اليه نميمة وقيل له : قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال :

(الأول) أن لا يصدقه لأنه (نمام) فاسق وهو مردود الخبر •

(الثانى) أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله •

(الثالث) أن يبغضه فى الله عز وجل فانه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب •

(الرابع) أن لا يظن فى المنقول عنه السوء لقوله تعالى : ((اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم))(١) •

(الخامس) أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك ، قال سبحانه وتعالى : ((ولا تجسسوا))(٢) •

(السادس) أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكى نميمته • وقد جاء أنّ رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشىء فقال عمر : يا هذا •• ان شئت نظرنا فى أمرك فان كنت صادقا فأنت من أهل الآيه : ((ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا))(٣) وان كنت كاذبا فأنت من اهل الآية : ((هماز مشاء بنميم))(٤) وان شئت عفونا عنك • فقال : العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه أبدا ورفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد(٥) رحمه الله يحثه فيها على اخذ مال اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة : النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمرة الله والساعى لعنه الله • وقال الحسن البصرى : من نقل اليك حديثا فاعلم انه ينقل الى غيرك حديثك ، وهذا مثل قول الناس : من نقل اليك نقل عنك فاحذره • وقال ابن المبارك : ولد الزنا لا يكتم الحديث اشار به الى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى : ((عتل بعد ذلك زنيم))(٦) والزنيم هو الدعى وروى أن بعض السلف الصالحينَ زار أخا له وذكر له عن بعض اخوانه شيئا يكرهه فقال له : يا اخى •• اطلت الغيبة وأتيتنى بثلاث جنايات : بغضت الى أخى وشغلت قلبى بسببه واتهمت نفسك الأمينة • وكان بعضهم يقول : من اخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك • وجاء رجل الى على بن الحسين رضى الله عنهما فقال : ان فلانا شتمك وقال عنك كذا وكذا فقال : اذهب اليه فذهب معه وهو يرى انه ينتصر لنفسه فلما وصل اليه قال : يا أخى ••

---

(١) الحجرات : ١٢ •
(٢) الحجرات : ١٢ •
(٣) الحجرات : ٦ •
(٤) القلم : ١١ •
(٥) وذكرها ابن ابى شامة فىَ كتابه « الروضتين » فى مناقب محمود ابن زنكى رحمه الله •
(٦) القلم : ١٣ •

ان كان ما قلت فى حقا فغفر الله لى وان كانَ ما قلت فى باطلا فغفر لك ، وقيل فى قوله تعالى : ((**حمالة الحطب**))(١) : يعنى امرأه أبى لهب أنها كانت تنقل الحديث بالنميمه · سمى النميمه حطبا لانها سبب العداوة كما أن الحطب سبب لاشتعال النار · ويقال : عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة ·

(**حكاية**) روى أن رجلا رأى غلاما يباع وهو ينادى عليه : ليس به عيب الا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب واشتراه فمكث عنده أياما ثم قال لزوجة سيده . ان سيدى يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى وقال : انه لا يحبك فان أردت ان يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فاذا نام فخذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك فقالت فى نفسها : نعم·· واشتغل قلب المرأة وعزمت على ذلك اذا نام زوجها ، ثم جاء الى زوجها وقال : سيدى ·· ان سيدتى زوجتك اتخذت لها صديقا ومحبا غيرك ومالت اليه وتريد أن تخلص منك وقد عزمت على ذبحك الليلة وان لم تصدقنى متنام لها الليلة وانظر كيف تجىء اليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به ، وصدقه سيده فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال فى نفسه : والله صدق الغلام بما قال فلما وضعت المرأة الموسى واهوت الى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم فلذلك سمى الله النمام فاسقا فى قوله تعالى : ((**ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**))(٢) ·

(**موعظة**) يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكا ، يا غافلا عن التلف وقد أدركه ادراكا ، يا مغرورا بسلامته وقد نصب له الموت أشراكا ، تفكر فى ارتحالك وأنت على حالك فان لم تبك فتباكى ·

بكيت فما تبكى شباب صباك	كفاك نذير الشيب فيك كفاكا
الم تر أن الشيب قد قام ناعيا	مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يوما مر الا كأنه	باهلاكه للهالكين عناكا
الا أيها الفانى وقد حان حينه	اتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضى ويبقى ما تراه كما ترى	فينساك ما خلفته ، هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم	وتنسى ويهوى الحى بعد هواكا
كان الذى يحثو عليك من الثرى	يريد بما يحثو عليك رضاكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة	عليك اذا الخطب الجليل أتاكا
نرى الأرض كم فيها رهون دفينة	غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

* * *

---

(١) المسد : ٤ ·

(٢) الحجرات : ٦ ·

الكبيرة الرابعة والأربعون : اللعـان

قال النبى ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »(١) وقال ﷺ : « لعن المؤمن كقتله » (أخرجه البخارى)(٢) · وفى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة »(٣) وقال عليه الصلاة والسلام : « لا ينبغى لصديق أن يكون لعانا »(٤) وفى الحديث : « ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذى » والبذى هو الذى يتكلم بالفحش ورديء الكلام · وعن رسول الله ﷺ قال . « ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها »(٥) وقد عاقب النبى ﷺ من لعنت ناقتها بأن سلبها اياها ، قال عمران بن حصين : بينما رسول الله ﷺ فى بعض اسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « خذوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة » قال عمران : فكأنى أنظر اليها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها احد(أخرجه مسلم)(٦) ·وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ان أربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه المسلم »(٧) وعن عمرو ابن قيس قال : اذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم اجعله بى رفيقا رحيما فاذا لعنها قالت : على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل ·

(فصل) فى جواز لعن أصحاب المعاصى غير المعينين المعروفين قال الله

---

(١) أخرجه الجماعة الا أبا داوود ، من حديث ابن مسعود ا هـ ترغيب ·

(٢) رواه الجماعة سوى ابن ماجه من حديث ثابت الضحاك ا هـ ترغيب ·

(٣) من حديث أبى الدرداء وكذا أبو داوود بدون لفظ « يوم القيامة » كذا فى الترغيب ·

(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ونحوه عند الحاكم وصححه ا هـ ترغيب ·

(٥) رواه ابو داوود من حديث أبى الدرداء ا هـ ترغيب ونحوه عند أحمد من حديث ابن مسعود بسند جيد أفاده المنذرى فى ترغيبه ·

(٦) ونحوه عند أحمد من حديث أبى هريرة وعند أبى يعلى وابن ابى الدنيا من حديث انس فى تخلية سبيل ما لعن باسانيد جيدة كما فى الترغيب ·

(٧) رواه البزار باسنادين أحدهما أقوى وهو فى بعض نسخ أبى داوود بنحوه هذا وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند الطبرانى ومن حديث سعيد بن زيد عند أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات ا هـ ترغيب فى موضعين أحدهما الترغيب عن الغيبة والبهت والثانى الترغيب فى صلة الرحم ·

تعالى : ((ألا لعنة الله على الظالمين))(١) وقال : ((ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين))(٢) وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه » وأنه قال : « لعن الله المحلل والمحلل له » وأنه قال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة » فالواصلة هي التي تصل شعرها والمستوصلة هي التي يوصل لها والنامصة هي التي تنتف الشعر من الحاجبين والمتنمصة التي يفعل بها ذلك وانه ﷺ لعن الصالقة والحالقة والشاقة فالصالقة هي التي ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصيبة والشاقة هي التي تشق ثيابها عند المصيبة • وأنه ﷺ لعن المصورين ، وأنه لعن من غير منار الأرض (اى حدودها) وأنه قال : « لعن الله من لعن والديه ولعن من سب امه » وفي السنن أنه قال : « لعن الله من اضل اعمى عن الطريق ولعن الله من أتى بهيمة ولعن الله من عمل عمل قوم لوط » وأنه لعن من أتى كاهنا أو أتى امراة في دبرها ولعن النائحة ومن حولها ولعن من أم قوما وهم له كارهون ولعن امـرأة باتت وزوجها عليها ساخط • ولعن رجلا سمع (حي على الصلاة ، حي على الفلاح) ثم لم يجب ولعن من ذبح لغير الله ولعن السـارق ولعن من سب الصحابة ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النسـاء ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ولعن المـرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المـراة ولعن من سل سخيمته على الطريق يعني تغوط على طريق الناس ولعن السلتاء والمـرأة السلتاء التي لا تخضب يديها » والمراة التي لا تكتحل ولعن من خبب امـرأة على زوجها او مملوكا على سيده – يعني أفسدها أو افسده – ولعن من أتى حائضا أو امـرأة في دبرها ولعن من اشار الى أخيه بحديدة ولعن مانع الصدقة – يعني الزكاة – ولعن من انتسب الى غير أبيه أو تولى غير مواليه ولعن من كوى دابة في وجهها ولعن الشافع والمشفع في حد من حدود الله اذا بلغ الحاكم ولعن المـراة اذا خرجت من دارها بغير اذن زوجها ولعنها اذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا امكنه ولعن الفاعل والمفعول به – يعني اللواط – ولعن الخمـر وشاربها وساقيها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها والدال عليها • وقال ﷺ : « ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله والزائد في كتاب الله والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي » ولعن الزاني بامرأة جاره ولعن ناكح يده ولعن ناكح الأم وبنتها ولعن الراشي والمرتشي في الحكم والرائش – يعني الساعي بينهما – ولعن من كتم العلم ولعن المحتكر ولعن

---

(١) هود : ١٨ •   (٢) آل عمران : ٦١ •

من أخفر مسلما - يعنى خذله ولم ينصره - ولعن الوالى اذا لم يكن فيه رحمة ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون : لا نتزوج والمتبتلات من النساء ولعن راكب الفلاة وحده ولعن من أتى بهيمة ، نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله .

(فصل) اعلم أن لعن المسلم المصون حرام باجماع المسلمين ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : لعن الله الظالمين ، لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهود والنصارى ، لعن الله الفاسقين ، لعن الله المصورين ، ونحو ذلك كما تقدم ، وأما لعن انسان بعينه ممن اتصف بشىء من المعاصى كيهودى أو نصرانى أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا نظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام . وأشار الغزالى رحمه الله الى تحريمه الا فى حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبى لهب وأبى جهل وفرعون وهامان وأشباههم ، قال : لأن اللعن هو الابعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يختم به لهذا الفاسق والكافر . وقال : وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال : « اللهم العن رعلا وزكوان وعصية عصوا الله ورسوله » ، وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز انه ﷺ علم موتهم على الكفر ، قال : ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان : لا أصح الله جسمه ، ولا سلمه الله وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم ، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم ، قال بعض العلماء : من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله : الا أن يكون لا يستحق .

(فصل) ويجوز للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر وكل مؤدب ان يقول لمن يخاطبه فى ذلك : ويلك ، أو يا ضعيف الحال أو يا قليل النظر لنفسه أو يا ظالم نفسه أو ما أشبه ذلك ، بحيث لا يتجاوز الى الكذب ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقا فى ذلك وانما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ويكون الكلام أوقع فى النفس ، والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

(موعظة) يا قليل الزاد والطريق بعيد ، يا مبتلا على ما يضر تاركا لما يفيد ، أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد ، الى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد :

مضى امسك الماضى شهيدا معدلا	واعقبه يوم عليك شهيد
فان كنت بالأمس واقترفت اساءة	فبادر باحسان وأنت حميد
ولا تبق فضل الصالحات الى غد	فرب غد يأتى وأنت فقيد
اذا ما المنايا اخطأتك وصادفت	حميمك فاعلم أنها ستعود

* * *

الكبيرة الخامسة والأربعون : الغـدر وعدم الوفاء بالعهد

قال الله تعالى : ((**وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا**))(١) قال الزجاج : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهـد · وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**))(٢) ·

قال الواحدى . قال ابن عباس فى رواية الوالبى (العهود) يعنى : ما أحل وما حرم وما فرض وما حد فى القرآن · وقال الضحاك : بالعهود التى أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود وكذا العهود جمع عهد · (العقد) بمعنى المعقود وهو الذى أحكم ما فرض الله علينا احكم ذلك ولا سبيل الى نقضه بحال وقال مقاتل بن حيان . ((**أوفوا بالعقود**)) التى عهد الله اليكم فى القرآن مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذى نهاكم عنه وبالعهود التى بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس ، والله أعلم · وقال النبى ﷺ : ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر)) (مخرج فى الصحيحين)(٣) وقال رسول الله ﷺ : ((لكل غادر لواء يوم القيامة يقال : هذه غدرة فلان بن فلان))(٤) وقال رسول الله ﷺ : ((يقول الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فاكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره)) (أخرجه البخارى)(٥) وقال ﷺ : ((من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)) (أخرجه البخارى)(٦) وقال ﷺ : ((من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس الذى يحب أن يؤتى اليه ومن بايع اماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر))(٧) ·

***

---

(١) الاسراء : ٣٤ ·   (٢) المائدة : ١ ·

(٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ا هـ ترغيب ·

(٤) رواه مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنه ·

(٥) وكذا رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ا هـ ترغيب ·

(٦) من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ·

(٧) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ·

الكبيرة السادسة والأربعون : تصديق الكاهن والمنجم

قال الله تعالى : ((**ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**))(١) قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى : ((**ولا تقف ما ليس لك به علم**)) قال الكلبى : لا تقل ما ليس لك به علم ٠ وقال قتادة . لا تقل : سمعت ولم تسمع ورايت ولم تر وعلمت ولم تعلم والمعنى : لا تقولن فى شىء بما لا تعلم ((**أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**)) قال الوالبى عن ابن عباس . يسأل الله العباد فيم استعملوها وفى هذا زجر عن النظر الى ما لا يحل والاستماع الى ما يحرم وارادة ما لا يجوز ٠ والله اعلم وقال تعالى : ((**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ٠ الا من ارتضى من رسول**))(٢) قال ابن الجوزى : عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له فى ملكه ((**فلا يظهر**)) اى : فلا يطلع على غيبه الذى لا يعلمه أحد من الناس الا من ارتضى من رسول لأن الدليل على صدق الرسل اخبارهم بالغيب ٠ والمعنى أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ففى هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر ، والله أعلم ٠ وقال رسول الله ﷺ : ((من اتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ))(٣) ٠ وروينا فى الصحيحين عن زيد ابن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فى أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : ((هل تدرون ماذا قال ربكم)) ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم قال : ((أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب)) ٠

قال العلماء : ان قال مسلم : مطرنا بنوء كذا يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافرا مرتدا بلا شك وان قال مريدا أنه علامة نزول المطر وينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله وخلقه لم يكفر ، واختلفوا فى كراهته والمختار انه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث ٠

(**وقوله**) فى أثر سماء : السماء هنا المطر ، والله اعلم وقال رسول الله ﷺ : ((من أتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما)) ٠

---

(١) الاسراء : ٣٦ ٠ (٢) الجن : ٢٦ ، ٢٧ ٠

(٣) رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفى أسانيدهم كلام ذكره المنذرى فى مختصره لسنن أبى داوود ورواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما وله شاهد من حديث جابر عند البزار باسناد جيد ومن حديث أنس عند الطبرانى بسند فيه رشد بن سعد ا هـ ترغيب ٠

(رواه مسلم)(١) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل رسول الله ﷺ اناسا عن الكهان فقال : « ليس بشىء » قالوا : يا رسول الله .. اليس قد قال كذا وكذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه – اى يلقيها – فيخلط معها مائة كذبة » (مخرج فى الصحيحين . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الملائكة تنزل فى العنان – وهو السحاب – فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » (رواه البخارى) .

وعن قبيصة بن ابى المخارق رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » (رواه أبو داوود) وقال : الطرق : الزجر اى زجر الطير وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه فان طار الى جهة اليمين تيمن وان طار الى جهة الشمال تشاءم . قال أبو داوود : العيافة : الخط . قال الجوهرى : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » وقال على بن أبى طالب : الكاهن ساحر والساحر كافر فى الدنيا والآخرة . فنسأل الله العافية والعصمة .

(**موعظة**) عباد الله .. تفكروا فى سلفكم قبل تلفكم وانظروا فى أموركم قبل حلول قبوركم ، فتاهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم ، أين الأقران والاخوان ؟ اين من شيد الايوان ؟ رحلوا والله عن الأوطان ومزقت فى اللحود تلك الأكفان ، هتف نذير بأهل العرفان : **« كل من عليها فان »**(٢) تقلبت بهم الأحوال . ولعب بهم فى أيدى الليال . وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم احباؤهم بعد ليال ، عانقوا التراب وفارقوا الأموال .. فلو أذن لأحدهم فى المقال لقال :

من رآنا ليحدث نفسه	انه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها	ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد اناخوا حولنا	يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليهم قدمت	وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهرا بعيش ناعم	ابيض دهرهم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم	وكذاك الدهر يودى بالرجال

* * *

---

(١) رواه مسلم من حديث صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) الرحمن : ٢٦ .

الكبيرة السابعة والأربعون : نشوز المرأة على زوجها

قال الله تعالى : « **واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، أن الله كان عليا كبيرا** »(١) قال الواحدى رحمه الله تعالى . النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف . وقال عطاء : هو أن لا تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية « **فعظوهن** » بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به « **واهجروهن فى المضاجع** » قال ابن عباس . هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها وقال الشعبى ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها « **واضربوهن** » ضربا غير مبرح . قال ابن عباس : أدبا مثل اللكزة وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله فى هذه الآية « **فان أطعنكم** » فيما يلتمس منهن « **فلا تبغوا عليهن** » .

قال ابن عباس : فلا تتجنوا عليهن العلل . وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح »(٢) وفى لفظ : « فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح » ولفظ الصحيحين أيضا(٣) : « اذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها » .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم الى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو »(٤) .

وعن الحسن قال . حدثنى من سمع النبى ﷺ يقول : « أول ما تسئل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها »(٥) وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد الا باذنه ولا تأذن فى بيته الا باذنه »(٦) (أخرجه البخارى) ومعنى شاهد :

---

(١) النساء : ٣٤ .

(٢) من حديث أبى هريرة وكذا رواه أبو داوود والنسائى قاله فى الترغيب.

(٣) وكذا النسائى من حديث أبى هريرة أيضا أفاده المنذرى .

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما من رواية زهير بن محمد قاله فى الترغيب وابن عقيل مختلف فيه لسوء حفظه وكذا زهير بن محمد التميمى .

(٥) رواه أبو الشيخ فى ثواب الأعمال من حديث أنس زاد فى آخره « وعن بعلها كيف عملت اليه » اهـ منتخب كنز العمال .

(٦) من حديث أبى هريرة وكذا مسلم وغيرهما .

أى حاضر غير غائب وذلك فى صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته • وقال ﷺ : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها » (رواه الترمذى)(١) وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبى ﷺ فقال : « انظرى من اين انت منه فانه جنتك ونارك » (اخرجه النسائى) وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه »(٢) وجاء عنه ﷺ أنه قال : « اذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب »(٣) وقال رسول الله ﷺ : « ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة »(٤) •

فالواجب على المرأة ان تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى أرادها لقول النبى ﷺ : « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلتأته وان كانت على التنور » قال العلماء : الا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل لها ان تجيئه ولا يحل للرجل أيضا أن يطلب ذلك منها فى حال الحيض والنفاس ولا يجامعها حتى تغتسل لقوله تعالى : ((**فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن**))(٥) أى لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن • قال ابن قتيبة : يطهرن : ينقطع عنهن الدم فاذا تطهرن أى اغتسلن بالماء والله أعلم • ولما تقدم من قول النبى ﷺ : « من اتى حائضا أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد »(٦) وفى حديث آخر : « ملعون من اتى حائضا أو امرأة فى دبرها » والنفاس مثل الحيض الى الأربعين فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها اذا أراد اتيانها فى حال الحيض والنفاس ، وتطيعه فيما عدا ذلك ، وينبغى للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف فى نفسها

---

(١) من حديث أبى هريرة وقال : حسن صحيح وله شاهد من حديث عائشة عند ابن ماجه وقيس بن سعيد عند أبى داوود وابن أبى أوفى عند ابن ماجه وابن حبان ومعاذ عند الحاكم أفاده فى الترغيب •

(٢) رواه النسائى باسناد صحيح قاله المصنف فى رسالته الصغرى فى الكبائر وزاد فى الترغيب البزار والحاكم وصححه •

(٣) رواه الطبرانى من حديث ابن عباس واشار المنذرى لضعفه ولفظه : « ولا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع » اهـ ترغيب •

(٤) رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه والحاكم وصححه كلهم من حديث مساور الحميرى عن امه عن أم سلمة اهـ ترغيب •

(٥) البقرة : ٢٢٢ •

(٦) رواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن حبان فى صحيحه من حديث طلق بن على اهـ ترغيب •

ولا فى ماله الا باذنه وتقدم حقه على حقها ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تفتخر عليه بجمالها ولا تعيبه بقبح ان كان فيه ٠

قال الأصمعى : دخلت البادية فاذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها : كيف ترضين لنفسك أن تكونى تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع يا هذا ٠٠ لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه ولعلى اسأت فجعله عقوبتى ٠

وقالت عائشة رضى الله عنها : يا معشر النساء ٠٠ لو تعلمن بحق ازواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمى زوجها بحر وجهها ٠

وقال ﷺ : « ٠٠ ونساؤكم من أهل الجنة : الولود التى اذا اذت او أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها فى كفه فتقول : لا أذوق غمضا حتى ترضى »(١) ٠

ويجب على المرأة أيضا دوام الحياء من زوجها وغض طرفها قدامه والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والقيام عند قدومه والابتعاد عن جميع ما يسخطه والقيام معه عند خروجه وعرض نفسها عليه عند نومه وترك الخيانة له فى غيبته فى فراشه وماله وبيته وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرته وتركها الغيبة واكرام أهله وأقاربه وترى القليل منه كثيرا ٠

(فصل) فى فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية ٠ ينبغى للمرأة الخائفة من الله تعالى ان تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه جهدها فهو جنتها ونارها لقول النبى ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة »(٢) وفى الحديث أيضا : « اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها واطاعت بعلها فلتدخل من اى أبواب الجنة شاءت »(٣) ٠

وروى عنه ﷺ أنه قال : « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء والحيتان فى الماء والملائكة فى السماء والشمس والقمر ما دامت فى رضا زوجها ، وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، وأيما امرأة كلحت فى وجه زوجها فهى فى سخط الله الى أن تضاحكه وتسترضيه ، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير اذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » ٠

---

(١) رواه الطبرانى من حديث أنس ورواته محتج بهم فى الصحيح الا ابراهيم بن زياد القرشى لم يقف المنذرى فيه على جرح ولا تعديل قال : وقد روى هذا المتن من حديث ابن عباس وكعب بن عجرة وغيرهما ا هـ ترغيب ٠

(٢) قدم تخريجه آنفا ٠

(٣) رواه أحمد والطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عوف بلفظ : « قيل لها ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت » ورواه أحمد ورواته رواة الصحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن فى المتابعات ا هـ ترغيب ٠

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضا قال : « أربع من النسـاء فى الجنة واربع فى النار فأما الأربع اللوانى فى الجنة فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ولود صابره قانعة باليسير مع زوجها ذات حياء ان غاب عنها حفظت نفسها وماله وان حضر أمسكت لسانها عنه • والرابعة امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت اليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا • وأما الاربع اللواتى فى النار من النساء فامرأه بذيئه اللسان على زوجها ـ أى طويله اللسان ـ فاحشة الكلام ان غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وان حضر آذته بلسانها • والثانية امرأه تكلف زوجها ما لا يطيق • والثالثه امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة والرابعة امرأة ليس لها هم الا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة فى الصـلاة ولا فى طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا فى طاعة زوجها »(١) فالمـرأة اذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير اذن زوجها كانت ملعونة من أهل النـار الا أن تتوب الى الله وقال النبى ﷺ : « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النسـاء »(٢) وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ولرسـوله ولأزواجهـن وكثرة تبرجهن ، والتبرج اذا أرادت الخـروج لبست أفخر ثيابهـا وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فان سلمت هى بنفسها لم يسـلم الناس منها • ولهذا قال النبى ﷺ : « المرأة عورة فاذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان » •

واقرب ما تكون المـرأة من الله ما كانت فى بيتها ، وفى الحديث ايضا : « المرأة عورة فاحبسوها فى البيوت فان المـرأة اذا خرجت الى الطريق قال لها اهلها : اين تريدين ؟ قالت : أعود مريضا أشيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها وما التمست المـرأة رضا الله بمثل أن تقعد فى بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها » • وقال على رضى الله عنه لزوجه فاطمة رضى الله عنها : يا فاطمة •• ما خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يرونها•وكان على رضى الله عنه يقول : ألا تستحيون •• ألا تغارون •• يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر اليهم وينظرون اليها • وكانت عائشة وحفصـة رضى الله عنهما يوما عند النبى ﷺ جالستين فدخل ابن ام مكتوم وكان أعمى فقال النبى ﷺ : « احتجبا منه » فقالتا : يا رسول الله •• أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ : « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه »(٣) •

---

(١) (تنبيه) هكذا لم يذكر قبل الرابعة ثانية ولا ثالثة •

(٢) مخرج فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها •

(٣) رواه أبو داوود والنسائى والترمذى وقال : حسنٌ صحيح من حديث نبهان مولى أم سلمة قال : كنت عند النبى ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجـاب •• الخ قال أبو داوود هـذا لأزواج =

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها أن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها • فان اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لابد لها منه فلتخرج باذن زوجها غير متبرجة فى ملحفة وسخة فى ثياب بيتها وتغض طرفها فى مشيتها وتنظر الى الأرض لا يمينا ولا شمالا فان لم تفعل ذلك والا كانت عاصية ، وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات فى الدنيا كانت تخرج من بيتها متبرجة فماتت فرآها بعض اهلها فى المنام وقد عرضت على الله عز وجل فى ثياب رقاق فهبت ريح فكشفتها فاعرض الله عنها وقال . خذوا بها ذات الشمال الى النار فانها كانت من المتبرجات فى الدنيا •

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : دخلت على النبى ﷺ انا وفاطمة رضى الله عنها ووجدناه يبكى بكاء شديدا فقلت له : فداك ابى وأمى يا رسول الله •• ما الذى ابكاك ؟ قال : « يا على •• ليلة اسرى بى الى السماء رأيت نساء أمتى يعذبن بأنواع العذاب فبكيت لما رايت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها ، ورايت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب فى حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها الى ثدييها ويداها الى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بثدييها ورأيت امرأة رأسها راس خنزير وبدنها بدن الحمار عليها ألف ألف لونٍ من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون راسها بمقامع من نار » •

فقامت فاطمة رضى الله عنها وقالت : حبيبى وقرة عينى •• ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال ﷺ : « يا بنية •• أما المعلقة بشعرها فانها كانت لا تغطى شعرها من الرجال وأما التى كانت معلقة بلسانها فانها كانت تؤذى زوجها وأما المعلقة بثدييها فانها كانت تفسد فراش زوجها وأما التى تشد رجلاها الى ثدييها ويداها الى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فانها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزىء بالصلاة •

وأما التى رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فانها كانت نمامة كذابة •

= النبى ﷺ خاصة ألا ترى الى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم قد قال لها النبى ﷺ : « اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده » قال الحافظ فى التلخيص : وهذا جمع حسن وبه جمع المنذرى فى حواشيه واستحسنه شيخنا يعنى العراقى ا هـ من سنن أبى داوود وشرحها عون المعبود •

وأما التى على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فانها كانت منانة حسادة » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تؤذى المرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله .. ويا بنية(١) الويل لامرأة تعصى زوجها »(٢) .

(**فصل**) واذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه فالزوج أيضا مأمور بالاحسان اليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وايصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى : **« وعاشروهن بالمعروف »**(٣) ولقول النبى ﷺ : « استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان لكم .. ألا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا ، فحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون »(٤) وقوله ﷺ : « عوان » أى أسيرات جمع عانية وهى الأسيرة ، شبه رسول الله ﷺ المرأة فى دخولها تحت حكم الرجل بالأسير .

وقال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله »(٥) وفى رواية : « خيركم ألطفكم بأهله » وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء . وقال ﷺ : « أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون » .

وقد روى أن رجلا جاء الى عمر رضى الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعا وقال : ان كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو امير المؤمنين فكيف حالى ؟ فخرج عمر فرآه موليا

---

(١) قوله : يا بنية .. الويل .. الخ ليس من حديث معاذ ولعله من حديث على وفاطمة السابق .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن وآخره بعد قوله : « قاتلك الله » : « فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا » .

(٣) النساء : ١٩ .

(٤) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح وهو من حديث عمرو ابن الأحوص الجشمى انه سمع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع .. الخ . اهـ ترغيب .

(٥) رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها وله شاهد من حديث ابن عباس عند ابن ماجه والحاكم وصححه ومن حديث أبى هريرة عند الترمذى وابن حبان وصححه الترمذى اهـ ترغيب .

عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال : يا امير المؤمنين جئت اشكو اليك سوء خلق امرأتى واسنطالتها على فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : اذا كان هذا حال امير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر : يا أخى انى احتملتها لحقوق لها على : انها طباخة لطعامى خبازة لخبزى غسالة لثيابى مرضعة لولدى وليس ذلك كله واجب عليها ويسكن قلبى بها عن الحرام فأنا احتملتها لذلك . فقال الرجل : يا امير المؤمنين .. وكذلك زوجتى ، قال عمر : فاحتملها يا أخى فانما هى مدة يسيره .

وحكى أن بعض الصالحين كان له اخ فى الله وكان من الصالحين يزوره فى كل سنة مرة فجاء لزيارته فطرق الباب فقالت امرأته : من ؟ فقال : أخو زوجك فى الله جئت لزيارته ، فقالت : راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه وفعل به وفعل وجعلت تذمذم عليه فبينما هو واقف على الباب واذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلم على اخيه ورحب به ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد : اذهب بارك الله فيك ، ثم أدخل اخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها فاكل مع اخيه شيئا ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام الثانى جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته : من بالباب ؟ قال : اخو زوجك فى الله فلان فقالت : مرحبا بك واهلا وسهلا اجلس فانه سيأتى ان شاء الله بخير وعافية قال : فتعجب من لطف كلامها وأدبها اذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضا من ذلك فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاما لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخى .. اخبرنى عما أريد أن أسألك عنه قال : وما هو يا أخى ؟ قال : عام أول اتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيرا ورأيتك قد اتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفا لا تذمذم ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟ قال : يا أخى .. توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابرا على خلقها وما يبدو منها كنت معها فى تعب وأنا أحتملها فكأن الله قد سخر لى الأسد الذى رأيت يحمل عنى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا فى راحة معها فانقطع عنى الأسد فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهرى لأجل راحتى مع هذه المرأة المباركة الطائعة . فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى انه جواد كريم .

* * *

الكبيرة الثامنة والأربعون : التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء سواء أكانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس أو صوف او غير ذلك والأمر باتلافها

قال الله تعالى : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا »(١) قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصور ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم : احيوا ما خلقتم » (مخرج فى الصحيحين) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : « يا عائشة ٠٠ أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله عز وجل » قالت عائشة رضى الله عنها : فقطعته فجعلت منه وسادتين (مخرج فى الصحيحين) ٠ القرام بكسر القاف وهو الستر والسهوة كالصفة تكون بين يدى البيت ٠ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور فى النار يجعل له بكل صوره صورها نفس يعذب فى نار جهنم » (مخرج فى الصحيحين) وعنه رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ فيها أبدا »(٢) وعنه ﷺ أنه قال : « يقول الله عز وجل : ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة أو ليخلقوا ذرة »(مخرج فى الصحيحين) ٠

وقال ﷺ : « يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول : انى وكلت بثلاثة بكل من دعا مع الله الها آخر وبكل جبار عنيد وبالمصورين »(٣) ٠

وقال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة » (مخرج فى الصحيحين) ٠

وفى سنن أبى داوود عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب » وقال الخطابى رحمه الله تعالى : قوله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحفظة فانهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب ، وقد قيل : انه لم يرد الجنب الذى أصابته الجنابة فأخر الاغتسال الى أوان حضور الصلاة ولكنه

---

(١) الأحزاب : ٥٧ ٠

(٢) رواه البخارى وفيه قصة ا هـ ترغيب ٠

(٣) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال : حسن صحيح ا هـ ترغيب ٠

الذى يجنب ولا يغتسل وينهاون بالغسل ويتخذه عادة فان النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد وفى هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه ٠

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء(١) ٠

واما الكلب فهو أن يقتنى كلبا لا لزرع ولا لضرع أو صيد ، فأما اذا اضطر اليه فلا حرج للحاجه اليه فى بعض الأمور أو لحراسة داره اذا اضطر اليه فلا حرج عليه ان شاء الله ٠

وأما الصور فهى كل مصور من ذوات الأرواح سواء أكانت لها أشخاص منتصبة او كانت منقوشة فى سقف وجدار أو موضوعة فى نمط أو منسوجة فى ثوب او مكان ، فان قضية العموم تأتى عليه فليجتنب ، وبالله التوفيق ٠

ويجب اتلاف الصور لمن قدر على اتلافها وازالتها ، روى مسلم فى صحيحه(٢) عن حيان بن حصين قال : قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : الا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة الا طمستها ولا قبرا مشرفا الا سويته ٠

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم ٠

* * *

الكبيرة التاسعة والأربعون : اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

روينا فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » ٠

وروينا فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ « برىء من الصالقة والحالقة والشاقة » الصالقة : التى ترفع صوتها بالنياحة ، والحالقة : التى تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة ، والشاقة : التى تشق ثيابها عند المصيبة وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه والدعاء بالويل والثبور ٠

وعن ام عطية رضى الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ فى البيعة أن لا ننوح (رواه البخارى) ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى الأنساب والنياحة على الميت » (رواه مسلم) ٠

---

(١) رواه الترمذى وأعله ٠

(٢) وكذا أبو داود والترمذى ، وحيان بن حصين هو أبو الهياج الأسدى ٠

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة (رواه أبو داوود) • وعن أبى بردة قال : وجع أبو موسى الأشعرى فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها فلما أفاق قال : أنا برىء مما برىء منه رسول الله ﷺ ، ان رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة (*) •

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تعدد عليه فتقول : واكذا واكذا فقال حين افاق : ما قلت شيئا الا قيل لى : أنت كذا انت كذا ؟ (أخرجه البخارى)(١) •

وفى الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه » •

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واسيداه واجبلاه واكذا واكذا ونحو ذلك الا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا أنت ؟ (أخرجه الترمذى)(٢) •

وقال ﷺ : « النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب »(٣) وقال ﷺ : « انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نعمة ولهو ولعب ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة خمش فى وجوه وشق فى جيوب ورنة شيطان » وقال الحسن : صوتان ملعونان : مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة •

وقال رسول الله ﷺ : « ان هذه النوائح يجعلن صفين فى النار فينبحن فى أهل النار كما تنبح الكلاب »(٤) • وعن الأوزاعى أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره فمال عليهن ضربا حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها وقال : اضرب فانها نائحة ولا حرمة لها ، انها لا تبكى بشجوكم انها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم وانها تؤذى موتاكم فى قبورهم وأحياكم فى دورهم لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه •

واعلم أن النياحة رفع الصوت بالندب ، والندب تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل : هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه •

(*) رواه البخارى وابن ماجه والنسائى كذا فى الترغيب •

(١) وزاد : فلما مات لم تبك عليه ا هـ ترغيب •

(٢) وقال حديث حسن غريب وكذا رواه ابن ماجه ا هـ ترغيب •

(٣) رواه مسلم وابن ماجه من حديث أبى مالك الأشعرى •

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وأشار المنذرى فى الترغيب الى ضعفه •

قال العلماء : ويحرم رفع الصوت بافراط بالبكاء وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام . روينا فى صحيح البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم مبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال : « ألا تسمعون .. ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أويرحم » وأشار الى لسانه . وروينا فى صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ رفع اليه ابن ابنته وهو فى الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء » وروينا فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « يا ابن عوف .. انها رحمة » ثم اتبعها بأخرى فقال : « ان العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » .

وأما الأحاديث الصحيحة . أن الميت يعذب ببكاء اهله عليه فليست على ظاهرها واطلاقها بل هى مؤولة . واختلف العلماء فى تأويلها على أقوال اظهرها ، والله أعلم . أنها محمولة على أن يكون له سبب فى البكاء اما أن يكون قد أوصاهم به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعى : ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح : « فاذا وجبت فلا تبكين باكية » وقد نص الشافعى والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم وتأولوا حديث : « تبكين باكية » على الكراهية ، والله أعلم .

(فصـل) وانما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع وتنهى عن الصبر والله ورسوله قد أمرا بالصبر والاحتسـاب ونهيا عن الجزع والسخط . قال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين** »(١) قال عطاء عن ابن عباس : يقول : انى معكم انصركم ولا أخذلكم وقال تعالى : « **ولنبلونكم** »(٢) أى لنعاملنكم معاملة المبتلى لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج الى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلى ، فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقوله : « **بشىء من الخوف والجوع** »(٢) قال ابن عباس : يعنى خوف العدو والجوع يعنى المجاعة والقحط « **ونقص من الأموال** »(٢) يعنى الخسران

---

(١) البقرة : ١٥٣ .

(٢) البقرة : ١٥٥ .

والنقصان فى المال وهلاك المواشى ((**والأنفس**))(١) بالموت والقتل والمرض والشيب ((**والثمرات**))(١) يعنى الجوائح وأن لا تخرج الثمرة كما كانت • ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى : ((**وبشر الصابرين**))(١) ثم نعتهم فقال : ((**الذين اذا أصابتهم مصيبة**))(٢) أى نالتهم نكبة مما ذكر ، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة ((**قالوا انا لله**))(٢) عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء ((**وانا اليه راجعون**))(٢) بالهلاك وبالفناء ومعنى الرجوع الى الله الرجوع الى انفراده بالحكم اذ قد ملك فى الدنيا قوما الحكم فاذا زال حكم العباد رجع الأمر الى الله عز وجل •

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ((ما من مصيبة يصاب بها المؤمن الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها)) (رواه مسلم)(٣) وعن علقمة بن مرثد بن سابط عن ابيه قال : قال رسول الله ﷺ : ((من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فانها أعظم المصائب))(٤) وقال رسول الله ﷺ : ((اذا مات ولد العبد يقول الله لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم •• فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع • فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد))(٥) وعن رسول الله ﷺ قال : ((يقول الله تعالى : ما لعبدى عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب الا الجنة)) (رواه البخارى) •

وقال عليه الصلاة والسلام : ((من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى)) وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة فمنهم الصاكة وجهها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها فيقول ملك الموت عليه السلام : مم هذا الجزع ومم هذا الفزع ؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمرا ولا ذهبت لأحد منكم برزق ولا ظلمت لأحد منكم شيئا فان كانت شكايتكم وسخطكم على فانى والله مأمور وان كان على ميتكم فانه مقهور وان كان على ربكم فانتم به كافرون ، وان لى بكم

---

(١) البقرة : ١٥٥ • (٢) البقرة : ١٥٦ •

(٣) وكذا وشاهده عندهما من حديث أبى سعيد الخدرى كما أفاده فى الترغيب •

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد وثقه ابن حبان وضعفه غيره ا هـ مجمع الزوائد •

(٥) رواه الترمذى وابن حبان وقال الترمذى : حسن غريب ا هـ ترغيب •

عوده بعد عودة حتى لا أبقى منكم احدا · قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم » ·

(فصل فى التعزية) عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال : « من عزى مصابا فله مثل أجره » (رواه الترمذى)(١) ·

وعن أبى بردة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها : « من عزى ثكلى كسى بردا من الجنة » (رواه الترمذى)(٢) ·

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنهـا : « ما أخرجك يا فاطمة من بيتك » ؟ قالت : اتيت اهل هذا البيت فترحمت اليهم ميتهم وعزيتهم به(٣) ·

وعن عمرو بن حزم عن النبى ﷺ : « ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة »(٤) ·

واعلم رحمك الله ·· ان التعزية هى التصبير وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة لانها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى ايضا داخلة فى قوله تعالى : ((**وتعاونوا على البر والتقوى**))(٥) وهذا من أحسن ما يستدل به فى التعزية ·

واعلم أن التعزية وهى الأمر بالصبر مستحبة قبل الدفن وبعـده قال أصحاب الشافعى : من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن الى ثلاثة أيام قال أصحابنا : وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام لأن التعزية تسكن قلب المصاب والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجـدد له الحزن ، هكذا قال الجماهير من اصحابنا ، وقال أبو العباس ـ من أصحابنا ـ : لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل نبقى أبدا وان طال الزمان ، قال النووى رحمه الله : والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا فى صورتين استثناهما أصحابنا وهما اذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام ، والتعزية بعد الدفن افضل منها قبله لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر ، هذا اذا لم ير منهم جزعا ، فان رآه قدم التعزية ليسكنهم ، والله أعلم ·

ويكره الجلوس للتعزية ، يعنى أن يجتمع أهل الميت فى بيت ليقصدهم من

(١ ، ٢) وقال فى كليهما : حديث غريب وزاد فى الأول أنه روى موقوفا أفاده فى الترغيب ·

(٣) رواه أبو داوود والنسائى بسند فيه ربيعة بن سيف تابعى من أهل مصر فيه كلام لا يقدح فى حسن الاسناد ا هـ ترغيب ·

(٤) رواه ابن ماجه وسكت عليه المنذرى فى ترغيبه ·

(٥) المائدة . ٢ ·

أراد التعزية ، ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزى به ما روينا فى الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : أرسلت احدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه وتخبره أن ابنا لها فى الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول : « ارجع اليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب » وذكر تمام الحديث • قال النووى رحمه الله : فهذا الحديث من أعظم قواعد الاسلام المشتملة على مهمات كثيرة من اصول الدين وفروعه والآداب والصبر على النوازل كلها والهموم والأسقام وغير ذلك من الأغراض •

ومعنى قوله ﷺ : « ان لله ما أخذ » : أن العالم كله ملك لله لم يأخذ ما هو لكم بل هو آخذ ما هو له عندكم فى معنى العارية ، وقوله : « وله ما أعطى » ما وهبه لكم ليس خارجا عن ملكه بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء « وكل شىء عنده بأجل مسمى » فلا تجزعوا فان من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيره أو تقديمه عنه فاذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم ، والله أعلم •

وعن معاوية بن اياس عن أبيه رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه فقد رجلا من أصحابه فسأل عنه فقالوا : يا رسول الله •• ابنه الذى رأيته هلك فلقيه النبى ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك فعزاه عليه ثم قال : « يا فلان •• أيما كان أحب اليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته قد سبقك اليه يفتحه لك » ؟ فقال : يا نبى الله •• يسبقنى الى الجنة يفتحها لى احب الى قال : « فذلك لك » فقيل : يا رسول الله •• هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال : « بل للمسلمين عامة »(١)
وعن أبى موسى عن النبى ﷺ أنه خرج الى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكى فقال لها : « يا أمة الله •• اتقى الله واصبرى »(٢) قالت : يا عبد الله •• انى أنا الحرى الثكلى قال : « يا أمة الله •• اتقى الله واصبرى » قالت : يا عبد الله •• لو كنت مصابا عذرتنى قال : « يا أمة الله •• اتقى الله واصبرى » قالت : يا عبد الله •• قد أسمعتنى فانصرف ، قال : فانصرف

---

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والنسائى وابن حبان فى صحيحه باختصار اه ترغيب •

(٢) رواه ابو يعلى فى مسنده من حديث أبى هريرة وأبى موسى وفى سنده بكر بن الأسود الناجى وهو ضعيف قاله الهيثمى فى مجمع الزوائد ، قلت : واصله فى الصحيحين من حديث أنس مختصرا وصاحبه أبو هريرة لا أبو موسى كما فى الهيثمى وفتح البارى فى شرح حديث أنس : « انما الصبر عند الصدمة الأولى » فى كتاب الجنائز من صحيح البخارى •

عنها رسول الله ﷺ وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسالها : ما ... لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال وبما ردت عليه فقال لها: أتعرفينه ؟ قالت لا والله ، قال : ويحك .. ذلك رسول الله ﷺ فبادرت تسعى حتى أدركته فقالت . يا رسول الله .. أصبر قال : « انما الصبر عند الصدمة الأولى » أي انما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة وأما فيما بعد فيقع السلو طبعا وفي صحيح مسلم : مات ابن لأبي طلحة من ام سليم فقالت لأهله : لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا احدثه ، مجاء ابو طلحة فقربت اليه عشاء فأكل وشرب ، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة .. أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم الهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا .. قالت أم سليم : فاحتسب ابنك ، قال : فغضب ابو طلحة فقال : تركتني حتى اذا تلطخت اخبرتني بابني ، والله لا تغلبيني على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ : « بارك الله لكما في ليلتكما » فذكر الحديث . وفي الحديث : « ما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر »(١) وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس : انك ان صبرت ايمانا واحتسابا والا سلوت كما تسلو البهائم ، وكتب حكيم الى رجل قد أصيب بمصيبة : انك قد ذهب منك ما رزئت به فلا يذهبن عنك ما عوضت عنه وهو الأجر . وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، قلت : قد علم أن مر الزمان يسلي المصاب فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى ، وبلغ الشافعي رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعا شديدا فبعث اليه الشافعي رحمه الله يقول : يا أخي .. عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك واعلم ان أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر ؟ فتناول حظك يا أخي اذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ، الهمك الله عند المصائب صبرا وأحرز لنا ولك بالصبر أجرا ، وكتب اليه يقول :

اني معزيك لا أني على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزي ولو عاشا الى حين

وكتب رجل الى بعض اخوانه يعزيه بابنه : أما بعد .. فان الولد على والده ما عاش حزن وفتنة فاذا قدمه فصلاة ورحمة فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنته ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته .

وقال موسى بن المهدي لابراهيم بن سلمة وعزاه بابنه : أسرك وهو بلية وفتنة وأحزنك وهو صلاة ورحمة ؟ .

---

(١) رواه البخاري ضمن حديث طويل اهـ ترغيب .

وعزى رجل رجلا فقال : ان من كان لك فى الآخرة أجرا خير ممن كان فى الدنيا سرورا وفرحا •

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه دفن ابنا له ثم ضحك عند القبر فقيل له : اتضحك عند القبر ؟ فقال : أردت أن أرغم الشيطان ، وعن ابن جريج رحمه الله قال : من لم يتعرض مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم ، وعن حميد الأعرج قال : رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول فى ابنه ونظر اليه . انى أعلم خير خلة فيك . قيل : وما هى ؟ قال : يموت فأحتسبه •

وعن الحسن البصرى رحمه الله أن رجلا حزن على ولد له وشكا ذلك اليه فقال الحسن : أكان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم •• كانت غيبته اكثر من حضوره ، قال : فاتركه غائبا فانه لم يغب عنك غيبة الا لك فيها أعظم من هذه فقال : يا أبا سعيد •• هونت على وجدى على ابنى •

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه فى وجعه فقال : يا بنى •• كيف تجدك ؟ قال : اجدنى فى الحق قال : يا بنى •• لأن تكون فى ميزانى أحب الى من أن أكون فى ميزانك، قال : يا ابت لأن يكون ما تحب أحب الى من ان يكون ما أحب •

ومات ابن للامام الشافعى فأنشد يقول :

وما الدهر الا هكذا فاصطبر له   رزية مال أو فراق حبيب

ووقعت فى رجل عروة الآكلة فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد وهو شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة الا أنه قال : ((**لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**))(١) وتمثل بهذه الأبيات :

لعمرى ما أهويت كفى لريبة   ولا نقلتنى نحو فاحشة رجلى

ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها   ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى

واعلم انى لم تصبنى مصيبة   من الدهر الا قد أصابت فتى قبلى

وقال رضى الله عنه : اللهم ان كنت ابتليت فقد عافيت وان كنت أخذت فقد ابقيت ، اخذت عضوا وابقيت اعضاء وأخذت ابنا وأبقيت أبناء •

وقدم على الوليد فى تلك الليله رجل أعمى من بنى عبس فسأله عن عينيه فقال : بت ليلة فى بطن واد ولم اعلم فى الأرض عبسيا يزيد ماله على مالى فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من مال وأهل وولد غير بعير وصبى وكان البعير صعبا فند (أى شرد) فاتبعته فما جاوزت الصبى الا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت فاذا رأس الصبى فى بطنه فقتله ثم اتبعت البعير لآخذه فنفحنى برجله فأصاب وجهى فحطمه وأذهب عينى فأصبحت لا أهل لى ولا مال ولا ولد ولا بعير ، فقال الوليد : انطلقوا به الى عروه ليعلم أن فى الأرض من هو أشد منه بلاء •

---

(١) الكهف : ٦٢ •

وذكر أن عثمان رضي الله عنه لما ضرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته : لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ، اللهم اني استعديك عليهم وأستعينك على جميع اموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني ٠

وقال المدائني : رايت بالبادية امراة لم أر جلدا أنضر منها ولا أحسن وجها منها فقلت : تالله ان فعل هذا بك الاعتدال والسرور فقالت : كلا والله انى لبدع احزان وخلف هموم وسأخبرك : كان لى زوج وكان لى منه ابنان فذبح أبوهما شاة فى يوم أضحى والصبيان يلعبان فقال الأكبر للأصغر : أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة ؟ فقال : نعم ٠٠ فذبحه ٠ فلما نظر الى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب فخرج ابوه فى طلبه فتاه ابوه فمات عطشا فأفردنى الدهر ٠ فقلت لها : وكيف أنت والصبر ؟ فقالت : لو دام لي لدمت له ولكنه كان جرحا فاندمل ٠

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان له فرطان(١) من أمتى دخل الجنة »(٢) يعنى ولدين ٠ قالت عائشة رضى الله عنها : بأبى أنت وامى فمن كان له فرط ؟ قال ﷺ : « ومن كان له فرط يا موفقة » قلت : فمن لم يكن له فرط من امتك ؟ قال : أنا فرط أمتى : لم يصابوا بمثلى ٠

وعن أبى عبيدة رضى الله عنه عن أبيه(٣) قال : قال رسول الله ﷺ : « من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا من النار » ٠ فقال أبو الدرداء : قدمت اثنين قال : « واثنين » قال أبى بن كعب – سيد القراء – : قدمت واحدا قال ﷺ : « وواحدا ولكن ذلك فى أول صدمة » ٠ وعن وكيع قال . كان لابراهيم الحربى ابن وكان له أحد عشرة سنة قد حفظ القرآن ونفقه من الفقه والحديث شيئا كثيرا فمات فجئت أعزيه فقال لى : كنت اشتهى موت ابنى هذا قلت : يا أبا اسحاق ٠ أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث قال : نعم ٠٠ رايت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكان صبيانا فى ايديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم وكان اليوم يوم حار شديد حره قال : فقلت لأحدهم : اسقنى من هذا الماء قال : فنظر الى وقال لى : ليس أنت أبي فقلت : ومن أنتم ؟ قال : نحن الصبيان الذين متنا فى الاسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء قال ٠ فلهذا تمنيت موته ٠

---

(١) الفرط بفتح الفاء والراء : الذى مات قبل البلوغ ذكرا كان أو أنثى وجمعه أفراط ١ هـ منذرى ٠

٠ (٢) رواه الترمذى وقال : حسن غريب ١ هـ ترغيب ٠

(٣) أبو عبد الله بن مسعود والحديث اخرجه ابن ماجه واشار المنذرى فى الترغيب الى ضعفه وليس فى آخره قوله : « ولكن ذلك فى أول صدمة » ٠

وروى مسلم عن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة رضى الله عنه : حدثنا بحديث تطيب به انفسنا عن موتانا قال : نعم ٠٠ صغارهم دعاميص(١) الجنة يتلقى أحدهم اباه - أو قال : ابويه - فيأخذ بثوبه - أو قال . بيده - فلا ينتهى حتى يدخله الجنة ٠

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال : كنت فى أول أمرى مكبا على اللهو وشرب الخمر فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لى بنتا فاحببتها حبا شديدا الى أن دبت ومشت فكنت اذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتنى عليه فاهرقته بين يدى فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدنى حزنها قال : فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وانا ثمل من الخمر فرأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبرى واذا بتنين قد تبعنى يريد أكلى - والتنين الحية العظيمة - قال : فهربت منه فتبعنى وصار كلما أسرعت يهرع خلفى وأنا خائف منه فمررت فى طريقى على شيخ نقى الثياب ضعيف فقلت : يا شيخ ٠٠ بالله أجرنى من هذا التنين الذى يريد أكلى واهلاكى فقال : يا ولدى ٠٠ انا شيخ كبير وهذا اقوى منى ولا طاقة لى به ولكن مر واسرع فلعل الله أن ينجيك منه ، قال : فأسرعت فى الهرب وهو ورائى فاشرفت على طبقات النار وهى تفور فكدت أن أهوى فيها واذا قائل يقول : لست من أهلى فرجعت هاربا والتنين فى اثرى فاشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور واذا بقائل يقول : أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه ففتحت الأبواب ورفعت الستور وأشرفت على منها أطفال بوجوه كالأقمار واذا ابنتى معهم فلما رأتنى نزلت الى كفة من نور وضربت بيدها اليمنى الى التنين فولى هاربا وجلست فى حجرى وقالت : يا أبت ٠٠ ((**الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق**))(٢) ٠ فقلت : يا بنية ٠٠ وانتم تعرفون القرآن ؟ قالت : نحن أعرف به منكم ٠ قلت : يا بنية ٠٠ ما تصنعون ههنا ؟ قالت : نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا ههنا الى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا ٠ فقلت : يا بنية ٠٠ ما هذا التنين الذى يطاردنى ويريد اهلاكى ؟ قالت : يا أبت ٠٠ ذلك عملك السوء قويته فاراد اهلاكك ، فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذى رأيته ؟ قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب

---

(١) دعاميص بفتح الدال جمع دعموص بضمها : دويبة صغيرة يضرب لونها الى السواد تكون فى الغدرات اذا نشفت شبه بها الطفل فى الجنة لصغر سنه وسرعة حركته وقيل : اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم لا يتوقف على اذن منهم ولا يخاف أين ذهب من ديارهم شبه به الطفل لكثرة ذهابه فى الجنة حيث شاء لا يمنع من بيت فيها ولا موضع أ هـ ترغيب ٠

(٢) الحديد : ١٦ ٠

الى الله ولا تكن من الهالكين ، قال : ثم ارتفعت عنى واستيقظت فتبت الى الله من ساعتى .

فانظر رحمك الله الى بركة الذرية اذا ماتوا صغارا ذكورا كانوا أو اناثا وانما يحصل للوالدين النفع بهما فى الآخرة اذا صبروا واحتسبوا وقالوا : الحمد لله انا لله وانا اليه راجعون فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله : « **الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله** »(١) اى نحن وأموالنا يصنع بنا ما يشاء « **وانا اليه راجعون** »(١) اقرار بالهلاك والفناء .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب عبدا مصيبة الا باحدى خلتين : اما بذنب لم يكن الله ليغفره له الا بتلك المصيبة أو بدرجة لم يكن الله يبلغه اياها الا بتلك المصيبة » .

وقال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم « **انا لله وانا اليه راجعون** »(١) ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام اذ يقول : « **يا أسفى على يوسف** »(٢) .

وعن أم سلمة رضى الله عنهما قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال عند المصيبة : « **انا لله وانا اليه راجعون** » ، اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره الله واخلف له خيرا منها » قالت : فلما توفى أبو سلمة قلت : من خير من ابى سلمة ؟ ثم قلتها فأخلفنى الله رسول الله ﷺ (رواه مسلم) .

وعن الشعبى أن شريحا قال : انى لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات ، أحمده اذ لم يكن أعظم منها ، وأحمده اذ رزقنى الصبر عليها ، وأحمده اذ وفقنى للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمده اذ لم يجعلها فى دينى ، وقوله : « **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** »(٣) الصلوات من الله : الرحمة والمغفرة « **وأولئك هم المهتدون** »(٣) يريد الذين اهتدوا للترجيع وقيل : الى الجنة والثواب .

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : نعم العدلان ونعم العلاوة : « **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** » نعم العدلان « **وأولئك هم المهتدون** » نعم العلاوة .

وأما اذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور أو لطم خدا أو شق جيبا أو نشر شعرا أو حلقه أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلا كان أو امرأة .

وقد روى أيضا ان الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر ، وقد

---

(١) البقرة : ١٥٦ .
(٢) يوسف : ٨٤ .
(٣) البقرة : ١٥٧ .

روى ان من اصابته مصيبة فخرق عليها ثوبا أو لطم خدا أو شق جيبا أو نتف شعرا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يحارب ربه • وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - يعنى ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه يعنى من الندب والنياحة - وقد تقدم أن الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه اذا قالت النائحة : واعضداه واناصراه واكاسياه ، جبذ الميت وقيل له : أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ فالنواح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر وفيه مخالفة التسليم للقضاء والاذعان لأمر الله تعالى •

(حكاية) قال صالح المرى : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت واذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقا حلقا ونزلت عليهم اطباق مغطية واذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم قال : فتقدمت اليه وقلت : يا شاب •• ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم ؟ فقال : يا صالح •• بالله عليك بلغ ما آمرك به وأد الأمانة وارحم غربتى لعل الله عز وجل ان يجعل لى على يديك مخرجا : انى لما مت ولى والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن على وينحن كل يوم فأنا معذب بذلك ، النار عن يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى لسوء مقال أمى فلا جزاها الله عنى خيرا ، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ثم قال : يا صالح •• بالله عليك اذهب اليها فهى فى المكان الفلانى - وعلم لى المكان - وقل لها : لم تعذبى ولدك يا أماه ربيتينى ومن الأسواء وقيتينى فلما مت فى العذاب رميتينى •

يا أماه •• لو رأيتنى : الأغلال فى عنقى والقيد فى قدمى وملائكة العذاب تضربنى وتنهرنى فلو رأيت سوء حالى لرحمتينى وان لم تتركى ما أنت عليه من الندب والنياحة الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ويبرز الخلائق لفصل القضاء • قال صالح : فاستيقظت فزعا ومكثت فى مكانى قلقا الى الفجر فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لى هم الا الدار التى لأم الصبى الشاب فاستدللت عليها فأتيتها فاذا بالباب مسود ، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار فطرقت الباب فخرجت الى عجوز فقالت : ما تريد يا هذا ؟ فقلت : اريد أم الشاب الذى مات فقالت : وما تصنع بها ؟ هى مشغولة بحزنها فقلت : ارسليها الى ، معى رسالة من ولدها ، فدخلت فأخبرتها فخرجت أم عليها ثياب سود ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم فقالت لى : من أنت ؟ قلت : أنا صالح المرى • جرى لى البارحة فى المقابر مع ولدك كذا وكذا رأيته فى العذاب وهو يقول : يا أمى ربيتينى ومن الأسواء وقيتينى ، فلما مت فى العذاب رميتينى ، وان لم تتركى ما أنت عليه الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ، فلما سمعت ذلك غشى عليها وسقطت الى الأرض فلما افاقت بكت بكاء شديدا وقالت : يا ولدى •• يعز على ولو علمت

ذلك بحالك ما فعلت وأنا تائبة الى الله تعالى من ذلك ثم دخلت وصرفت الروائح ولبست غير تلك الثياب وأخرجت الى كيسا فيه دراهم كثيرة وقالت : يا صالح ٠٠ تصدق بهذه عن ولدى مال صالح : مودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم فلما كان ليلة الجمعة الأخرى اتيت المقابر على عادتى فنمت فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم وانتهم الأطباق واذا ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه ايضا طبق فأخذه فلما رآنى جاء الى فقال . يا صالح ٠٠ جزاك الله عنى خيرا خفف الله عنى العذاب وذلك بترك امى ما كانت تعمل وجاءنى ما تصدقت به عنى قال صالح : فقلت : وما هذه الأطباق ؟ فقال : هذه هدايا الأحيـاء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعه يقال له هذه هدية فلان اليك فارجع الى أمى وأقرئها منى السلام وقل لها جزاها الله عنى خيرا قد وصل الى ما تصدقت به عنى وأنت عندى عن قريب فاستعدى ٠ مال صالح : ثم استيقظت واتيت بعد ايام الى دار أم الشـاب واذا بنعش موضوع على الباب فقلت : لمن هذا فقالوا : لأم الشاب فحضرت الصلاة عليها ودفنت الى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت ٠

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ويعصمنا من النار انه جواد كريم رؤوف رحيم ٠

* * *

الكبيرة الخمسون : البغى

قال الله تعالى : ((**انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم**))(١) ٠

وقال النبى ﷺ : ((ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغىَ أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد)) (رواه مسلم)(٢) ؛

وفى الأثر : لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغى منهما دكا ٠

وقال ﷺ : ((ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم))(٣) ٠

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله : ((**ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم**))(٤) الى قوله :

---

(١) الشورى : ٤٢ ٠

(٢) رواه أبو داوود وابن ماجه من حديث عياض بن حمار رضى الله عنه ا هـ ترغيب ٠

(٣) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح والحاكم وقال : صحيح الاسناد من حديث ابى بكر ا هـ ترغيب ٠

(٤) القصص : ٧٦ ٠

« فخسفنا به وبداره الأرض »(١) .. الآية قال ابن الجوزى رحمه الله : فى بغى قارون أقوال :

(أحدها) أنه جعل للبغية جعلا على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا بغيه ، قاله ابن عباس .

(والثانى) انه بغى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك .

(والثالث) بالكبر ، قاله قتادة .

(والرابع) أنه أطال ثيابه شبرا ، قاله عطاء الخراسانى .

(والخامس) أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بنى اسرائيل فظلمهم ، حكاه الماوردى .

قوله : « فخسفنا به وبداره الأرض »(١) .. الآية . لما أمر قارون البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله اليه : انى قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها ، فقال موسى : يا أرض .. خذيه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم فقال : يا أرض .. خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه فما زال يقول : يا أرض.. خذيه حتى غيبته فأوحى الله اليه . يا موسى .. وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته ، قال ابن عباس : فخسفت به الأرض الى الأرض السفلى ، قال سمرة بن جندب : انه كل يوم يخسف به قامة . قال مقاتل : فلما هلك قارون قال بنو اسرائيل : انما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام .

« فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله »(١) أى يمنعونه من الله « وما كان من المنتصرين »(١) أى من المتنعين مما انزل الله به ، والله أعلم .

اللهم انك اذا قبلت سلمت واذا أعرضت أسلمت واذا وفقت ألهمت واذا خذلت أتهمت .

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين ، آمين .

* * *

الكبيرة الحادية والخمسون

الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

لأن الله تعالى قد أمر بالاحسان اليهم بقوله تعالى : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين**

---

(١) القصص : ٨١ .

والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ،ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ››(١) ٠

قال الواحدى : فى قوله تعالى : ‹‹ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** ›› : اخبرنا أحمد بن محمد بن ابراسيم المهرجانى باسناده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى ﷺ على حمار فقال : يا معاذ ٠٠ قلت : لبيك وسعديك يا رسول الله قال : ‹‹ هل تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ›› ؟ قلت : الله ورسوله اعلم قال : ‹‹ فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ››(٢) ٠

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أتى النبى ﷺ أعرابى فقال : يا نبى الله ٠٠ أوصنى قال : ‹‹ لا تشرك بالله شيئا وان قطعت وحرقت ولا تدع الصلاة لوقتها فانها ذمة الله ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر ››(٣) ٠

قوله : ‹‹ **وبالوالدين احسانا** ›› يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ولا يغلظ لهما الجواب ولا يحد النظر اليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدى السيد تذللا لهما ٠ وقوله : ‹‹ **وبذى القربى** ›› قال : يصلهم ويتعطف عليهم ‹‹ **واليتامى** ›› يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم ‹‹ **والمساكين** ›› ببذل يسير ورد جميل ‹‹ **والجار ذى القربى** ›› يعنى الذى بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام ‹‹ **والجار الجنب** ›› هو الذى ليس بينك وبينه قرابة يقال : رجل جنب اذا كان غريبا متباعدا اهله وقوم اجانب والجنابة البعد ، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ

---

(١) النساء : ٣٦ ٠

(٢) هذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة والعجب للمؤلف كيف أبعد النجعة فنقله عن الواحدى عن الضعاف والمناكير وهو على طرف التمام فى دواوين الاسلام الشهيرة ٠

(٣) ذكر المنذرى فى ترغيبه أحاديث نحو هذا الحديث أقربها منه حديث معاذ عند أحمد والطبرانى قال : واسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع بين عبد الرحمن بن جبير بن نفير ومعاذ فانه لم يسمع منه ومنها حديث عند الطبرانى فى الأوسط ولا بأس باسناده فى المتابعات وحديث أميمة مولاته حتى عند الطبرانى بسند فيه يزيد بنَ سنان الرهاوى وحديث ابى الدرداء عند ابن ماجه والبيهقى بسند فيه شهر بن حوشب ا هـ ترغيب ٠

قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (١) ·
وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول . يا رب أوسعت على أخي هذا وقترت على أمسى طاويا ويمسى هذا شبعان سله لم أغلق بابه على وحرمني ما قد وسعت به عليه » ·

« **والصاحب بالجنب** » قال ابن عباس ومجاهد : هو الرفيق فى السفر له حق الجوار وحق الصحبة « **وابن السبيل** » هو الضيف يجب اقراؤه الى أن يبلغ حيث يريد · وقال ابن عباس : هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك « **وما ملكت أيمانكم** » يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطىء ، وقوله : « **ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا** » قال ابن عباس : يريد بالمختال : العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الله · والفخور هو الذى يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشى فى حلة مختالا فخورا اذ ابتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » وعن أسامة قال : سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » (هذا ما ذكره الواحدى)(٢) ·

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا فى آخر مرضه يوصي بالصلاة وبالاحسان الى المملوك ويقول : « الله الله فى الصلاة وما ملكت أيمانكم »(٣) ·
وفى الحديث : « حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم » وقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة سيء الملكة »(٤) ·

قال أبو مسعود رضى الله عنه : كنت أضرب مملوكا لى بالسوط فسمعت صوتا من ورائى : « اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » · قال : قلت : يا رسول الله لا اضرب مملوكا لى بعده أبدا · وفى رواية : سقط السوط من يدى من هيبة رسول الله ﷺ وفى رواية : فقلت : هو حر

---

(١) رواه أبو داوود وابن ماجه من حديث عائشة ورواه البخارى ومسلم والترمذى ، من حديث ابن عمر ورواه احمد باسناد جيد ورواته رواة الصحيح من حديث رجل من الأنصار ا هـ ترغيب ·

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى ·

(٣) رواه أبو داوود وابن ماجه من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنـــه ·

(٤) رواه أحمد وأبو داوود عن بعض بنى رافع بن مكيث عنه ولم يسمعه منه ورواه أبو داوود عن الحارث بن رافع بن مكيث عن النبى مرسلا ا هـ ترغيب ·

لوجه الله فقال : « أما انك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة » (رواه مسلم) وروى مسلم أيضا من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من ضرب غلاما له حدا لم يأته أو لطمه فكفارته أن يعتقه » ومن حديث حكيم بن حزام قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا » ٠

وفى الحديث : « من ضرب بسوط ظلما اقتص منه يوم القيامة »(١) ٠
وقيل لرسول الله ﷺ : كم نعفو عن الخادم ؟ قال : « فى اليوم سبعين مرة »(٢) ٠

وكان فى يد النبى ﷺ يوما سواك فدعا خادما له فابطأ عليه فقال : « لولا القصاص لضربتك بهذا السواك »(٣) وكان لأبى هريرة رضى الله عنه جارية زنجية فرمع يوما عليها السوط فقال : لولا القصاص لأغشيتكيه ولكن سأبيعك لمن يوفينى ثمنك ، اذهبى فأنت حرة لوجه الله ٠

وجاءت امرأة الى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ٠٠ انى قلت لأمتى : يا زانية قال : « وهل رأيت عليها ذلك » ؟ قالت : لا ٠٠ قال : « أما انها ستستقيد منك يوم القيامة »(٤) فرجعت الى جاريتها فأعطتها سوطا وقالت : اجلدينى فأبت الجارية فأعتقتها ثم رجعت الى النبى ﷺ فأخبرته بعتقها فقال : « عسى » أى عسى أن يكفر عتقك لها ما قذفتها به ٠

و فى الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « من قذف مملوكه وهو برىء مما قاله جلد يوم القيامة حدا الا أن يكون كما قال »(٥) وفى الحديث : « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق »(٦) وكان ﷺ يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول : « الله الله فى الصلاة وما ملكت أيمانكم أطعموهم

---

(١) رواه البزار والطبرانى باسناد حسن اهـ ترغيب ٠
(٢) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حسن غريب فى بعض النسخ والترمذى حسن صحيح من حديث عبد الله بن عمر اهـ ترغيب ٠
(٣) رواه أحمد بأسانيد أحدها جيد والطبرانى كلاهما من حديث أم سلمة٠
(٤) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد وتعقبه المنذرى بأن فيه عبد الملك بن هارون متروك أن عبد الله بن عمرو بن العاص زار عمة له فقذفت جاريتها ٠٠ الخ بنحو مما هنا٠
(٥) من حديث أبى هريرة وكذا روايات وقال : حديث حسن صحيح اهـ ترغيب ٠
(٦) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ـ وزاد ابن حبان فى صحيحه وقال : « فان كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا عباد الله فانهم خلقا أمثالكم » اهـ ترغيب ٠

مما تأكلون واكسوهم مما تكتسـون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله فانه ملككم اياهم ولو شـاء لملكهم اياكم »(١) .

ودخل جماعة على سلمان الفارسى رضى الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله فقالوا له : ألا تترك الجارية تعجن ؟ فقال رضى الله عنه : انا أرسلناها فى عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملا آخر . وقال بعض السلف : لا تضرب المملوك فى كل ذنب ولكن احفظ له ذلك فاذا عصى الله فاضربه على معصية الله وذكره بالذنوب التى بينك وبينه .

(**فصل**) ومن أعظم الاساءة الى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده أو بينه وبين أخيه لما جاء عن النبى ﷺ أنه قال : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة »(٢) وقال على كرم الله وجهه : وهب لى رسول الله ﷺ غلامين أخوين فبعت أحدهما فقال رسول الله ﷺ : « رده » وفى الحديث : « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف » ، ويقول رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء اثما أن يحبس عمن يملك قوته »(٣) ومن ذلك يضرب الدابة ضربا وجيعا أو يحبسها ولا يقـوم بكفايتها أو يحملها فوق طاقتها فقد روى فى تفسير قوله تعـالى : « **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم** »(٤) .. الآية . قيـل : يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضى بينهم حتى انه ليؤخذ للشـاة الجلحاء من الشاة القرناء وحتى يقاد للذرة من الذرة ثم يقال لهم : كونوا ترابا فهنالك يقول الكافر : يا ليتنى كنت ترابا . وهذا من الدليـل على القضاء بين البهائم وبينها وبين بنى آدم حتى ان الانسـان لو ضرب دابة بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فانها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عذبت امـرأة فى هرة

---

(١) روى الطبرانى نحوه من حديث زيد بن حارثة وفى سنده عاصم ابن عبد الله مشاه بعضهم وصحح له الترمذى والحاكم ولا يضر فى المتابعات قاله المنـذرى فى الترغيب وله شـاهد من حديث على عند أبى داوود ، وعن أم سلمة عند ابن ماجه بسند ضعيف ومن حديث كعب بن مالك عند الطبرانى من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد وقد وثقاه ولا بأس بهما فى المتابعات .

(٢) رواه الترمذى من حديث أبى أيوب وقال : حديث حسن غريب والدارقطنى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٣) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو اهـ ترغيب .

(٤) الأنعام : ٣٨ .

ربطتها حتى ماتت جوعا لا هي أطعمتها وسقتها اذ حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض » أي من حشراتها .

وفى الصحيح انه ﷺ رأى امـرأة معلقة فى النار والهرة تخدشها فى وجهها وصدرها وهى تعذبها كما عذبتها فى الدنيا بالحبس والجوع وهذا عام فى سائر الحيوان ، كذلك اذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت فى الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يسوق بقـرة اذ ركبها فضربها فقالت : انا لم نخلق لذلك انما خلقنا للحرث »(١) فهذه بقره أنطقها الله فى الدنيا تدافع عن نفسـها بأنها لا تؤذى ولا تستعمل فى غير ما خلقت له فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه .

قال أبو سليمان الدارانى : ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع رأسه ونظر الى وقال : يا أبا سليمان .. هو القصاص يوم القيامة فان شئت فأقلل وان شئت فأكثر . قال : فقلت : لا اضرب شيئا بعده ابدا .

ومر ابن عمر بصبيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ان رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا(٢) .

والغرض كالهدف وما يرمى اليه . ونهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم يعنى أن تحبس للقتل وان كان مما اذن الشرع بقتله كالحية والعقـرب والفأرة والكلب العقـور قتله بأول دفعة ولا يعذبه لقوله عليه الصلاة والسلام : « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »(٣) .

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « انى كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا بالنار وان النار لا يعذب بها الا الله فان وجدتموهما فاقتلوهما »(٤) .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ا هـ ترغيب .

(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر ا هـ ترغيب .

(٣) رواه مسلم والترمذى فى جامعه من حديث شداد بن أوس وقال : حديث حسن صحيح كذا فى الأطراف للمزى وقال فى المنتقى : رواه أحمد ومسلم والنسائى .

(٤) يعنى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة ويفيد كلام العسقلانى فى الفتح انه فى الترمذى وأبو داوود ، والرجلان المكنى عنهما بفلان وفلان هما هبار بن الأسود ورفيقه نخسا بعير زينب بنت رسول الله ﷺ وقت هجرتها من مكة بعد غزوة بدر فسقطت عن راحلتها ومرضت والقصة مشهورة فى ابن اسحاق أفاده العسقلانى فى شرح الحديث من كتاب الجهاد من الفتح .

قال ابن مسعود : كنا مع رسول الله ﷺ فى سمرة فانطلق لحاجته فرأينا حمره(١) معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف فجاء النبى ﷺ وقال : « من فجع هذه بولدها ؟ ردوا عليها ولديها » ، ورأى رسول الله ﷺ قرية نمل ــ أى مكان نمل ــ قد أحرقناها فقال : « من حرق هذه » ؟ قلنا : نحن : فقال عليه الصلاة والسلام : « انه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار الا ربها » وفيه من النهى عن القتل بالنار حتى فى القملة والبرغوث وغيرهما .

(فصل) ويكره قتل الحيوان عبثا لما روى عن النبى ﷺ انه قال : « من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة وقال : يا رب سل هذا لم قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة »(٢) ؟ .

ويكره صيد الطير أيام فراخه لما روى ذلك فى الأثر ويكره ذبح الحيوان بين يدى أمه لما روى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله قال : ذبح رجلا عجلا بين يدى امه فايبس الله يده .

(فصل) فى فضل عتق المملوك . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضوا من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه » (أخرجه البخارى) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلما كان فكاكا له من النار يجزى كل عضو منه عضوا منه وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضوين منهما عضوا منه وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة الا كانت فكاكها من النار يجزى كل عضو منها عضوا منها » (رواه الترمذى وصححه) .

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين .

* * *

الكبيرة الثانية والخمسون : أذى الجار

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن » قيل : من يا رسول الله ؟ قال . « من لا يأمن جاره بوائقه »(٣) أى غوائله وشروره وفى رواية : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه »(٤) .

---

(١) رواه أبو داوود فى سننه من حديث عبد الله أى ابن مسعود ، والحمرة طائر صغير كالعصفور .

(٢) رواه النسائى وابن حبان فى صحيحة من حديث الشريد رضى الله عنه .

(٣) من حديث أبى هريرة وكذا أحمد وزاد قالوا : يا رسول الله ... وما بوائقه ؟ قال : « شره » أ هـ ترغيب .

(٤) هى لمسلم من رواية أبى هريرة .

وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك وان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك وأن تزني بحليلة جارك »(١) وفي الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »(٢) والجيران ثلاثة : جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة وجار مسلم له حق الجوار وحق الاسلام ، والجار الكافر له حق الجوار .

وكان ابن عمر(٣) رضي الله عنهما له جار يهودي فكان اذا ذبح الشاة يقول : احملوا الى جارنا اليهودي منها . وروى أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة ويقول : يا رب سل هذا لم منعني معروفه وأغلق عني بابه(٤) .

وينبغي للجار أن يحمل أذى الجار فهو من جملة الاحسان اليه . جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله .. دلني على عمل اذا عملت به دخلت الجنة فقال : « كن محسناً » فقال : يا رسول الله .. كيف أعلم أني محسن ؟ قال : « سل جيرانك فان قالوا : انك محسن فأنت محسن وان قالوا : انك مسيء فأنت مسيء » (ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة) وجاء عن النبي ﷺ انه قال : « من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن ، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه »(٥) وقيل : لأن يزني

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه والحليلة بفتح الحاء المهملة هي الزوجة اهـ ترغيب .

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وبقيته في اكرام الضيف والسكوت الا عن خير اهـ منه .

(٣) رواه ابو داوود والترمذي وقال : حسن صحيح وقال في آخره : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » قال المنذري : وقد روى هذا المتن — يعني المرفوع — من طرق كثيرة وعن جماعة كثيرة من الصحابة اهـ ترغيب .

(٤) رواه المنذري في الترغيب من حديث ابن عمرو واشار الى ضعفه .

(٥) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص وبقيته : « اتدري ما حق الجار ؟ اذا استعانك أعنته واذا استقرضك اقرضته واذا افتقر عدت عليه واذا مرض عدته واذا أصابه خير هنأته واذا أصابته مصيبة عزيته واذا مات اتبعت جنازته ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه بقتار ريح قدرك الا أن تغرف له منها وان اشتريت فاكهة فأهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » قال المنذري : ولعل قوله : =

الرجل بعشر نسوة ايسر من ان يزني بامرأة جاره ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره ، وفي سنن أبي داوود عن رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال له : « اذهب فاصبر » فأتاه مرتين أو ثلاثا ثم قال : « اذهب فاطرح متاعك على الطريق » ففعل ، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنون جاره ويقولون : فعل الله به وفعل ويدعون عليه فجاء اليه جاره وقال : يا أخي .. ارجع الى منزلك فانك لن ترى ما تكره أبدا(١) .

وأن يحتمل اذى جاره وان كان ذميا فقد روى عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله انه كان له جار ذمي وكان قد انبثق من كنيفه الى بيت في دار سهل بثق فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع مايسقط فيه من كنيف المجوسي ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زمنا طويلا الى أن حضرت سهلا الوفاة فاستدعى جاره المجوسي وقال له : ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه في الجفنة فقال : ما هذا الذي أرى ؟ قال سهل : هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك الى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ولولا أنه حضرني أجلي وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك والا لما أخبرتك فافعل ما ترى فقال المجوسي : أيها الشيخ .. أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفري ؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم مات سهل رحمه الله .

فنسأل الله أن يهدينا واياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والاقوال وأن يحسن عاقبتنا انه كريم رؤوف رحيم .

* * *

الكبيرة الثالثة والخمسون : أذى المسلمين وشتمهم

قال الله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا »(٢) وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى

= « اتدري ما حق الجار .. » الخ من كلام الراوي غير مرفوع والحديث على كل أشار المنذري الى ضعفه بقوله في أوله «وروي» وهي احدى علامات الضعف عنده وسكت عليه في آخره وهي العلامة الثانية للضعف الشامل للوضع .

(١) رواه أحمد ورواته ثقات والطبراني في الكبير والأوسط من حديث المقداد بن الأسود اهـ ترغيب .

(٢) الأحزاب : ٥٨ .

أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون »(١) وقال تعالى : « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا »(٢) وقال ﷺ : « ان من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس او تركه الناس اتقاء فحشه »(٣) وقال ﷺ : « عباد الله ٠٠ ان الله وضع الحرج الا من افترض بعرض أخيه فذلك الذى حرج او هلك » ٠

وفى الحديث : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »(٤) وقال عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم »(٥) وفيه أيضا : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »(٦) ٠

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ٠٠ ان فلانة تصلى الليل وتصوم النهار وتؤذى جيرانها بلسانها فقال : « لا خير فيها هى فى النار » (صححه الحاكم)(٧) وفى الحديث أيضا : « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم »(٨) وقال رسول الله ﷺ : « من دعا رجلا بالكفر أو قال : يا عدو الله ٠٠ وليس كذلك الا حار عليه »(٩) وقال عليه الصلاة والسلام : « مررت ليلة أسرى بى بقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم »(١٠) ٠

(فصل) فى الترهيب من الافساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب : صح عن النبى ﷺ أنه قال : « ان الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم » فكل من حرش بين

---

(١) الحجرات : ١١ ٠ (٢) الحجرات : ١٢ ٠

(٣) متفق عليه من حديث عائشة ولفظه للبخارى فى كتاب الأدب من صحيحه ٠

(٤) رواه مسلم والترمذى فى حديث لأبى هريرة ا هـ ترغيب ٠

(٥) رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة ا هـ ترغيب ٠

(٦) متفق عليه من حديث ابن مسعود قاله العراقى فى تخريج الاحياء ٠

(٧) وابن حبان وأحمد والبزار ٠

(٨) صححه الحاكم قاله المصنف فى رسالته الصغرى ٠

(٩) رواه البخارى ومسلم فى حديث لأبى ذر ومعنى « حار » رجع ا هـ ترغيب ٠

(١٠) رواه أبو داوود من حديث أنس وذكر أن بعضهم رواه مرسلا ا هـ ترغيب وقال العراقى : والمسند أصح ا هـ من تخريج الاحياء ٠

اثنين من بنى آدم ونقل بينهما ما يؤذى أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس كما قال النبي ﷺ : « ألا أخبركم بشراركم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « شراركم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرءاء العنت »(١) والعنت : المشقة ، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة نمام »(٢) والنمام هو الذى ينقل الحديث بين الناس أو بين اثنين بما يؤذى أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له : قال عنك فلان كذا وكذا أو فعل كذا وكذا ، الا أن يكون فى ذلك مصلحة أو فائدة كتحذيره من شر يحدث أو يترتب ، وأما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرها فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما أشبه ذلك وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله ، ومن ذلك افساد قلب المرأة على زوجها والعبد على سيده ، لما روى أن رسول الله ﷺ قال : « ملعون من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده »(٣) . نعوذ بالله من ذلك .

(**فصل**) فى الترغيب فى الاصلاح بين الناس . قال الله تعالى : **« لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما »**(٤) .

قال مجاهد : هذه الآية عامة بين الناس يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا ما كان من أعمال الخير وهو قوله : **« الا من أمر بصدقة »** ثم حذف المضاف **« أو معروف »** قال ابن عباس : بصلة الرحم وبطاعة الله ، ويقال لأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها وقوله تعالى : **« أو اصلاح بين الناس »** هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبى أيوب الأنصارى : « ألا أدلك على صدقة هى خير لك من حمر النعم » قال : بلى يا رسول الله .. قال : « تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا »(٥) وروت أم حبيبة رضى الله عنها أن النبى ﷺ

---

(١) رواه أحمد من حديث عبد الرحمن بن غنم وفى سنده شهر بن حوشب فيه كلام معروف وبقية رجاله محتج بهم فى الصحيح اهـ ترغيب .

(٢) متفق عليه من حديث حذيفة اهـ عراقى .

(٣) رواه أبو داوود بلفظ : « ليس منا من خبب » .. الخ من حديث أبى هريرة والنسائى وابن حبان وله شاهد من حديث بريدة عند أحمد والبزار ، وابن حبان من حديث جابر عند مسلم ، ومعنى خبب : خدع وأفسد . اهـ ترغيب .

(٤) النساء : ١١٤ .

(٥) رواه البزار والطبرانى من حديث أنس واشار المنذرى فى الترغيب الى ضعفه اذ صدره بلفظ : « روى » وسكت عليه فى آخره وذلك علامة الضعف عنده .

قال : « كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر لله »(*) ٠

وروى أن رجلا قال لسميان : ما أشد هذا الحديث قال سفيان : ألم تسمع الى قول الله تعالى : « **لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف** » ٠٠ الآية ٠ فهذا هو بعينه ٠

ثم أعلم الله سبحانه أن ذلك انما ينفع من ابتغى به ما عند الله قال تعالى : « **ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما** » أى ثوابا لا حد له ٠

وفى الحديث : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا » (رواه البخارى) وقالت ام كلثوم(١) : ولم أسمعه ﷺ يرخص فى شىء مما يقول الناس الا فى ثلاثة أشياء ٠ فى الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها ٠ وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر مخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم فى أناس معه من أصاحبه (رواه البخارى)٠
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما عمل شىء افضل من مشى الى الصلاة أو اصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين »(٢) وقال رسول الله ﷺ : « من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه »(٣) ، وبالله التوفيق٠
اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين ٠

* * *

الكبيرة الرابعة والخمسون : أذية عباد الله والتطول عليهم

قال الله تعالى : « **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا** »(٤) وقال تعالى : « **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** »(٥) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب »(٦) وفى رواية :

(*) رواه ابن ماجه وابن أبى الدنيا والترمذى وقال : غريب لا يعرف الا من حديث محمد بن يزيد بن حنيش قال المنذرى : ورواته ثقات وفى محمد ابن يزيد كلام قريب وهو لا يقدح وهو شيخ صالح ا ه ترغيب ٠

(١) رواه مسلم من حديثها قاله العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء ٠

(٢) رواه الأصبهانى وأشار المنذرى فى ترغيبه الى ضعفه ٠

(٣) رواه الأصبهانى من حديث أنس وهو حديث غريب جدا قاله المنذرى٠

(٤) الأحزاب : ٥٨ ٠ (٥) الشعراء : ٢١٥ ٠

(٦) رواه البخارى وفى سنده خالد بن مخلد ومحمد القطوانى ٠

« فقد بارزنى بالمحاربة » - أى أعلمته انى محارب له ٠ وفى الحديث أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا : أما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها فقال أبو بكر رضى الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال : « يا أبا بكر ٠٠ لعلك اغضبتهم ؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك » فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا اخوتاه ٠٠ اغضبتكم ؟ قالوا : لا ٠٠ يغفر الله لك يا أخى ٠ وقوله : مأخذها أى لم تستوف حقها منه ٠

(فصل) فى قوله تعالى : ((**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه**))(١) الآيات ٠ وهذه الآيات فى تفضيل الفقراء وسبب نزولها أن النبى ﷺ أول من آمن به الفقراء وكذلك كل نبى أرسل أول من آمن به الفقراء فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضى الله عنهم فأراد المشركون أن يحتالوا عليه فى طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أول اتباعهم الفقراء فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا : يا محمد ٠٠ اطرد الفقراء عنك فان نفوسنا تأنف أن تجالسهم فلو طردتهم عنك لآمن بك أشرف الناس ورؤساؤهم فأنزل الله تعالى : ((**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه**))(٢) فلما أيس المشركون من طردهم قالوا : يا محمد ٠٠ ان لم تطردهم فاجعل لنا يوما ولهم يوما فأنزل الله تعالى : ((**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا**))(٣) أى لا تتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلبا لصحبة أبناء الدنيا (**وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**)(٤) ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير بقوله : ((**واضرب لهم مثلا رجلين**))(٥) ٠ ((**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا**))(٦) فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم ٠

ولما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة هاجروا معه فكانوا فى صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة فكان ينتمى اليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا رضى الله عنهم هؤلاء شاهدوا ما اعد الله لأوليائه من الاحسان وعاينوه بنور الايمان فلم يعلقوا قلوبهم بشىء من الأكوان بل قالوا : اياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدى ونسترشد وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح وفى ميدان ودك نرتقع ونسرح ولك نعمل

---

(١) الكهف : ٢٨ ٠ (٢) الأنعام : ٥٢ ٠
(٣) الكهف : ٢٨ ٠ (٤) الكهف : ٢٩ ٠
(٥) الكهف : ٣٢ ٠ (٦) الكهف : ٤٥ ٠

ونكدح وعن بابك أبدا لا نبرح ، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال : ((**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة**))(١) .. الآية أى ولا تطرد قوما أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون وان أصبحوا فلبابه ينقلبون لا تطرد قوما المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم والجوع طعامهم والسهر اذا نام الناس ادامهم والفقر والفاقة شعارهم والمسكنة والحياء دثارهم ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم وبسطوا وجوههم فى محاريب نجواهم فالفقر عام وخاص فالعام الحاجة الى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر وهو معنى قوله تعالى : ((**يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله**))(٢).. الآية والخاص وصف أولياء الله وأحبائه خلو اليدين من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها اشتغالا بالله عز وجل وشوقا اليه وانسا بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل .

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك وان تسلك بنا طريق مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين .

* * *

الكبيرة الخامسة والخمسون : اسبال الازار والثوب واللباس والسراويل تعززا وعجبا وفخرا وخيلاء

قال الله تعالى : ((**ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور**))(٣) .

وقال النبى ﷺ : « ما اسفل من الكعبين من الازار فهو فى النار »(٤)
وقال عليه الصلاة والسلام : « لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا »(٥) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »(٦) .

---

(١) الأنعام : ٥٢ . (٢) فاطر : ١٥ . (٣) لقمان : ١٨ .

(٤) رواه البخارى من حديث أبى هريرة ا هـ . ترغيب .

(٥) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء » وله شاهد فى حديث ابى سعيد الخدرى عند مالك والنسائى وأبو داوود وابن ماجه وابن حبان ومن حديث أبى هريرة عند مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه قاله فى الترغيب .

(٦) رواه مسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، والمسبل يطول ثوبه يرسله الى الأرض كأنه يفعله تجبرا وخيلاء ا هـ ترغيب .

وفى الحديث أيضا : « بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال فى مشيه اذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة » ٠

وقال عليه الصلاة والسلام : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة »(١) ٠ وقال عليه الصلاة والسلام : « الاسبال فى الازار والعملمة ، من جر شيئا منها خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة »(٢) ٠

وقال عليه الصلاة والسلام : « ازرة المؤمن الى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار »(٣) ٠

هذا عام فى السراويل والثوب والجبه والقباء والفرجيه وعيرها من اللباس ٠ فنسأل الله العافية ٠ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينما رجل يصلى مسبلا ازاره قال له رسول الله ﷺ : « اذهب فتوضأ » ثم جاء فقال : « اذهب فتوضأ » فقال له رجل : يا رسول الله ٠٠ مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه ؟ فقال : « انه كان يصلى وهو مسبل ازاره ، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلا ازاره »(٤) ٠

ولما قال ﷺ : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة »(٥) قال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ٠٠ ان ازارى يسترخى الا أن أتعاهده فقال له رسول الله ﷺ : « انك لست ممن يفعله خيلاء » ٠

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين ٠

* * *

الكبيرة السادسة والخمسون : لبس الحرير والذهب للرجال

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من لبس الحرير فى الدنيا

---

(١) تقدم أنه رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر ٠

(٢) رواه أبو داوود والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عمرو وفى سنده عبد العزيز بن ابى رواد والجمهور على توثيقه ا هـ ترغيب ٠

(٣) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وشاهده من حديث انس عند احمد ورواته رواة الصحيح قاله المنذرى فى الترغيب ٠

(٤) رواه أبو داوود وفى سنده ابو جعفر المدنى قال المنذرى : ان كان محمد بن الحسن فروايته عن أبى هريرة مرسلة وان كان غيره فلا أعرفه ا هـ ترغيب ٠

(٥) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى قاله المنذرى ٠

لم يلبسه فى الآخرة »(١) وهذا عامٍ فى الجند وغيرهم لقوله ﷺ : «حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتى »(٢) ٠

وعن حذيفة بن اليمـان رضى الله عنه قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديبـاج وأن نجلس عليها (أخرجه البخارى) ٠

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر وانما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حكة أو جرب او غيره وللمقاتلين عند لقاء العدو ، وأما لبس الحرير للزينه فى حق الرجال فحرام باجماع المسـلمين سواء أكان قباء أو قبطيـا أو كلوثة وكذلك اذا كان الأكثر حريرا كان حراما ، وكذلك الذهب لبسـه حرام على الرجال سواء أكان خاتما أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسـه وعمله ٠ وقد رأى النبى ﷺ فى يد رجل خاتما من ذهب فنزعه وقال : « يعمـد أحدكم الى جمرة من نار فيجعلها فى يده »(٣) وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزرقش حرام على الرجال ٠ واختلف العلماء فى جواز الباس الصبى الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع منه آخـرون لعموم قوله ﷺ عن الحرير والذهب : « هذان حرام على ذكور أمتى حل لاناثهم »(٤) فدخل الصبى فى النهى وهذا مذهب الامام أحمد وآخرين رحمهم الله فنسأل الله التوفيق لمـا يحب ويرضى انه جواد كريم ٠

* * *

الكبيرة السابعة والخمسون : اباق العبـد

روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « اذا أبق العبد لم تقبل له صلاة »(٥) وقال ﷺ : « أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة »(٦) ٠ وروى ابن خزيمة فى صحيحه من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم الى السـماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع الى مولاه والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو »(٧) وعن فضالة بن عبيـد مرفوعا : « ثلاثة لا يسـئل عنهم

---

(١) وكذا الترمذى والنسائى كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ا هـ ترغيب ٠

(٢) رواه أبو داوود والنسائى من حديث على رضى الله عنه بنحـوه ٠

(٣) رواه مسلم من حديث ابن عباس ٠

(٤) تقدم من حديث على عند أبى داوود والنسائى ٠

(٥) من حديث جرير رضى الله عنه كما فى الترغيب ٠

(٦) رواه مسلم من حديث جرير أيضا ٠

(٧) بسند فيه زهير بن محمد فيه كلام هين ورواه الطبرانى فى الأوسط رواية من عبد الله بن محمد بن عقيل أفاده المنذرى ٠

رجل فارق الجماعة وعصى امامه وعبد أبق ومات عاصيا وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونه فتبرجت بعده »(*) أى أظهرت محاسنها كما يفعل اهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ كذا ذكره الواحدى رحمه الله ٠

* * *

الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبح لغير الله عز وجل

مثل ان يقول : بسم الشيطان أو الصنم او باسم الشيخ فلان : قال الله تعالى : ((**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**))(١) قال ابن عباس : يريد الميته والمنخنقة الى قوله : ((**وما ذبح على النصب**))(٢) وقال الكلبى : ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى ٠ وقال عطاء : ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان وقوله : ((**وانه لفسق**))(٣) يعنى وان كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين ((**وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم**))(٣) اى يوسوس الشيطان لوليه فيلقى فى قلبه الجدال بالباطل وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين فى الميتة ، قال ابن عباس : أوحى الشيطان الى أوليائه من الانس : كيف تعبدون شيئا لا تأكلون ما يقتل وانتم تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية : ((**وان أطعتموهم**))(٣) يعنى فى استحلال الميتة ((**انكم لمشركون**))(٣) ٠ قال الزجاج : وفى هذا دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك ٠

فان قيل : كيف أبحتم ذبيحة المسلم اذا ترك التسمية والآية كالنص فى التحريم ؟ قلت : ان المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه فى هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم اذا ترك التسمية وفى الآية أشياء تدل على أن الآية فى تحريم الميتة ومنها قوله : ((**وانه لفسق**)) ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية ٠

ومنها قوله : ((**وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم**)) والمناظرة انما كانت فى الميتة باجماع من المفسرين لا فى ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ومنها قوله : ((**وان أطعتموهم انكم لمشركون**)) والشرك فى استحلال الميتة لا فى استحلال الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها ٠

(*) رواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ : « فخانته بعده » بدل «تبرجت» وكذا الطبرانى والحاكم ولفظ الحاكم « تبرجت » وعنده : « وأمة أو آبق من سيده » اهـ ترغيب ٠

(١) الأنعام : ١٢١ ٠ (٢) المائدة : ٣ ٠

(٣) الأنعام : ١٢١ ٠

وقد أخبرنا أبو منصور باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله تعالى فقال النبى ﷺ : « اسم الله على فم كل مسلم »(١) .

ونخبرنا أبو منصور أيضا باسناده عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « يكفيه اسمه وان نسى يسمى حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل »(٢) .

وأخبرنا عمرو بن أبى عمرو باسناده عن عائشة رضى الله عنها أن قوما قالوا : يا رسول الله .. ان قوما يأتون باللحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سموا عليه وكلوا »(٣) هذا آخر كلام الواحدى رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ : « لعن الله من ذبح لغير الله » .

* * *

الكبيرة التاسعة والخمسون : فيمن ادعى الى غير أبيه وهو يعلم

عن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » (رواه البخارى) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر » (رواه البخارى) وفيه أيضا : « من ادعى الى غير أبيه فعليه لعنة الله » وعن زيد بن شريك(٤) قال: رأيت عليا رضى الله عنه يخطب على المنبر فسمعته يقول : والله ما عندنا من كتاب نقرؤه الا كتاب الله تعالى وما فى هذه الصحيفة فنشرها فاذا فيها أسنان الابل وشىء من الجراحات وفيها : قال رسول الله ﷺ : « المدينة حرام ما بين عير الى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفا ولا عدلا ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك وذمة المسلمين واحدة » (رواه البخارى) وعن أبى ذر أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليس منا رجلا ادعى الى غير أبيه وهو يعلمه

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه مروان بن سالم الغفارى وهو متروك ا هـ مجمع الزوائد .

(٢) رواه الدارقطنى وفيه راو سىء الحفظ وهو محمد بن سنان صدوق ضعيف الحفظ ورواه عبد الرزاق بسند صحيح الى ابن عباس موقوفا عليه من كلامه ا هـ من بلوغ المرام وشرحه سبل السلام .

(٣) رواه مالك والبخارى رحمهما الله كما فى بلوغ المرام للحافظ ابن حجر وشرحه سبل السلام لأمير المؤمنين الصنعانى رحمه الله تعالى .

(٤) كذا فيما وقع لنا من الأصول الخطية وهو خطأ وصوابه « يزيد » وهو والد ابراهيم التيمى .

الا كفر ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلا بالكفر أو قال : يا عدو الله وليس كذلك الا حار عليه » أى رجع عليه ورواه مسلم • فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم •

***

الكبيرة الستون : الجدل والمراء واللدد

قال الله تعالى : « **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام • واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد** »(١) ومما يذم من الألفاظ المراء والجدال والخصومه •

قال الامام (حجة الاسلام) الغزالى رحمه الله : المراء طعنك فى كلام لاظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله واظهار مزيتك عليه قال : وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها قال : واما الخصومة فلجاج فى الكلام ليستوفى به مقصودا من مال أو غيره وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون اعتراضا هذا كلام الغزالى •

وقال النووى رحمه الله : اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل قال تعالى : « **ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن** »(٢) وقال تعالى : « **وجادلهم بالتى هى أحسن** »(٣) وقال تعالى : « **ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا** »(٤) قال : فان كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودا ان كان فى مدافعة الحق أو كان جدالا بغير علم كان مذموما وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة فى اباحته وذمه • والمجادلة والجدال بمعنى واحد قال بعضهم : ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة •

فان قلت : لابد للانسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه (فالجواب) ما اجاب به الغزالى رحمه الله : اعلم أن الذم المتأكد انما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم كوكيل القاضى فانه يتوكل فى الخصومة قبل أن يعرف الحق فى أى جانب هو فيخاصم بغير علم •

ويدخل فى الذم أيضا من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل ويظهر اللدد والكذب والايذاء والتسلط على خصمه كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذى وليس له اليها حاجة فى تحصيل حقه كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم •

---

(١) البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ •
(٢) العنكبوت : ٤٦ •
(٣) النحل : ١٢٥ •
(٤) غافر : ٤ •

وأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا ايذاء ففعل هذا ليس حراما ولكن الأولى تركه ما وجد اليه سبيلا لأن ضبط اللسان فى الخصومه على حد الاعتدال منعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يمرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ويحزن لمسرته ويطلق لسانه فى عرضه ، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى أنه يكون فى صلاته وخاطره منعلق بالمحاججة والخصومة فلا تبقى حاله على الاستقامة • والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدال والمراء فينبغى للانسان ألا يتفتح عليه باب الخصومة الا لضرورة لابد منها •

روينا فى كتاب للترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كفى بك اثما أن لا تزال مخاصما »(١) •

وجاء عن على رضى الله عنه قال : ان الخصومة لها قحم • قلت . القحم بضم القاف وفتح الحاء المهملة وهى المهالك •

(**فصل**) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط حتى ينزع »(٢) •

وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدال ثم تلا : **« ما ضربوه لك الا جدلا »(٣)** •• الآية(٤) •

وقال ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق فى القرآن ودنيا تقطع أعناقكم »(رواه ابن عمر)(٥) •

وقال النبى ﷺ • « المراء فى القرآن كفر »(٦) •

---

(١) وقال : حديث غريب ا هـ ترغيب •

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والأصبهانى فى الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور قاله العراقى فى تخريجه •

(٣) الزخرف : ٥٨ •

(٤) رواه الترمذى من حديث أبى أمامة وصححه قاله العراقى فى تخريج الاحياء وجعله فى الترغيب من سند أبى هريرة وعزاه الترمذى الى ابن أبى الدنيا فى الصمت •

(٥) رواه يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عمر قاله المصنف فى الصغرى معلقة بلفظ «يروى» وله شاهد من حديث معاذ عند الطبرانى فى معاجمه الثلاثة وفيه عبد الحكيم بن منصور متروك وله طريق أخرى فى الأوسط فيها انقطاع أفاده فى مجمع الزوائد •

(٦) رواه أبو داوود وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة ورواه الطبرانى وغيره من حديث زيد بن ثابت ا هـ ترغيب •

(فصل) يكره التغيير فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع بالفصاحة بالمقدمات التى يعتادها المتفاصحون فكل ذلك من التكلف المذموم بل ينبغى أن يقصد فى مخاطبته لفظا فهما جليا ولا يثقله •

روينا فى كتاب للترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقره » قال الترمذى : حديث حسن وروينا فيه أيضا عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وان من أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » قالوا : يا رسول الله •• قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال : « المتكبرون » قال الترمذى : حديث حسن قال : والثرثار هو كثير الكلام والمتشدق من يتطاول على الناس فى الكلام ويبذو عليهم •

واعلم أنه لا يدخل فى الذم تحسين الفاظ الخطب والمواعظ اذا لم يكن فيها افراط واغراب الا أن المقصود منها تهييج القلوب الى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ فى هذا اثر ظاهر ، والله أعلم •

❋ ❋ ❋

الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء

قال الله تعالى : ((**قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**))(١) وقال النبى ﷺ : « لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ »(٢) •

وقال عليه الصلاة والسلام : « من يمنع فضل مائه أو فضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة »(٣) •

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها وفى له وان لم يعطه لم يف له ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك » (أخرجاه فى الصحيحين) وزاد البخارى : « ورجل منع فضل مائه فيقول الله : اليوم أمنعك فضلى كما منعت ما لم تعمل يداك » •

❋ ❋ ❋

---

(١) الملك : ٣٠ •

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة فى منتقى الأخبار •

(٣) رواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ا هـ منتقى •

الكبيرة الثانية والستون : نقص الكيل والذرع والميزان وما أشبه ذلك

قال الله تعالى : ((**ويل للمطففين**))(١) يعنى الذين ينقصون النـاس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والوزن . قوله : ((**الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون**))(٢) يعنى يستوفون حقوقهم منها قال الزجاج : المعنى اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك اذا اتزنوا ولم يذكر (اذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بهمـا الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر ((**واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**))(٣) أى ينقصون فى الكيـل والوزن وقال السدى : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له : أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما(*) قال : قال رسول الله ﷺ : ((خمس بخمس)) قالوا : يا رسول الله .. وما خمس بخمس ؟ قال : ((ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة الا أنزل الله بهم الطاعون - يعنى كثرة الموت - ، ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر ((**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون**))(٤) . قال الزجاج : المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا فى الكيل والوزن ((**ليوم عظيم**))(٥) أى يوم القيامة ((**يوم يقوم الناس**))(٦) من قبورهم ((**لرب العالمين**))(٦) أى لأمره ولجزائه وحسابه وقيل : يقومون بين يديه لفصل القضاء ، وعن مالك بن دينار قال : دخل على جار لى وقد نزل به الموت وهو يقول : جبلين من نار ، جبلين من نار ، جبلين من نار ، قال : قلت : ما تقول ؟ قال : يا أبا يحيى .. كان لى مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر . وقال مالك بن دينار : فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر فقال : يا أبا يحيى .. كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظما وشدة فمات فى مرضه .

والمطفف هو الذى ينقص الكيل والوزن مطففا لأنه لا يكاد يسرق الا الشىء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام ثم وعـد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب وقيل : واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره وقال بعض السلف : أشـهد على كل كيال أو وزان بالنار لأنه لا يكاد يسلم الا من عصم الله ، وقال بعضهم : دخلت

---

(١) المطففين : ١ . (٢) المطففين : ٢ . (٣) المطففين : ٣ .

(*) رواه الطبرانى فى الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد قاله المنذرى وشواهد من حديث ابن عمر عند البزار وبريدة عند النسائى والبيهقى .. الخ .

(٤) المطففين : ٤ .

(٥) المطففين : ٥ . (٦) المطففين : ٦ .

على مريض وقد نزل به الموت فجعلت القنه الشهادة ولسانه لا ينطق بهـا فلما افاق قلت له : يا أخى ٠٠ مالى ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ، قال : يا أخى ٠٠ لسـان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها ٠ فقلت له : بالله أكنت تزن ناقصا قال لا والله ٠٠ ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحه ميزانى فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصا ٠

وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون حتى أن العرق ليلجمهم الى أنصاف آذانهم وكذا التاجر اذا شد يده فى الذرع وقت البيع وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض السلف يقول . ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض وويح لمن يشترى الويل بحبة يأخذها زائدة ٠ فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم ٠

* * *

الكبيرة الثالثة والستون : الأمن من مكر الله

قال الله تعالى : ((**حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة**))(١) أى أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون قال الحسن : من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم ير انه ينظر اليه فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية ((**حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون**))(١) وقال . مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا ٠

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((اذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج ثم قرأ : ((**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون**))(٢) الابلاس اليأس من النجاة عند ورود الهلكة وقال ابن عباس : أيسوا من كل خير وقال الزجاج : المبلس الشديد الحسرة اليائس الحزين ٠

وفى الأثر انه لما مكر بابليس وكان من الملائكة طفق جبريل وميكال يبكيان فقال الله عز وجل لهما : ما لكما تبكيان قالا : يا رب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكرى ٠ وكان النبى ﷺ يكثر أن يقول : ((يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك))(٣) فقيل له : يا رسول الله ٠٠

---

(١) الأنعام : ٤٤ ٠

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصرى وهو ضعيف ا هـ مجمع الزوائد ٠

(٣) رواه الترمذى فى جامعه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وقال : حديث حسن صحيح وفى الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة رضى الله عنها وعائشة وأبى ذر رضى الله عنهم ٠

أتخاف علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء » .

وفى الحديث الصحيح . « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها »(*) وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ان الرجل ليعمل بعمل أهل النار وانه من أهل الجنة ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانما الأعمال بالخواتيم ».

وقد قص الله تعالى فى كتابه العزيز قصة بلعام وأنه سلب الايمان بعد العلم والمعرفة وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر وروى أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة فرقى يوما المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذمى فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار وكانت جميلة فافتتن بها وترك الأذان ونزل اليها فقالت له : ما شأنك وما تريد ؟ فقال : أنت أريد قالت : لا اجيبك الى ريبة قال لها : أتزوجك قالت له : أنت مسلم وأبى لا يزوجنى بك قال : أتنصر قالت له : ان فعلت أفعل فتنصر ليتزوج بها وقام معهم فى الدار فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى الى سطح كان فى الدار فسقط فمات فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها . نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة . وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيرا ما كان رسول الله ﷺ يحلف : « لا ومقلب القلوب » (رواه البخارى) ومعناه يصرفها اسرع من ممر الريح على اختلاف فى القبول والرد والارادة والكراهية وغير ذلك من الأوصاف وفى التنزيل . « **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** »(١) . قال مجاهد :المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدرى ما تصنع بنانه . « **ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب** »(٢) اى عقل واختار الطبرى أن يكون ذلك اخبارا من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها ان شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا الا بمشيئة الله عز وجل . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك » فقلت : يا رسول الله .. انك تكثر بهذا الدعاء فهل تخشى ؟ قال : « وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء اذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه » فاذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والارادة غير مغالبة فلا تعجب بايمانك وعملك وصلاتك

(*) يعنى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ولعله فى مسلم أيضا .

(١) الأنفال : ٢٤ .   (٢) سورة ق : ٣٧ .

وصومك وجميع تربك ذلك ان كان من كسبك فانه من خلق ربك وفضله فى هذه الدار عليك فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخرا بمتاع غيرك وبما سلبه عنك فعاد قلبك من الحير أخلى من جوف العير(١) ٠

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، أضحت وزهرها يابس هشيم ، اذا هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم ويصبح وهو بمعصيه الله مظلم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العليم ٠

ابن آدم ٠٠ الاقلام عليك تجرى ، وأنت فى غفلة لا تدرى ، ابن آدم ٠٠ دع المثانى والأوتار ، والمنازل والديار ، والتنافس فى هذه الدار ، حتى ترى ما فعلت فى أمرك الأقدار ٠ قال الربيع : سئل الامام الشافعى رحمه الله تعالى(٢) ٠

. . . .

. . . .

ينادى مناد من قبل العرش أين فلان أين فلان ؟ فلا يسمع أحد ذلك الصوت الا وتضطرب فرائصه قال فيقول الله عز وجل لذلك الشخص ٠ انت المطلوب هلم الى العرض على خالق السموات والأرض فيتشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدى الله عز وجل ، فيلقى الله عز وجل عليه من نوره يستره عن المخلوقين ثم يقول له : عبدى ٠٠ أما علمت أنى كنت أشاهد عملك فى دار الدنيا فيقول : بلى يا رب فيقول الله تعالى : عبدى ٠٠ أما سمعت بنقمتى وعذابى لمن عصانى ؟ فيقول : بلى يا رب فيقول الله تعالى : عبدى ٠٠ أما سمعت بجزائى وثوابى لمن أطاعنى فيقول : بلى يا رب ٠٠ فيقول الله تعالى : يا عبدى عصيتنى ؟ فيقول : يا رب قد كان ذلك فيقول الله تعالى : عبدى ٠٠ فما ظنك اليوم بى ؟ فيقول : يا رب أن تعفو عنى فيقول الله تعالى : عبدى ٠٠ تحققت أنى أعفو عنك ؟ فيقول : نعم يا رب لأنك رأيتنى على المعصية وسترتها على قال : فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وأنا الجواد الكريم ٠

الهنا ٠٠ لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان ، ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان ٠

اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنا ٠

---

(١) العير بفتح العين : الحمار ٠

(٢) فى الأصول المعروفة للكتاب نقص فى آخر الكبيرة الثالثة والستين ، وفى أول الكبيرة الرابعة والستين ٠ وسيبقى هذا النقص حتى تظهر فيها هذا النقص فيكمل ، مع العلم بأننا راجعنا هذا النقص على عدة نسخ خطية فلم نجده ٠

اللهم انظر الينا نظر الرضا وأثبتنا فى ديوان أهل الصفا ونجنا من ديوان أهل الجفا ·

اللهم حقق بالرجاء أملنا ، وأحسن فى جميع الأحوال أعمالنا ، وسهل فى بلوغ رضاك سبلنا ، وخذ الى الخيرات بنواصينا ، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ·

* * *

الكبيرة الخامسة والستون : تارك الجماعة فيصلى وحده من غير عذر

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة : « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم » (رواه مسلم) وقال عليه الصلاة والسلام : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين »(رواه مسلم)(١) ·

وقال ﷺ : « من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه » (أخرجه أبو داوود والنسائى)(٢) وقال : « من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقا فى ديوان لا يمحى ولا يبدل » ·

وعن حفصة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « رواح الجمعة واجب على كل محتلم »(٣) أى على كل بالغ ·

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم ·

* * *

الكبيرة السادسة والستون الاصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر

قال الله تعالى : « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون · خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون الى السجود

---

(١) من حديث أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم وكذا رواه ابن ماجه من حديثهما كما فى الترغيب والترهيب ·

(٢) والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال : على شرط مسلم كلهم من حديث أبى الجعد الضمرى وكانت له صحبة وله شاهد من حديث أبى قتادة عند أحمد والحاكم ومن حديث أسامة عند ابن حبان ومن حديث كعب بن مالك عنده أيضا ومن حديث أبى هريرة عند ابن ماجه ومن حديث جابر عند أبى يعلى ومن كلام ابن عباس عنده أيضا ومن حديث حارثة بن النعمان عند أحمد افاده فى الترغيب والترهيب وقال المصنف فى الصغرى : اسناده جيد قوى ·

(٣) حديث حفصة رواه النسائى قاله المصنف فى الصغرى ·

وهم سالمون »(١) قال كعب الأحبار : ما نزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعات • وقال سعيد بن المسيب امام التابعين رحمه الله : كانوا يسمعون : (حى على الصلاة ، حى على الفلاح) فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء •

وفى الصحيحين(٢) أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف الى رجال لا يشهدون الصلاة فى الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » وفى رواية لمسلم أيضا من حديث أبى هريرة : « لقد هممت أن آمر فتيتى أن يجمعوا لى حزما من حطب ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » وفى هذا الحديث الصحيح والآية التى قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر • فقد روى أبو داوود فى سننه باسناده الى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع المنادى فلم يمنعه من اتيانه عذر قيل : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التى صلى » • يعنى فى بيته •

وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا يجمع فقال : ان مات هذا فهو فى النار •

وروى مسلم أن رجلا أعمى جاء الى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله •• ليس لى قائد يقودنى الى المسجد ، فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فرخص له فلما ولى دعاه فقال : « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم •• قال : « فأجب » وفى رواية أبى داوود أن ابن أم مكتوم جاء الى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله •• ان المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فقال له النبى ﷺ : « تسمع : حى على الصلاة ، حى على الفلاح » ؟ قال : نعم •• قال : « فاجب ، فحى هلا » وفى رواية أنه قال : يا رسول الله •• انى ضرير شاسع الدار ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة ؟ وقوله : « فحى هلا » أى تعالى وأقبل •

وروى الحاكم فى مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له » قالوا : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : « خوف أو مرض » وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « لعن الله ثلاثة : من تقدم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجلا سمع : حى على الصلاة ،

---

(١) القلم : ٤٢ ، ٤٣ •

(٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه •

حى على الفلاح ثم لم يجب »(*) قال أبو هريرة : لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير من أن يسمع : (حى على الصلاة ، حى على الفلاح) ثم لا يجيب • وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد ، قيل : من جار المسجد ؟ قال : من يسمع الأذان • وقال ايضا : من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه الا من عذر •

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فان الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وانها من سنن الهدى ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق أو مريض ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف ـ يعنى يتكىء عليهما من ضعفه ـ حرصا على فضلها وخوفا من الاثم فى تركها(١) •

(**فصل**) وفضل صلاة الجماعة عظيم كما فى تفسير قوله تعالى : « **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** »(٢)• انهم المصلون الصلوات الخمس فى الجماعات • وفى قوله تعالى . « **ونكتب ما قدموا وآثارهم** »(٣) أى خطاهم •

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « من تطهر فى بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته أحدهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه الذى صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه »(٤) •

وقال ﷺ : « الا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات »؟ قالوا : بلى يا رسول الله •• قال : « اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط »(٥) (رواه مسلم) •

* * *

(*) رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس كما تقدم فى النهى عن ترك الصلاة •

(١) رواه مسلم وأبو داوود وغيرهما اهـ ترغيب •

(٢) الأنبياء : ١٠٥ •　　　(٣) يس : ١٢ •

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة بنحو ما هنا كما فى الترغيب •

(٥) رواه مالك ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه كلهم من حديث أبى هريرة وشاهده من حديث أبى سعيد الخدرى عند ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه اهـ ترغيب •

الكبيرة السابعة والستون : الاضرار فى الوصية

قال الله تعالى : ((**من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار**))(١) • اى غير مدخل الضرر على الورثة وهو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه : ((**وصية من الله ، والله عليم حليم**))(١) •

قال ابن عباس : يريد ما أحل الله من فرائضه فى الميراث ((**ومن يطع الله ورسوله**))(٢) فى شأن المواريث ((**يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم • ومن يعص الله ورسوله**))(٣) قال مجاهد : فيما فرض الله من المواريث •

وقال عكرمة عن ابن عباس : من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله ((**يدخله نارا**))(٤) •

وقال الكلبى : يعنى يكفر بقسمة الله المواريث ويتعدى حدوده استحلالا ((**يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين**))(٤) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار » ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية : ((**من بعد وصية يوصى بهـا أو دين غير مضـار**))(٥)• (رواه أبو داوود)(٦) •

وجاء عنه ﷺ أنه قال : « من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة »(٧) •

وقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث » (صححه الترمذى)(٨) •

* * *

---

(١) النساء : ١٢ • (٢) النساء : ١٣ •

(٣) النساء : ١٣ ، ١٤ • (٤) النساء : ١٤ •

(٥) النساء ١٢ •

(٦) رواه الترمذى وقال : حسن غريب ورواه ابن ماجه ولفظه : « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا أوصى جاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل الشر سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » اهـ ترغيب وترهيب •

(٧) رواه ابن ماجه من حديث أنس واشار المنذرى الى ضعفه وقال المصنف فى الصغرى : فى سنده مقال •

(٨) من حديث عمرو بن خارجة وفى سنده اسماعيل بن عياش فى روايته عن غير الشاميين ضعف •

الكبيرة الثامنة والستون : المكر والخديعة

قال الله عز وجل : ((ولا يحيق المكر السيء الا بأهله))(*) وقال النبى ﷺ : « المكر والخديعة فى النار »(١) ٠

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » وقال تعالى عن المنافقين : ((يخادعون الله وهو خادعهم))(٢) قال الواحدى : يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نورا كما يعطى المؤمنون فاذا مضوا على الصراط اطفىء نورهم وبقوا فى الظلمة ٠

وقال ﷺ فى حديث : « وأهل النار خمسة ـ وذكر منهم ـ : رجلا لا يصبح ولا يمسى الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك »(٣) ٠

***

الكبيرة التاسعة والستون
من جس على المسلمين ودل على عورتهم

فيه حديث حاطب بن أبى بلتعة وان عمر أراد قتله بما فعل فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدرا ، اذا ترتب على جسه وهن على الاسلام وأهله وقتل أو سبى أو نهب أو شىء من ذلك فهذا ممن سعى فى الأرض فساد وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله وحق عليه العذاب ٠ فنسأل الله العفو والعافية ٠ وبالضرورة يدرى كل ذى حس أن النميمة اذا كانت من اكبر المحرمات فنميمة الجاسوس اكبر وأعظم ٠

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية انه لطيف خبير جواد كريم ٠

***

الكبيرة السبعون
سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى(٤) :

(*) فاطر : ٤٣ ٠

(١) رواه البزار من حديث أبى هريرة وفيه عبد الله بن أبى حميد أجمعوا على ضعفه ا هـ مجمع الزوائد ٠

(٢) النساء : ١٤٢ ٠

(٣) رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى ٠

(٤) فى الحديث القدسى ٠

« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب »(١) وقال ﷺ : « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو انفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه » (مخرج فى الصحيحين) ٠

وقال ﷺ : « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله أوشك أن يأخذه » (أخرجه الترمذى)(٢) ٠

ففى هذا الحديث وأمثاله بيان حاله من جعلهم عرضا بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترا عليهم ٠

وقوله ﷺ : « الله الله » كلمة تحذير وانذار كما يقول المحذر : النار النار اى احذروا النار وقوله : « لا تتخذوهم غرضا بعدى » أى لا تتخذوهم غرضا للسب والطعن كما يقال : اتخذ فلان غرضا لسبه أى هدفا للسب وقوله : « فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم » فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال فمن أحبهم فانما أحب النبى ﷺ فحب أصحاب النبى ﷺ عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كما جاء فى الحديث الصحيح : « حب الأنصار من الايمـان وبغضهم من النفاق » وما ذاك الا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدى رسول الله ﷺ وكذلك حب على رضى الله عنه من الايمـان وبغضه من النفاق وانما يعرف فضائل الصحابة رضى الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة الى الايمـان والمجاهدة للكفار ونشر الدين واظهار شعائر الاسلام واعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه ولولاهم ما وصل الينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضا ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئا ٠

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين لأن الطعن لا يكون الا عن اعتقاد مساويهم واضمار الحقد عليهم وانكار ما ذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ولأنهم ارضى الوسـائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول ، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والالحاد فى عقيدته وحسبك

---

(١) عزاه فى الصغرى الى البخارى فقط وقال فى الميزان فى ترجمة خالد ابن مخلد القطوانى ، ولا خرجه من عدا البخارى ولا أظنه فى المسند وأقره الحافظ العسقلانى فى الفتح وعد من أخرجه أو أخرج شاهدا له وليس فيهم مسلم فما هنا سبق قلم أو من تحريف النساخ والحديث من مسند أبى هريرة رضى الله عنه ٠

(٢) من حديث عبد الله بن مغفل وقال : غريب ا هـ مشكاة ٠

ما جاء فى الأخبار والآثار من ذلك كقول النبى ﷺ : « ان الله اختارنى واختار لى أصحابا فجعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا »(١) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال أناس من أصاحب رسول الله ﷺ : انا نسب ، فقال رسول الله ﷺ : « من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله اختارنى واختار لى أصحابى وجعل لى اصحابا واخوانا واصهارا وسيجىء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم »(٢) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا ذكر أصحابى فأمسكوا واذا ذكر النجوم فأمسكوا واذا ذكر القدر فأمسكوا»(٣) قال العلماء : معناه من فحص عن سر القدر فى الخلق وهو أى الامساك علامة الايمان والتسليم لأمر الله ، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير ارادة الله عز وجل فهو مشرك وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشىء وتتبع عثراتهم وذكر عيبا واضافه اليهم كان منافقا بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله ﷺ وحب ما جاء به وحب من يقوم بأمره وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته وحب آله واصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم لأن أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله .

قال أيوب السختيانى رضى الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق .

---

(١) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد : رواه الطبرانى من حديث عويم ابن ساعدة وفيه من لم أعرفه ا هـ وزاد فى منتخب كنز العمال عزوه الى الحاكم فى مستدركه .

(٢) رواه العقيلى فى الضعفاء عن أنس فى منتخب كنز العمال .

(٣) رواه الطبرانى وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح وله شاهد ضعيف من حديث ثوبان عند الطبرانى أيضا ا هـ مجمع الزوائد وقال العراقى : رواه الطبرانى بأسناد حسن .

(فصل) وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشر المشهود لهم وأفضل العشرة أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ولا يشك فى ذلك الا مبتدع منافق خبيث •

وقد نص النبى ﷺ فى حديث العرباض بن سارية حيث قال : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور »(١) •• الحديث •

والخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين وانزل الله فى فضائل أبى بكر رضى الله عنه آيات من القرآن قال الله تعالى : « **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين** »(٢) •• الآية لا خلاف أن ذلك فيه ، فنعته بالفضل رضوان الله عليه وقال تعالى : « **ثانى اثنين اذ هما فى الغار** »(٣) •• الآية •• لا خلاف أيضا أن ذلك فى أبى بكر رضى الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة وحلاه بثانى اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من يكون افضل من ثانى اثنين الله ثالثهما • وقال تعالى : « **والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** »(٤) قال جعفر الصادق : لا خلاف أن الذى جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه وأى منقبة ابلغ من ذلك فيهم رضى الله عنهم أجمعين •

* * *

(تم الكتاب المبارك بعون الله وحسن توفيقه على يد الفقير الى مولاه الغنى عما سواه عبد الله بن سليمان آل بلهيد غفر الله له ولوالديه ولمشايخه واخوته فى الدارين ، وسائر المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، انه غفور رحيم •• آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين) •

وكان الفراغ منه لخمس عشرة خلت من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٤ هجرية •

كتبت وقد ايقنت يوم كتابتى	بأن يدى تفنى ويبقى كتابها
فان عملت خيرا ستجزى مثله	وان عملت سوءا عليها حسابها

* * *

---

(١) رواه الترمذى وصححه •
(٢) النور ـ ٢٢ •
(٣) التوبة : ٤٠ •
(٤) الزمر : ٣٣ •

تم بحمد الله تعــالى طبع كتاب « الكبائر » للامام أبى عبد الله محمــد شمس الدين الذهبى الدمشقى ، بمطابع دار التراث العربى للطباعة والنشر لصاحبها « أحمد حمدى أحمد شعبان » فى يوم السبت غرة ذى الحجة ١٤٠٢ هـ الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٨٢ م ٠

وقام بتنقيحه ، وتصحيحه ، وتخريج آياته ، وضبط أحاديثه : العبد الفقير الى الله تعالى ، راجى عفوه وغفرانه : « محمد الأنور أحمـد البلتاجى » سائلا المولى سبحانه وتعالى ان يجعله فى ميزان حسناته **((يوم لا ينفــع مـال ولا بنون ٠ الا من أتى الله بقلب سليم))** ٠

نسأل الله تعالى أن ينفع به المسلمين ، وآخر دعوانا ان الحمـد لله رب العالمين ٠

* * *

محتويات الكتاب

	الصفحة
ترجمة المؤلف	٣
تعريف (الكبائر)	٥
الكبيرة الأولى : الشرك بالله	٦
الكبيرة الثانية : قتل النفس	٩
الكبيرة الثالثة : فى السحر	١١
الكبيرة الرابعة : فى ترك الصلاة	١٣
فصل : متى يؤمر الصبى بالصلاة	١٦
الكبيرة الخامسة : منع الزكاة	٢٤
الكبيرة السادسة : افطار يوم من رمضان بلا عذر	٢٨
الكبيرة السابعة : فى ترك الحج مع القدرة عليه	٢٨
الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين	٢٩
الكبيرة التاسعة : هجر الأقارب	٣٥
الكبيرة العاشرة : الزنا	٣٧
الكبيرة الحادية عشرة : اللواط	٤١
الكبيرة الثانية عشرة : أكل الربا	٤٦
الكبيرة الثالثة عشرة : أكل مال اليتيم وظلمه	٤٩
الكبيرة الرابعة عشرة : الكذب على الله ورسوله	٥٢
الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف	٥٣
الكبيرة السادسة عشرة : غش الامام الرعية وظلمه لهم	٥٣
الكبيرة السابعة عشرة : الكبر والفخر والخيلاء والعجب والتيه	٥٧
الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور	٥٨
الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر	٥٩
الكبيرة العشرون : القمار	٦٦
الكبيرة الحادية والعشرون : قذف المحصنات	٦٨
الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة	٧٠
الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة	٧٢
الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق	٧٣
الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين الغموس	٧٥
الكبيرة السادسة والعشرون : الظلم	٧٧
الكبيرة السابعة والعشرون : المكس	٨٦
الكبيرة الثامنة والعشرون : أكل الحرام وتناوله على أى وجه كان	٨٨

الصفحة

الكبيره التاسعة والعشرون : أن يقتل الانسان نفسه . . ٩١
الكبيرة الثلاثون : الكذب فى غالب أقواله ٩٣
الكبيرة الحادية والثلاثون . القاضى السـوء . . . ٩٦
الكبيرة الثانية والثلاثون : أخذ الرشوة على الحكم . . ٩٧
الكبيرة الثالثة والثلاثون : تشبه النسـاء بالرجال وتشـبه الرجـال بالنســاء ٩٩
الكبيرة الرابعة والثلاثون : الديوث المستحسن على أهله والقواد الساعى بين الاثنين بالفساد ١٠١
الكبيرة الخامسة والثلاثون : فى المحلل والمحلل له . . . ١٠٢
الكبيرة السادسة والثلاثون : عدم التنزه من البول . . ١٠٤
الكبيرة السابعة والثلاثون : الريـاء ١٠٥
الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكتمان العلم . . ١٠٧
الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيـانة . . . ١١٠
الكبيرة الأربعـون : المنـان ١١١
الكبيرة الحاديه والأربعون : التكذيب بالقدر . . . ١١٣
الكبيرة الثانية والأربعون : التسمع على الناس ما يسرون . . ١١٧
الكبيرة الثالثة والأربعون : النمـام ١١٨
الكبيرة الرابعة والأربعون : اللعـان ١٢١
الكبيرة الخامسه والأربعون : الغدر وعدم الوفاء بالعهد . . ١٢٤
الكبيرة السادسة والأربعون : تصديق الكاهن والمنجم . . ١٢٥
الكبيرة السابعة والأربعون : نشوز المرأة على زوجها . . ١٢٧
الكبيرة الثامنة والأربعون : التصوير فى الثياب والحيطان والحجر وغيـرها ١٣٤
الكبيرة التاسعة والأربعون : اللطم والنياحة وغيرهما . . ١٣٥
الكبيرة الخمسـون : البغى ١٤٧
الكبيرة الحادية والخمسون : الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة ١٤٨
الكبيرة الثانية والخمسون : أذى الجار ١٥٤
الكبيرة الثالثة والخمسون . أذى المسلمين وشتمهم . . . ١٥٦
الكبيرة الرابعة والخمسون : أذية عباد الله والتطول عليهم . . ١٥٩
الكبيرة الخامسـة والخمسـون : اسبال الازار والثوب واللباس والسراويل تعززا وعجبا وفخرا وخيلاء ١٦١
الكبيرة السادسة والخمسون : لبس الحرير والذهب للرجال . . ١٦٢
الكبيرة السابعة والخمسون : اباق العبد ١٦٣
الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبح لغير الله عز وجل . . ١٦٤

	الصفحة
الكبيرة التاسعة والخمسون : فيمن ادعى الى غير أبيه وهو يعلم .	١٦٥
الكبيرة الستون : الجدل والمراء واللدد	١٦٦
الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء . . .	١٦٨
الكبيرة الثانية والستون : نقص الكيل والذرع والميزان وما أشبه ذلك	١٦٩
الكبيرة الثالثة والستون : الأمن من مكر الله . . .	١٧٠
الكبيرة الرابعة والستون : اذية أولياء الله : (الموجود هو آخرها فقط)	١٧٢
الكبيرة الخامسة والستون : تارك الجماعة فيصلى وحده من غير عذر	١٧٣
الكبيرة السادسة والستون : الاصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر	١٧٣
الكبيرة السابعة والستون : الاضرار فى الوصية . . .	١٧٦
الكبيرة الثامنة والستون : المكر والخديعة . . .	١٧٧
الكبيرة التاسعةوالستون : من جس على المسلمينودل على عوراتهم	١٧٧
الكبيرة السبعون : سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين	١٧٧
محتويات الكتاب	١٨٢

* * *

رقم الايداع بدار الكتب : ٤٣٧٤ / ١٩٨٢

مطابع دار التراث العربي
ت ٩٣٦١٤٥ - القاهرة